



مجلة
مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
لِأَسِيَا

مجلة علمية محكمة

ربيع الثاني 1439هـ
ديسمبر (2017)

العدد
الرابع عشر



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

لِيبَا

ربيع أول 1439 هـ

ديسمبر (2017 م)

العدد

الرابع عشر

(مجلة مجمع اللغة العربية - ليبيا)

الناشر: مجمع اللغة العربية - ليبيا

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية - (بنغازي 2008/552)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...}

(سورة البقرة - من الآية 126)

مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - لِيَبِيَا

رئيس التحرير : أ. د. محمد مسعود جبران

رئيس اللجنة التسييرية بالمجمع

نائب رئيس التحرير : أ. علي الصادق حسنين

هيئة التحرير :

أ. د. محمد فرج دغيم

أ. د. عبد الحميد عبدالله الهرامة

أ. عمار محمد جحيدر

أغراض المجلة :

- مجلة المجمع، مجلة دورية محكمة تعنى بنشر دراسات في اللغة العربية وآدابها، والتعريب وترجمة ألفاظ الحضارة ومصطلحاتها، وتحقيق المخطوطات والأبحاث المتعلقة بها.

قواعد النشر بالمجلة :

- ألا تكون البحوث مستلة من أطروحة جامعية ، وألا تكون منشورة من قبل .
- تنشر المجلة البحوث التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم .
- يفضل ألا يقل البحث عن عشر صفحات وألا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة .
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات علمية وفنية .
- البحوث التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابها .
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة ، مع بحثه ، سيرته الذاتية العلمية وعنوانه .
- تُدرج الحواشي بأرقام مستقلة في كل صفحة على حدة .
- من الضروري أن يعتني الكاتب بعلامات الترقيم : النقطة ، الفاصلة ، إلخ.....
- ترسل البحوث إلى المجلة على العنوان التالي :

العنوان البريدي : شارع البلدية - ص.ب : 551 بريد ميدان الجزائر - طرابلس - ليبيا

مهتف وناسوخ (فاكس) : 00218-21-4440126

البريد الإلكتروني : Lugha_arabiya@yahoo.com

المحتوى

- افتتاحية العدد 10 - 9
د. أحمد محمد جاد الله
- تعدد رواية الشاهد اللغوي 94 - 11
د. محمد محمد محمد الدكتور
- النحو والسليقة 112 - 95
د. شعبان حسن غالي
- دراسة وصفية لأعلام النثر في مخطوط "جمهرة الإسلام ذات النثر
والنظام" للشيزري 140 - 113
د. طارق عبدالغني دعوب
- الرسوم العربية ومساقات الأنظمة الصوتية واللغوية (تمثيل
الأصوات أنموذجا) 168 - 141

- د . عبدالعاليم محمد القريدي
- الدَّلَالَةُ التَّحْوِيَّةُ بَيْنَ أَسَالِيْبِ الْعَرَبِ وَتَأْوِيلِ التَّحْوِيَيْنِ 190 - 169
- أ . عمار محمد جحيدر
- الكُتُبِي محمد بريون (1925-2013) وصدى مكتبة النجاح في تاريخ ليبيا الثقافي 274 - 191
- أ . مفتاح بريك الغرياني
- من خلافيات المجمعين وأخطائهم (1-تعدية الفعل "استند" بـ"على" 2- تعدية الفعل "أكد" بـ"على") 298 - 275
- أ . د. موسى محمد زنين
- (حرف التاء) بين البسط والقبض في القرآن الكريم 318 - 299
- د . سوف أبو القاسم الرحيبي
- القلق في شعر علي الفزاني 362 - 319

تقديم

من دواعي الفرح والسعادة لرئيس اللجنة التسييرية ولأعضاء اللجنة المحترمين ، وللموظفين في مجمع اللغة العربية الموقر بليبيا أن يلاقوا القراء الأعزاء بهذا العدد "الرابع عشر" من دورية المجمع "مجلة مجمع اللغة العربية" في اسمها ورسمها الجديدين ، بالرغم من العواثر المالية ، والعقبات الكثيرة المعوقة ، التي حالت بل منعت اللجنة التسييرية ، والقائمين على الجانب الثقافي في المجمع من النهوض بواجباتهم في إصدار الدوريتين ، وطباعة الكتب العلمية الأكاديمية في خدمة اللغة العربية ، وتراثها ورجالها ، كما حالت بينها وبين الدعوة إلى المؤتمرات والمحاضرات والندوات العلمية التي كان يقوم بها المجمع من قبل ، في ظل الظروف والأحوال المتاحة والمناسبة ، بل المساعدة في النهوض بتلك الأدوار والمسؤوليات ، والأعمال اللغوية والفكرية .

بيد أن همة هؤلاء الأفاضل الذين نيطت بهم المسؤوليات المتعددة من أعضاء اللجنة التسييرية والموظفين المخلصين ، والفنيين المتفانين في خدمة هذا الصرح العلمي آلوا على أنفسهم تحدي الصعاب والعقبات ؛ فجعلوا من حالة هذا الضعف قوة ، واستمروا في خدمة مجملهم بإصدار الكتب ، والإتحاف بالنشاطات الثقافية، ومنها نشر هذا العدد من المجلة الذي جاء حافلاً بالأبحاث اللغوية والأدبية الجادة المتناغمة مع البحوث الأكاديمية القيمة التي عُرف بها هذا المجمع من قبل ، والتي لا تقل في مضامينها وأشكالها عن أعمال

المجامع اللغوية والعلمية في البلاد العربية في المشرق والمغرب ، والله نسأل أن
يسعف بالرجاء والعطاء والهناء ؛ لتعود بلادنا ليبيا إلى استئناف دورها
الحضاري المنشود .

• رئيس التحرير

تعدُّ روايةَ الشاهدِ اللغويِّ ..

أسبابه، ومظاهره، وآثاره

د. أحمد محمد جاد الله (*)

مقدمة :

الشعر ديوان العرب؛ به حُفظت الأنساب، وعُرفت المآثر، ومنه تعلّمت اللغة، وهو حجّة فيما أشكل من غريب كتاب الله - تعالى - وغريب حديث رسول الله ﷺ وحديث أصحابه والتابعين⁽¹⁾.

والشعر من أهمّ مصادر النحو؛ لأنّ علم أصول النحو: «علم يُبحث فيه عن أدلّة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلّته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدلّ»⁽²⁾. وأهمُّ هذه الأدلّة (السماع)، وهو «ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته؛ فشمّل كلام الله - تعالى - وكلام نبيّه ﷺ وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين، نظماً ونثراً، عن مسلم أو كافر»⁽³⁾.

(*) أستاذ مساعد بقسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

(1) يُنظر: المزهري 2/ 470.

(2) الاقتراح في أصول النحو 21.

(3) نفسه 39.

و«من المشكلات التي تعرض في موضوع الاحتجاج بالشعر كثرة اختلاف الروايات؛ فكثير من الشواهد الشعرية رُويت بروايات متعدّدة، بعضها في محلّ الشاهد، وبعضها في غير محلّ الشاهد، ولم ينكر العلماء ذلك»⁽¹⁾؛ فشواهد سيبويه (ت 180 هـ) - مثلاً - هي أصحّ الشواهد؛ لأنّه سمع عن العرب الثقات، أو روى عمّن سمع عنهم؛ فهو يقول⁽²⁾: «وسمعت من أثق به من العرب»، «وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون»⁽³⁾، «وسمعنا الثقة من العرب يقول»⁽⁴⁾، «وبلغني عن العرب الموثوق بهم أنّهم يقولون»⁽⁵⁾، «وأخبرني من أثق به أنّه يقول»⁽⁶⁾، «وحَدَّثني من لا أتّهم عن رجل من أهل المدينة موثوق به أنّه سمع عربياً يتكلّم بمثل قولك»⁽⁷⁾؛ لهذا كانت أبياته أصحّ الشواهد، ومع ذلك اختلفت رواية بعضها؛ يقول البغداديّ⁽⁸⁾ (ت 1093 هـ) في شأن أبيات سيبويه: «وربّما روي البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة، ربّما لا يكون موضع الشاهد في بعضها أو جميعها، ولا ضير في ذلك».

(1) اختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعرية 21.

(2) الكتاب 1/ 230.

(3) نفسه 1/ 330.

(4) نفسه 2/ 244.

(5) نفسه 2/ 359.

(6) نفسه 3/ 462.

(7) نفسه 3/ 152.

(8) خزنة الأدب 1/ 17.

والسؤال الذي يقفز هنا إلى الذهن هو: «هل التغير الذي حصل في روايات الشواهد النحويّة بسبب عيوب الرواية؟ أم أنّ قسمًا منه يعود إلى تلاعب النحاة بالنصوص وتغيير روايتها على وجه يتضمّن الاستشهاد بها؟»⁽¹⁾.

والحقيقة هي أنّ لتعدُّ رواية الشواهد النحويّة أسبابًا ومظاهر وآثارًا سأحدّث عنها في البحث، مستعينًا بالمنهج التكامليّ، متّخذًا من الشعر المنسوب إلى قبيلة هذيل ميدانًا لهذه الدراسة؛ لأنّ ديوان شعرها بين أيدينا، فهو الوحيد الذي وصل إلينا من دواوين القبائل، ويرجع ذلك إلى اهتمام الرواة والعلماء به، فقد «كان الشعر الهذليّ في كلّ عهود اللغة موضع اهتمام كبار الرواة كالأصمعيّ، وأمائل الأئمة كالشافعيّ، وصدور المؤلّفين كأبي سعيد السكّريّ، وأبي الفرج الأصفهانيّ، وغيرهم»⁽²⁾، هذا إلى أنّ أشعار هذيل تتضمّن ثروة لغويّة ثرّارة، وتسمو إلى مرتبة أعلى من المستوى العامّ لدواوين باقي القبائل، إضافة إلى أنّ معظم فحول الشعراء الجاهليّين منهم⁽³⁾. وتفوّق شعراء هذيل في الفحولة الشعريّة وكثرتهم أدّى إلى اهتمام النحاة بشواهداها اهتمامًا بالغًا؛ فأنت لا تكاد تقرأ كتابًا من كتب النحو، إلّا وتجد شعر هذيل مبيّثًا في أثناؤه، مؤثّرًا في كثير من قواعده وأحكامه.

(1) الشواهد والاستشهاد في النحو 58، 59.

(2) مقدمة الجزء الثالث من ديوان الهذليّين.

(3) يُنظر: أشعار هذيل وأثرها في محيط الأدب العربيّ 20/2.

كُلُّ هذه الأسباب - إضافة إلى أنَّ اللغويين والنحاة ينسُبون إلى هذيل كثيرًا من الظواهر اللغويّة - دفعتني إلى اختيار الشعر المنسوب إلى هذيل ليكون ميدانًا لهذه الدراسة التي جاءت في مقدّمة وتمهيد وسبعة مطالب وخاتمة. تضمّنت المقدّمة أهميّة الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتّبع، وتكلّم التمهيد على أسباب تعدّد رواية الشواهد، وقُسّمت مظاهر تعدّد الرواية على سبعة مطالب، وهي:

- إبدال حركة من أخرى.
- إبدال حرف من آخر.
- زيادة حرف أو إنقاصه.
- إبدال كلمة من أخرى.
- تغيير شطر البيت.
- تلفيق شاهد من بيتين.
- صناعة شاهد.

وتضمّنت الخاتمة أهمّ النتائج والتوصيات.

والله أسأل العون والتوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً

تمهيد :

أسباب تعدُّ الرواية

لَمَّا كانت الرواية الشفهيّة من أهمّ الطرق التي نُقل بها الشعر من جيل إلى جيل، فقد أصاب الشعر ما يصيب المرويّات عادة من نسيان وتغيير؛ فضاغ من الشعر كثير، ودخل على ما بقي منه شيء من النحل والوضع؛ قال ابن سلّام⁽¹⁾ (ت 231 هـ) - في معرض حديثه عن الشعر - : «فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلو بالجهد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلمّا كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب، وألّفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلّ ذلك، وذهب عليهم منه كثير». والمتتبع لأسباب تعدُّ رواية الشواهد الشعرية يجد أنّ أهمّها ما يأتي:

أولاً: تغيير الشعراء

يقول الجاحظ⁽²⁾ (ت 255 هـ): «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حوّلًا كريئًا، وزمنًا طويلًا؛ يردّد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلّب فيها رأيه؛ اتّهمًا لعقله، وتتبعًا على نفسه، فيجعل عقله زمامًا على رأيه، ورأيه عيارًا على شعره؛ إشفاقًا على أدبه، وإحرازًا لما خوّله الله - تعالى - من نعمته. وكانوا يسْمُون تلك القصائد: الحوليّات، والمقلّدات، والمنقّحات، والمحكّمات».

(1) طبقات فحول الشعراء 25/1.

(2) البيان والتبيين 9/2.

وقال الأصمعي⁽¹⁾ (ت 216 هـ): «قال عيسى بن عمر: كنت في يوم من أيامي أقرأ على ذي الرِّمَّة شيئاً من شعره، فقال لي: أصلح هذا الحرف». وكان ذو الرِّمَّة يكثر من تنقيح شعره، شأنه في ذلك شأن بعض الشعراء الجاهليين الذين كانوا ينقِّحون قصائدهم، حتَّى ضاق أحد رواته بذلك فقال له: «أفسدت عليَّ شعرك. وذلك أنَّ ذا الرِّمَّة كان إذا استضعف الحرف أبدل مكانه»⁽²⁾.

ومن هنا يتبيَّن أنَّ الشاعر كان يستبدل ويغيِّر في ألفاظه ما يراه أنسب، فقد يُثبت كلمة ما وهو لا يريد لها تمامًا، ولكنَّه على نيَّة النظر فيها، ولعلَّ وضوح المعنى في نفسه أحيانًا يوهمه بأنَّ هذه الكلمة تؤدِّي ما يريد، فكأنَّه - كما يقول ابن جني⁽³⁾ (ت 392 هـ) - «لأنَّه بعلم غرضه، وسفور مراده، لم يرتكب صعبًا، ولا جشِّم إلَّا أَمَمًا، وافق بذلك قابلاً له، أو صادف غير آنس به، إلَّا أنَّه قد استرسل واثقًا، وبنى الأمر على أنَّه ليس ملتبسًا».

وقد أشار السيوطي⁽⁴⁾ (ت 911 هـ) إلى تغيير الشعراء فقال: «كثيرًا ما تُروى الأبيات على أوجه مختلفة، وربَّما يكون الشاهد في بعض دون بعض، وقد سُئلت عن ذلك قديمًا، فأجبت باحتمال أن يكون الشاعر أُنشده مرَّة هكذا ومرَّة هكذا»، فهذا أول أسباب تعدُّد الرواية.

ثانيًا: تغيير الرواة

مما لا أشكُّ فيه أنَّ الراوية مع طول الوقت قد ينسى كلمة أو ينسى ضبطها فيستبدلها بأخرى تفيض بها قريحته، ويؤكِّد ذلك أنَّ الشعر مكث فترة

(1) الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء 178.

(2) الموشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء 184.

(3) الخصائص 2/ 166.

(4) الاقتراح في أصول النحو 63.

طويلة يعتمد على الذاكرة دون التدوين؛ يقول الجاحظ⁽¹⁾ (ت 255 هـ): «قال ذو الرِّمَّة لعيسى ابن عمر: أكتب شعري؛ فالكتابُ أحبُّ إليَّ من الحفظ؛ لأنَّ الأعرابيَّ ينسى الكلمة، وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثمَّ ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلامًا بكلام».

هذا إلى أنَّ الراوية قد يكون شاعرًا فيُعَمِّل شاعريَّته فيما يرويه، بالتنقيح والتهذيب؛ لأنَّ «أقدر الناس على فهم الشعراء هم الشعراء أنفسهم؛ لأنَّهم يجرون معهم في مضمار واحد، ويسبحون في محيط تتحد مياهه وإن اختلفت أغواره»⁽²⁾. فليس من الضروريَّ أن تكون كلُّ رواية في شاهد من شواهد النحو هي رواية الشاعر نفسه، بل ربَّما تكون إصلاحًا متعمدًا من أحد الرواة عنه؛ ويدلُّك على ذلك قول الأصمعيّ⁽³⁾ (ت 216 هـ): «قرأت على خلف⁽⁴⁾ شعر جرير، فلمَّا بلغت إلى قوله: [من الطويل]

وَيَوْمٌ كَابِهَامِ الْقَطَاةِ مُحَبَّبٍ	إِلَيَّ هَوَاهُ غَالِبٌ لِي بَاطِلُهُ
رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْعَزِيزَ وَلَمْ نَكُنْ	كَمَنْ نَبِلُهُ مَحْرُومَةً وَحَبَائِلُهُ
فَيَا لَكَ يَوْمٌ خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ	تَغَيَّبَ وَاشِيَهُ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ

(1) الحيوان 41/1.

(2) حول ديوان البحريّ 7.

(3) ديوان المعاني 1/340، 341، ويُنظر: مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخية 242.

(4) لعلَّه خلف الأحمر البصريّ، وهو راوية ثقة، يسلك مسلك الأصمعيّ وطريقه، حتَّى قيل: هو معلَّم الأصمعيّ، صتَفَ (جبال العرب وما قيل فيها من الشعر)، (ت 180 هـ). يُنظر بغية الوعاة 309/2.

فقال: ويله! وما ينفعه خير يؤول إلى شرٍ؟ فقلت: كذا قرأته على أبي عمر، قال: صدقت، وقال: كذا قال جرير، وكان قليل التنقيح مشرّد الألفاظ، وما كان أبو عمر ليقرئك إلّا كما سمع، قلت: كيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال:

* فَيَا لَكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فأروّه هكذا، وكانت الرواة قديمًا تصلح من شعر القدماء، فقلت: "والله لا أرويه بعدها إلّا هكذا".

وبهذا يتّضح أنّ الرواة كانوا ينقّحون أشعار الشعراء، فيستبدلون كلمة بكلمة، على غير ما نطق بها الشاعر، ولهذا كثرت الروايات وتعدّدت في بعض شواهد الشعر، ولا ضير في ذلك فـ"الرواة المختلفون إنّما أخذوه من أفواه العرب الذين يحفظون الأشعار؛ لأنّ العربيّ الذي غيّر الشعر وأنشده على وجه دون وجه قوله حجة، ولو كان الشعر له لكان يُحتجُّ به، ألا ترى أنّ الخطيئة راوية زهير، وكثيرًا راوية جميل، والراويّ والمرويّ عنه كلاهما حجة؟"⁽¹⁾.

ثالثًا: تغيير النحاة

كان التنافس بين البصرة والكوفة شديدًا، والخلاف محتدمًا، ويرجع ذلك إلى نواجٍ عدّة؛ فمن الناحية الطائفية: الكوفة علوية، والبصرة عثمانية. ومن الناحية القبلية: أكثر أهل الكوفة من اليمانيين، وأكثر أهل البصرة من

⁽¹⁾ شرح أبيات سيبويه لابن السيرا في 96/2.

المُضَرِّين. ومن الناحية العلميّة: أهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات؛ لأنَّهم أكثر اختلاطاً بالأجانب، وأسرع إلى الأخذ من الثقافات الأجنبية؛ لتوافر مصادرها عندهم، وكثرة تنقُّلاتهم للكسب والتجارة.

هذه العوامل أحكمت أسباب الاختلاف والتنافس بين المِصْرَيْن. وكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء حين تجتمع وفودهم في دواوينهم، وكان الخلفاء يستمتعون بهذا النوع من المناظرات، وربّما ظاهروا فريقاً على فريق؛ لأسباب تدعوهم إلى ذلك. وتناولت هذه المناظرات نواحي عدّة، من بينها الناحية الثقافية، ومن هذه الناحية مناظراتهم في النحو⁽¹⁾.

وقد كان لهذه الخلافات أثر في تعدُّد روايات الشواهد الشعريّة؛ فقد كان علماء كلّ مدرسة يتعصّبون لمدرستهم، ويتّهمون علماء المدرسة الأخرى بالتزيّد والخطأ؛ يقول أبو حاتم السجستاني⁽²⁾ (ت 248 هـ) - وهو أحد علماء البصرة -: «فإذا فسّرتُ حروف القرآن المختلف فيها، أو حكيتُ عن العرب شيئاً، فإنّما أحكيه عن الثقات عنهم؛ مثل: أبي زيد والأصمعيّ وأبي عبيدة ويونس، وثقات من فصحاء الأعراب وحمله العلم، ولا ألّفت إلى رواية الكسائيّ والأحمريّ⁽³⁾ والأمويّ⁽⁴⁾ والفراء ونحوهم، وأعوذ بالله من شرّهم».

(1) يُنظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو 65، 66.

(2) مراتب النحويّين 90.

(3) لم أقف له على ترجمة.

(4) لم أقف له على ترجمة.

ويؤكّد عبد الجبّار علوان⁽¹⁾ أنّ من أهمّ أسباب تعدّد الروايات هو تغيير النحاة بسبب المناظرات والخلافات بين المدارس المختلفة، فيقول: «وأكثر ما وقع في تغيير الروايات، عندما اشتدّ الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة، وكثر الجدل والمناظرة، فقصّدوا بهذا التغيير توجية الحجّة والاعتماد على دليل ما». والقارئ لكتب التراث يجد أنّ علماء اللغة والنحو أنفسهم يُقرّون بأنّ هناك بعض الشواهد قد صنعها النحاة ونسبوها إلى العرب؛ خدمة لقضيّة من قضاياهم النحويّة، ولعلّ من أمثلة ذلك قول جرير⁽²⁾: [من الوافر]

أَلَا أَضَحَّتْ جِبَالُكُمْ وَرِمَامَا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أُمَامَا

حيث استشهد به سيبويه على الترخيم في غير النداء للضرورة، فيقول أبو زيد⁽³⁾ (ت 215 هـ): «وأنشدنا هذا البيت أبو العباس محمّد بن يزيد عن عُمارة: * وَمَا عَهْدٌ كَعَهْدِكَ يَا أُمَامَا *

على غير ضرورة. وهذا شيء يصنعه النحويّون ليعرّفوك كيف مجراه متى وقع في شعر».

وأنشد سيبويه⁽⁴⁾ (ت 180 هـ) لحسان: [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

(1) الشواهد والاستشهاد في النحو 60.

(2) الكتاب 270/2.

(3) النوادر في اللغة 31.

(4) يُنظر: الكتاب 65/3.

أراد: فالله يشكرها. وروى المبرّد (ت 285 هـ) عن المازنيّ (ت 249 هـ) عن الأصمعيّ (ت 216 هـ) أنّه أنشدهم: [من البسيط]

* مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ يَشْكُرُهُ *

قال: فسألته عن الرواية الأولى، فذكر أنّ النحويّين صنعوها⁽¹⁾.

وأشار سيبويه (ت 180 هـ) نفسه إلى ذلك في مواضع عدّة من كتابه؛ من ذلك قوله⁽²⁾: «وقد جاء في الشعر، وزعموا أنّه مصنوع : ...»، وقوله⁽³⁾: «وقال الآخر - ويقال وضعه النحويّون -:...»، وقوله⁽⁴⁾ في موضع آخر: «وهو مصنوع طرفة».

وبهذا يتّضح أنّ بعض النحاة «قد جاوزوا مهمّتهم - وهي وصف الظاهرة، وتقعيد القاعدة - إلى أمر آخر، وهو تأليف البيت وصناعة الشاهد، وليس ذلك بالواجب عليهم، ولا هو بالجائز لهم»⁽⁵⁾، ولم يكن ذلك في العصور المتأخّرة بل كان في عصر سيبويه.

ويعتذر باحث لهذا الصنيع قائلاً⁽⁶⁾: «ولا ريب أنّ النحاة حينما لجؤوا إلى تغيير بعض أبيات الشواهد، إنّما كانوا يبتغون أن تكون القواعد مطّردة تسير

(1) يُنظر: خزانة الأدب 2/ 365.

(2) الكتاب 1/ 188.

(3) نفسه 3/ 61.

(4) نفسه 2/ 255.

(5) تغيير النحويّين للشواهد 20.

(6) الشواهد والاستشهاد في النحو 59.

على نظام منسّق، فإذا اعترضهم عارض ما حاولوا تمهيده بما يكفل ذلك، وهدفهم نبيل، وهو: إصلاح اللغة ونفي الشوائب والشواذّ عنها». وعلى كلّ حال فإنّ «وجود رواية أخرى في شاهد من الشواهد لا يعني أنّه لا يجوز الاستشهاد به، فالشعر الذي له روايتان يصحّ الاستشهاد به على إحدى الروايتين ما دامت صحيحة مروية عن العلماء الثقات»⁽¹⁾.

رابعاً: تعدّد اللهجات

السبب الرابع لتعدّد روايات الشواهد الشعرية هو تعدّد اللهجات العربية؛ فقد «كانت العرب يُنشد بعضهم شعر بعض، وكلّ يتكلّم على مقتضى سجيّته التي فُطر عليها، ومن هنا تكثّرت الروايات في بعض الأبيات»⁽²⁾. ويؤكّد البغداديّ⁽³⁾ (ت 1093 هـ) ذلك قائلاً: إنّ «العرب كان بعضهم يُنشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التي فطره الله عليها، وبسببه تكثّر الروايات في بعض الأبيات، فلا يوجب ذلك قدحاً فيه ولا غصّاً منه».

تعدّد رواية الشواهد الهذليّة .. مظاهره وآثاره

باستقراء ما استشهد به النحاة من الشعر المنسوب إلى قبيلة هذيل، وبعد تتبّع تلك الشواهد في مصادر الشعر الهذليّ، وقفت على أبيات اختلفت روايتها في الدواوين عن رواية النحاة لها، وجمع النظير إلى نظيره، ووضع الشبيه مع شبيهه، حصرت مظاهر ذلك التعدّد في سبعة مطالب:

(1) شواهد الشعر في كتاب سيبويه 387.

(2) الاقتراح في أصول النحو 63.

(3) خزانة الأدب 17/1.

المطلب الأوّل: إبدال حركة من أخرى

1) نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة:

جمهور النحاة على أنّ جمع المؤنث السالم يُنصب بالكسرة، و«نصبه بالكسرة نياية عن الفتحة حملاً لنصبه على جرّه، كما مُل نصب أصله جمع المذكر السالم على جرّه»⁽¹⁾؛ يقول سيبويه⁽²⁾ (ت 180 هـ): «جعلوا تاء الجمع في الجرّ والنصب مكسورة؛ لأنّهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء». قال ابن مالك⁽³⁾ (ت 672 هـ): «وأما (ثبات) ونحوه من جمع المحذوف اللام المعوّض منها التاء، فالمشهور جريه مجرى (هندات). ومن العرب من ينصبه بفتحة»، وقال السيوطي⁽⁴⁾ (ت 911 هـ): «وأجاز الكوفيّة نصب هذا الجمع بالفتحة مطلقاً، وأجازه هشام منهم في المعتلّ خاصّة؛ ك(لُغة)، و(ثُبة)، وحُكي: (سمعت لغاتهم)».

وقد ساق المجيزون⁽⁵⁾ قول أبي ذؤيب: [من الطويل]

فَلَمَّا جَلَاها بِالْأَيَّامِ تَحَيَّرْتُ ثُبَاتًا عَلَيَّهَا ذُلُّهَا وَاكْتِنَابُهَا

⁽¹⁾ همع الهوامع 77 / 1.

⁽²⁾ الكتاب 18 / 1.

⁽³⁾ شرح الكافية الشافية 82 / 1.

⁽⁴⁾ همع الهوامع 77 / 1، ويُنظر: شرح الأشمونيّ 70 / 1.

⁽⁵⁾ معاني القرآن للقرّاء 93 / 2، شرح الكافية الشافية 83 / 1، تفسير البحر المحيط 3 / 302، الباب في علوم الكتاب 485 / 6.

ساقوه شاهداً لهذه الظاهرة، قال ابن جني⁽¹⁾ (ت 392 هـ) - معقّباً عليه: «وأصحابنا لا يرون فتح هذه التاء في موضع النصب».

وبتتبع البيت في شعر أبي ذؤيب⁽²⁾ نُلفيه بالرواية الآتية:

فَلَمَّا اجْتَلَاهَا بِالْإِيَّامِ تَحَيَّرَتْ ثُبَاتٍ عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَكُتِبَتْهَا

بكسر التاء من (ثباتٍ)، على المألوف في الاتجاه العام للغة، كما استعملها القرآن الكريم: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾⁽³⁾، قال أبو حيّان⁽⁴⁾ (ت 745 هـ): «ولم يُقرأ (ثبات) فيما علمناه إلاّ بكسر التاء».

ورواية الديوان تُسقط الاحتجاج بالبيت، ولعلّ في قول ابن جني⁽⁵⁾ (ت 392 هـ) معقّباً على هذا الشاهد: «هذا كلّهُ إن كان ما روه - من فتح هذه التاء - صحيحاً ومسموعاً من فصيح يؤخذ بلغته» = لعلّ فيه ما يُشعر بعدم ارتياعه لرواية الكوفيّين لهذا البيت.

هذا إلى أنّي أفهم من كلام الفراء (ت 207 هـ) عكس ما نُسب إلى الكوفيّين؛ ففي (معاني القرآن)⁽⁶⁾: «وكذلك قولهم: (الثبات) و(اللغات)، ربّما عرّبوا التاء منها بالنصب والخفض، وهي تاء جماع، ينبغي أن تكون خفضاً في النصب والخفض، فيتوهّمون أنّها هاء، وأنّ الألف قبلها من الفعل».

(1) الخصائص 2/ 497.

(2) شرح أشعار الهذليّين 1/ 53، ديوان الهذليّين 1/ 79.

(3) النساء: 71.

(4) تفسير البحر المحيط 3/ 302.

(5) الخصائص 2/ 497.

(6) 93/ 2.

وإذا كان هذا كذلك، فإنَّ الباحث يتوقَّف في نسبة القول بنصب ما جُمع بالألف والتاء بالفتحة إلى الكوفيَّين، ولاسيَّما إذا علمنا أنَّ هناك اضطراباً في نسبة القول بنصب الجمع المؤنَّث السالم إلى أصحابه؛ فمن النحاة من ينسبه إلى الكوفيَّين، ومنهم من ينسبه إلى البغداديين؛ قال ابن يعيش⁽¹⁾ (ت 643 هـ): «ولا يجوز فتح هذه التاء عندنا، وأجازه البغدادِيُّون»، وأياً كان القائل بهذا الرأي، فإنَّه لا ينبغي الاستشهاد بهذا البيت؛ لأنَّه لا شاهد فيه على رواية الدواوين.

(2) إعراب (الآن):

«من الظروف المبنية: (الآن)، والدليل على اسميته دخول (أل) وحرف الجرِّ عليه، وهو اسم للوقت الحاضر جميعه؛ كوقت فعل الإنسان حال النطق به، أو الحاضر بعضه؛ نحو: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾⁽²⁾، ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾. وقد قرّر النحاة أنَّه ظرف مبنيٌّ على الفتح، ولكنَّهم اختلفوا في علّة بنائه اختلافاً طويلاً الذيل ليس هذا محلّ ذكره⁽⁵⁾. وذهب بعضهم إلى أنَّه معرب، وفتحته إعراب على الظرفيّة⁽⁶⁾، واستدلُّوا⁽⁷⁾ بقول أبي صخر: [من الطويل]

كَأَنَّهُمَا مِالَانَ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ بِالذَّارَيْنِ مِنْ بَعْدِنَا عَصْرُ

⁽¹⁾ شرح المفصل 8/5.

⁽²⁾ الحين: 9.

⁽³⁾ الأنفال: 66.

⁽⁴⁾ همع الهوامع 135/2.

⁽⁵⁾ يُنظر: الإنصاف 55/2 - 58، همع الهوامع 136/2، 137.

⁽⁶⁾ يُنظر: شرح شذور الذهب 130، 131.

⁽⁷⁾ نفسه 131، الباب في علوم الكتاب 172/2، همع الهوامع 137/2، روح المعاني 1/353، 442.

«بكسر النون؛ أي: من الآن، فحذف النون لالتقاء الساكنين، وجَرَ، فدلَّ على أنَّه معرب»⁽¹⁾، وهذا ما سكن إليه السيوطي⁽²⁾ (ت 911 هـ) قائلاً: «والمختار عندي القول بإعرابه؛ لأنَّه لم يثبت لبنائه علَّة معتبرة، فهو منصوب على الظرفية، وإن دخلته (من) جَرَّ». و«ضعفه ابن مالك باحتمال أن تكون الكسرة كسرة بناء ويكون في بناء (الآن) لغتان: الفتح والكسر، كما في شتآن، إلَّا أنَّ الفتح أكثر وأشهر»⁽³⁾. وفي (اللباب في علوم الكتاب)⁽⁴⁾: «وادَّعى بعضهم إعرابه مستدلاً بقوله:

* كَأَنَّهُمَا مِالَانِ *

يريد: من الآن، فجرَّه بالكسرة، وهذا يحتمل أن يكون بُني على الكسر». وبمراجعة البيت في مظانِّه⁽⁵⁾، يتبيَّن أنَّه ثابت لأبي صخر برواية تدعم رأي الجمهور، وهي «مِالَانِ» بفتح النون.

(3) نصب المفعول معه بفعل مضمر:

عُرِّفَ المفعول معه بأنَّه «فضلة بعد واو أريد بها التنصيص على المعية مسبوقة بفعل أو ما فيه حروفه ومعناه؛ نحو: سرت والنيل، وأنا سائر والنيل»⁽⁶⁾. وقد جاء المفعول معه في كلام العرب بعد (كيف)، و(ما) الاستفهاميتين من غير أن يُلفظ بفعل، ونعت سيبويه (ت 180 هـ) ذلك بالقلة، ففي

(1) همع الهوامع 137/2.

(2) نفسه 137/2.

(3) نفسه 137/2، ويُنظر: روح المعاني 7/353.

(4) 172/2.

(5) شرح أشعار الهذليين 956/2.

(6) شرح قطر الندى وبل الصدى 296.

(الكتاب)⁽¹⁾: «وزعموا أنَّ أناسًا يقولون: كيف أنت وزيدًا؟ وما أنت وزيدًا؟ وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف)، ولكنَّهم حملوه على الفعل؛ على شيء لو ظهر حتَّى يلفظوا به لم يَنْقُضْ ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على (ما) و(كيف)، كَأَنَّهُ قال: كيف تكون أنت وقصعة من ثريد؟ وما كنت وزيدًا؟ لأنَّ (كنت) و(تكون) يقعان هاهنا كثيرًا ولا يَنْقُضان ما تريد من معنى الحديث، فمضى صدر الكلام وكأَنَّهُ قد تكلم بها، وإن كان لم يلفظ بها؛ لوقوعها هاهنا كثيرًا».

وقد استشهد النحاة⁽²⁾ لنصب المفعول معه بالفعل المضمر بقول أسامة ابن

الحرث: [من المتقارب]

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَلَفٍ يُبْرِحُ بِالذَّكْرِ الضَّابِطِ

«ونُصب (السير) على أَنَّهُ مفعول معه، وليس قبله فعل، وذكرُ الفعل قبله شرط لنصبه، ولكنَّ نصبه على معنى: (وما أكون)، فحذف (أكون) لوجودها كثيرًا في ذا الموقع»⁽³⁾، قال السَّكَّاكِيُّ⁽⁴⁾ (ت 626 هـ) مستشهدًا بهذا البيت: «الواو إذا تقدَّمتها فعل أو معناه، ولم يحسن حملها على العطف نصبت؛ كنحو: ما

⁽¹⁾ 303/1.

⁽²⁾ ورد بهذه الرواية في: الكتاب 303/1، شرح أبيات سيبويه لابن السيرا في 216/1، شرح المفصل لابن يعيش 52/2، رصف المباني في شرح حروف المعاني 421، شرح الأشموني 1/496، همع الهوامع 181/2.

⁽³⁾ الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة للإعراب 54.

⁽⁴⁾ مفتاح العلوم 103.

صنعت وأباك، وما شأنك وعمراً. وإذا لم يتقدّم ذلك لم تنصب؛ نحو: كيف أنت وزيدٌ، فيمن لا يؤوّله على (كيف تكون أنت) وهم الأكثرون، وعلى مذهب القليل جاء:

* مَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَثَلِ *.

وفي (شرح نهج البلاغة)⁽¹⁾: «والرفع عند النحويّين أولى»، بل إنّ بعضهم لم يُجزّ فيه إلّا الرفع، فقد ذكر السيوطي⁽²⁾ (ت 911 هـ): «ما يُختار فيه العطف مع جواز النصب، وذلك أن يكون المجرور في الصورة السابقة ظاهراً، أو ضمير المرفوع منفصلاً؛ نحو: ما شأن عبد الله وزيدٍ، وما أنت وزيدٌ، فالأحسن جرّ (زيد) في الأوّل، ورفع في الثاني؛ لإمكان العطف، وهو الأصل. ويجوز فيه النصب مفعولاً معه، ومنعه بعض المتأخّرين كابن الحاجب، ورُدّ بالسماع».

وقد روى حملة شعر هذيل البيت بالرفع والنصب كليهما؛ ففي (شرح أشعار الهذليّين)⁽³⁾: (والسّير) بالرفع، وقد استشهد العكبريُّ (ت 616 هـ) بهذه الرواية في (شرح ديوان المتنبي)⁽⁴⁾. وفي (ديوان الهذليّين)⁽⁵⁾: (والسّير) بالنصب، على أنّه مفعول معه.

⁽¹⁾ 191 / 15.

⁽²⁾ همع الهوامع 2 / 181.

⁽³⁾ 1289 / 3.

⁽⁴⁾ 232 / 4.

⁽⁵⁾ 195 / 2.

المطلب الثاني: إبدال حرف من آخر

(1) همز (الحتي):

استدلَّ بعض اللغويين⁽¹⁾ على أنَّ (الحتي) لغة في (الحتي) بقول المتنخل: [من البسيط]

لَا دَرَّ دَرِّيْ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَكُمُ قَرَفَ الْحَتَّى وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ
قال الصغاني⁽²⁾ (ت 650 هـ): «والْحَتَّى - على فاعل - : لغة في الْحَتَّى -
بغير همز - وهو سَوِيْق الْمُقْل، وينشد بالوجهين بيت المتنخل الهذلي: ...»، وفي
(تاج العروس)⁽³⁾: «و(الحتي) ك(أمر): لغة في (الحتي) بغير همز، وهو
سَوِيْق الْمُقْل، وينشد بالوجهين بيت المتنخل الهذلي: ...».
وبمراجعة مصادر شعر هذيل⁽⁴⁾ نجد البيت منسوباً إلى المتنخل بالرواية
الآتية:

لَا دَرَّ دَرِّيْ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَكُمُ قَرَفَ الْحَتَّى وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ
(الْحَتَّى) بالياء لا بالهمز، وهو الوجه الآخر الذي أشار إليه الصغاني (ت 650
هـ) ومرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ)، وقد ذكر هذه الرواية الزبيدي في أربعة
مواضع من (تاج العروس)⁽⁵⁾ لم يشر فيها إلى رواية الهمز، وهذا يُشعر بتقويته
لرواية الياء وميله إليها.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر 40، تاج العروس 1/ 133.

(2) العباب الزاخر 40.

(3) 1/ 133.

(4) شرح أشعار الهذليين 3/ 1263، ديوان الهذليين 2/ 15.

(5) 304/ 19، 138/ 8، 396، 71/ 6.

والحقيقة أنّه يساورني الشكُّ في أنّ رواية الهمز ضعيفة أو مصنوعة؛ لعدم الإشارة إليها في الدواوين، ولأنّ الاتجاه العامّ عند هذيل هو الميل إلى التخفيف وعدم التكلّف، والتخلّص من أعباء النطق، ومعلوم أنّ الهمز من أثقل الأصوات العربيّة.

ويعضد ما أقول أنّ رواية التخفيف جاءت في كتاب (الجيم)⁽¹⁾ لأبي عمر الشيبانيّ (ت 206 هـ)، وهو - كما تقدّم - أحد رواة شعر هذيل، إضافة إلى أنّ جمهرة من كتب اللغة والأدب والحديث والتفسير والأمثال⁽²⁾، تضافرت على روايته بالتخفيف، وهي مصادر ربّما تكون أبعد عن التكلّف والصناعة التي قد تطال كتب النحو، والله أعلم.

2) إدغام الهمزتين:

يقول ابن يعيش⁽³⁾ (ت 643 هـ): «اعلم أنّ الهمزة هي التي تسمّى في أوّل الحروف المعجم ألفاً، وإنّما سمّوها ألفاً لأنّها تصوّر بصورة الألف، وهي في الحقيقة نبذة تخرج من أقصى الحلق، ولذلك ثقلت عندهم... وإذا كانت قد

(1) 371.

(2) الكتاب 89/2، الحيوان 285/5، غريب الحديث لابن قتيبة 107/2، المعاني الكبير 1/286، جامع البيان 3982/5، جمهرة اللغة 67/1، 388، الزاهر في معاني كلمات الناس 1/896، أحكام القرآن للجصاص 302/4، جمهرة الأمثال 210/2، غريب الحديث للخطابي 69/2، مقاييس اللغة 136/2، الكشف والبيان 39/5، رسالة الغفران 268، المحكم 430/3، 740/6، 243/10، سمط اللآلي 157/1، الفائق في غريب الحديث 259/1، المحرّر الوجيز 841، الجامع لأحكام القرآن 46/4، لسان العرب (بر)، (درر)، (كوز)، اللباب في علوم الكتاب 79/10.

(3) شرح المفصل 134، 135.

استثقلت فهي مع مثلها أثقل، فلذلك إذا التقت همزتان في غير موضع العين فلا إدغام فيهما، ولهما باب في التخفيف هو أولى بهما من الإدغام، فلا تدغم الهمزة إلا أن تلين إلى الواو أو إلى الياء فتصادف ما تدغم الواو والياء فيه، فحينئذ يجوز إدغامها على أنَّها ياء أو واو؛ كقولنا في (رؤية): (رؤية) إذا خففوا، فيجوز الإدغام وتركه، فمن لم يدغم فلأنَّ الواو يُنوى بها الهمزة، ومن أدغم فلأنَّه واو ساكنة بعدها ياء؛ كقولهم: طويته طيًّا، وأصله: طويًّا، فلا تُدغم في مثلها إلا أن يكون عينًا مضاعفة، وذلك في (فعل) و(فعل) وما أشبههما ممَّا عينه همزة؛ نحو: (سأل)، و(رأس)، و(جأر) - من الجوار، وهو: الصوت - ولو جمعت (سائلًا) و(جائرًا) على (فعل) لأدغمت، وقلت: سؤل وجور.

ويستشهد ابن يعيش⁽¹⁾ (ت 643 هـ) لما قرَّره بقول المتنخل: [من البسيط]

لَوْ أَنَّهُ جَاءَنِي جَوْعَانُ مُهْتَلِكٌ مِنْ بُيُوسِ النَّاسِ عَنْهُ الْخَيْرُ مُحْجُوزٌ

ولكن رواية الدواوين⁽²⁾ تُسقط احتجاج ابن يعيش (ت 643 هـ) بهذا

البيت، حيث جاء فيها بالهمز: [من البسيط]

لَوْ أَنَّهُ جَاءَنِي جَوْعَانُ مُهْتَلِكٌ مِنْ بُيُوسِ النَّاسِ عَنْهُ الْخَيْرُ مُحْجُوزٌ

ويعرِّز رواية الدواوين أنَّ كتب اللغة والأدب⁽³⁾ - أيضًا - روته كذلك. ويذكر

السكرئي⁽⁴⁾ (ت 275 هـ) رواية أخرى، وهي: «(من جوع الناس)». وقد ردَّ

(1) نفسه 135/10.

(2) شرح أشعار الهذليين 1263/3، ديوان الهذليين 15/2.

(3) المحكم 141/4، سمط الآلي 157/1، 724/2، لسان العرب (هلك)، تاج العروس 673/13.

(4) شرح أشعار الهذليين 1263/3.

الرضي⁽¹⁾ (ت 686 هـ) رواية الإدغام حينما قال: أَسْتَشْهَدُ بِهِ «عَلَى أَنْ (بُؤْسًا) فِيهِ
الإدغام للهمزتين، وهو جمع (بائس)، وهو الفقير، والرواية إنما هي:

* مِنْ جُوعِ النَّاسِ عَنْهُ الْخَيْرُ مَحْجُوزٌ *

وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّ قول محقق (شرح المفصل)⁽²⁾ بأنَّ رواية الشاهد
بالإبدال من صنيع النحاة، هو قول تظهر لي وجاهته، والله أعلم.

المطلب الثالث: زيادة حرف أو إنقاصه

1) تعدية الفعل (راب) بالهمزة:

قال الجوهري⁽³⁾ (ت 393 هـ): تقول: «رابني فلان، إذا رأيت منه ما يريبك
وتكرهه، وهذيل تقول: أرابني فلان... وأراب الرجل: صار ذا ريبة، فهو
مريب»، بمعنى: أَنَّ الفعل (راب) في الفصحى متعدي بنفسه، وعند هذيل لا
يتعدى إلَّا بالهمزة فتقول: (أراب)، وَأَنَّ الأخير في الاتجاه العام لازم بمعنى: صار
صاحب ريبة.

وعندما أراد اللغويون الاستدلال لإثبات صحّة ما ذهبوا إليه استشهدوا⁽⁴⁾
بقول خالد بن زهير: [من الرجز]

* كَأَنِّي أَرَبُّتُهُ بِرَيْبٍ *

(1) شرح شافية ابن الحاجب 4/ 489.

(2) 135/10.

(3) الصحاح (ريب).

(4) جمهرة اللغة 1/ 230، 332، 1021/ 2، الصحاح (ريب)، لسان العرب (ريب)، تاج
العروس 2/ 45.

وبمراجعة الشاهد في شعر خالد بن زهير نجده في (شرح أشعار الهذليين)⁽¹⁾:

* كَأَنِّي أَتَوْتُهُ بِرَيْبِ *

وفي (ديوان الهذليين)⁽²⁾:

* كَأَنِّي قَدْ رَبُّتُهُ بِرَيْبِ *

وكلا الروايتين تُفقد الرجز قيمته في الاستدلال عند النحاة، قال ابن منظور⁽³⁾ (ت 711 هـ): «ويروى:

* كَأَنِّي قَدْ رَبُّتُهُ بِرَيْبِ *

فيكون على هذا (رابني) و(أرابني) بمعنى واحدٍ، وعليه فلا شاهد فيه.

(2) توكيد الاسم بالنون:

خَصَّ النحاة نون التوكيد بالأفعال، وجعلوا دخولها على الأسماء ضرورة، واستشهدوا لتلك الضرورة برجز نسبه بعضهم⁽⁴⁾ إلى ربيعة بن العجاج، بينما أغفل بعضهم نسبته⁽⁵⁾، وهو قوله: [من الرجز]

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَ بِهِ أُمْلُودًا

مُرَجَّلًا وَيَلْبَسُ الْبُرُودًا

أَقَائِلَنَّ: أَحْضَرُوا الشُّهُودَا؟

⁽¹⁾ 207 / 1.

⁽²⁾ 165 / 1.

⁽³⁾ لسان العرب (ريب).

⁽⁴⁾ شرح التصريح على التوضيح 35 / 1، شذا العرف في فن الصرف 52.

⁽⁵⁾ سر صناعة الإعراب 118 / 2، الخصائص 171 / 1، شرح الرضي على الكافية 488 / 4، شرح الأشموني 36 / 1، الجامع لأحكام القرآن 62 / 8، لسان العرب (رأى)، تفسير البحر المحيط 130 / 4، الجني الداني 141، مغني اللبيب 639 / 1، أوضح المسالك 24 / 1، اللباب في علوم الكتاب 134 / 8، همع الهوامع 514 / 2.

قال ابن جني⁽¹⁾ (ت 392 هـ): «يريد: (أقائلون) فأجراه مجرى (أقولون)»؛ أي: أكد اسم الفاعل بالنون تشبيهاً له بالفعل المضارع، فصار (أقائلونن) فحذفت النون الأولى كراهة توالي الأمثال، فصار (أقائلونن) ثم حذفت الواو تخلصاً من التقاء الساكنين، فصار (أقائلنن).

وأثناء استقراء دواوين الشعر الهذلي⁽²⁾ وقفت على هذا الرجز منسوباً إلى رجل من هذيل لم يُسمَّ، بالرواية الآتية: [من الرجز]
 أَرَيْتَ إِنْ جَاءَ بِهِ أُمْلُودَا
 مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُودَا
 وَلَا يَرَى مَالاً لَهُ مَعْدُودَا
 أَقَائِلُونَ: أَعْجَلِي الشُّهُودَا؟

بإثبات الواو في (أقائلون)، وهذه الرواية تُبطل الاحتجاج بهذا الشاهد، وهي الرواية نفسها التي جاء بها (تاريخ مدينة دمشق)⁽³⁾، وأشار إليها الصبان⁽⁴⁾ (ت 1206 هـ). قال البغدادي⁽⁵⁾ (ت 1093 هـ) بعد أن ذكر رواية الديوان للرجز: «وعلى هذا فلم تلحق النون اسم الفاعل، فلا ضرورة فيه».

(1) سر صناعة الإعراب 118/2.

(2) شرح أشعار الهذليين 651/2.

(3) 78/37.

(4) حاشية الصبان على شرح الأشموني 88/1.

(5) خزانة الأدب 422/11.

3 تخفيف (أَنَّ) وبروز اسمها:

يقرّر النحاة أنّه يجوز تخفيف (أَنَّ) المفتوحة الهمزة، ويشترطون في اسمها وخبرها شروطًا يذكرها ابن هشام⁽¹⁾ (ت 761 هـ) بقوله: «وَأَمَّا (أَنَّ) المفتوحة فَإِنَّهَا إِذَا خُفِّفَتْ بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ وَجوبِ الْإِعْمَالِ، لَكِنْ يَجِبُ فِي اسْمِهَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

1. أن يكون ضميرًا لا ظاهرًا.
2. وأن يكون بمعنى الشأن.
3. وأن يكون محذوفًا.

ويجب في خبرها أن يكون جملة لا مفردًا»، ومثال ما توافرت فيه هذه الشروط قول الله - تعالى -: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾⁽²⁾؛ «فـ(أَنَّ) مخففة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والسين حرف استقبال، و(يكون) فعل مضارع ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر، مرفوع بالضمّة، (منكم) خبر (يكون) مقدّم، (مرضى) اسمها مؤخّر. والجملة في محلّ رفع خبر (أَنَّ) المخففة»⁽³⁾.

وذكر النحاة أنّه لا يجوز بروز اسم (أَنَّ) المخففة إلّا في ضرورة الشعر؛ قال ابن هشام⁽⁴⁾ (ت 761 هـ): «وَرَبَّمَا جَاءَ اسْمُ (أَنَّ) فِي ضَرْوَةِ الشَّعْرِ مَصْرَحًا بِهِ غَيْرَ ضَمِيرِ شَأْنٍ، فَيَأْتِي خَبَرُهَا حِينَئِذٍ مَفْرَدًا وَجُمْلَةً».

⁽¹⁾ شرح قطر الندى وبلّ الصدى 207.

⁽²⁾ المزمل: 20.

⁽³⁾ تعجيل الندى بشرح قطر الندى 67.

⁽⁴⁾ شرح قطر الندى وبلّ الصدى 208.

وساق النحاة⁽¹⁾ البيت الآتي شاهداً لهم: [من المتقارب]
 بِأَنَّكَ رَبِيعٌ وَعَيْثٌ مَرِيعٌ وَأَنَّكَ هُنَاكَ تَكُونُ الثَّمَالَا
 وباستقراء مصادر شعر هذيل⁽²⁾ نعث على البيت منسوباً إلى جنوب أخت
 عمر ذي الكلب، بتثقيـل (أَنَّ) على النحو الآتي:
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمُغِيثَ لِمَنْ يَعْتَرِيكَ وَكُنْتَ الثَّمَالَا

وبهذه الرواية ورد البيت في عدد من مصادر اللغة والأدب؛ يقول
 السيوطي⁽³⁾ (ت 911 هـ): «كذا أورده صاحب (منتهى الطلب) فلا شاهد فيه»،
 وقال البغدادى⁽⁴⁾ (ت 1093 هـ): «وقد روى البيت أبو حنيفة الدينوري⁽⁵⁾ في

(1) جاء بهذه الرواية في: معاني القرآن للفراء 90/2، تهذيب اللغة 406/15، ديوان الأدب 465/1، شرح الرضي على الكافية 368/4، شرح الكافية الشافية 220/1، حاشية الحضري على ابن عقيل 139/1، شرح الأشموني 320/1، لسان العرب (أنن)، مغني اللبيب 73/1، أوضح المسالك 330/1، شرح قطر الندى وبلّ الصدى 209، خزنة الأدب 427/5، تاج العروس 31/18.

(2) شرح أشعار الهذليين 585/2، وفي ديوان الهذليين 123/3: «المرِيعَ وَكُنْتَ لِمَنْ يَعْتَفِيكَ الثَّمَالَا».

(3) شرح شواهد المغني للسيوطي 108/1.

(4) شرح أبيات مغني اللبيب 150/1.

(5) هو: أحمد بن داود بن وتند، أبو حنيفة، الدينوري، كان نحوياً لغوياً مع الهندسة والحساب، رواية ثقة، ورعاً زاهداً، أخذ عن البصريين والكوفيين، من مصنفاته: (لحن العامة)، (النبات)، (ت 281 هـ). يُنظر: بغية الوعاة 306/1.

كتاب (النبات)، وإبراهيم الحصريّ في (زهر الآداب)⁽¹⁾، والشريف الحسيني في (حماسه)⁽²⁾ هكذا:

بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّيِّعَ الْمُغِيثَ لِمَنْ يَعْتَرِيكَ وَكُنْتَ الثَّمَالَا

وعلى هذا لا شاهد فيه». وبرواية التضعيف -أيضاً- ورد في (أمالى المرتضى)⁽³⁾، وبهذا يتبيّن عدم صلاحية البيت للاستشهاد به على هذه الظاهرة.

4) نصب الفعل المضارع بعد (كما):

قال سيبويه⁽⁴⁾ (ت 180 هـ): «وسألت الخليل عن قول العرب: (انتظرنى كما آتيك)، و(ارقبنى كما ألحقك)، فزعم أنّ (ما) والكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد، وصيّرت للفعل كما صيّرت للفعل (ربّما)، والمعنى: لعلّى آتيك؛ فمن ثمّ لم ينصبوا به الفعل، كما لم ينصبوا بـ(ربّما)»، وهذا مذهب البصريّين⁽⁵⁾.

و«ذهب الكوفيّون إلى أنّ (كما) تأتي بمعنى (كيما)، وينصبون بها ما بعدها، ولا يمنعون جواز الرفع، واستحسنه أبو العباس المبرّد من البصريّين»⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ 190 / 2.

⁽²⁾ 225 / 1.

⁽³⁾ 244 / 2.

⁽⁴⁾ الكتاب 3 / 116.

⁽⁵⁾ يُنظر: الإنصاف 2 / 112.

⁽⁶⁾ نفسه 2 / 112.

واستدلَّ الكوفيُّون⁽¹⁾ بعدد من الشواهد الشعرية منها قول صخر الغي: [من المنسرح]

جَاءَتْ كَبِيرٌ كَمَا أُخْفَرَهَا وَالْقَوْمُ صَيْدٌ كَأَنَّهُمْ رَمَدُوا

وردَّ أبو البركات بن الأنباري⁽²⁾ (ت 577 هـ) على الكوفيِّين بأنَّه «لا حجة لهم فيه؛ لأنَّه روي (كما أخفَرها) بالرفع؛ لأنَّ المعنى: جاءت كما أجيئها، وكذلك رواه الفرَّاء⁽³⁾ من أصحابكم، واختار الرفع في هذا البيت، وهو الرواية الصحيحة»، وبالبحث عن البيت في مصادره⁽⁴⁾ تبين أنَّ الرواية هي:

جَاءَتْ كَبِيرٌ كَيْمًا أُخْفَرَهَا وَالْقَوْمُ صَيْدٌ كَأَنَّمَا رَمَدُوا

وهي رواية تُسقط الاحتجاج بالبيت. وقد ذكر بعض البحاٲ أنَّ الكوفيِّين غيَّروا في هذا البيت نصرَّةً لمذهبهم وتعريضاً لرأيهم⁽⁵⁾.
وبإدارة البحث في اتَّجاه آخر بعيداً عمَّا قد يتطرَّق إلى شواهد النحاة من تغيير لمعالمها، نجد رواية البيت في كتاب (الأغاني)⁽⁶⁾ مطابقة لرواية الدواوين.

(1) نفسه 112/2، خزانة الأدب 224/10.

(2) الإنصاف 115/2.

(3) لم أقف عليه في معاني القرآن.

(4) شرح أشعار الهذليِّين 1/260.

(5) يُنظر: تغيير النحويِّين للشواهد 25.

(6) 347/22.

المطلب الرابع: إبدال كلمة من أخرى

1 جزم (أدري) بعد (لا) النافية:

يقول سيبويه⁽¹⁾ (ت 180 هـ): «اعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتَّى يصير ساقطاً، وسترى ذلك إن شاء الله، ممَّا حُذف وأصله في الكلام غير ذلك: (لَمْ يَكْ) و(لا أدري) وأشباه ذلك»، وذلك «لأنَّ الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره ممَّا هو مثله. ألا ترى أنَّك تقول: (لم أكُ) ولا تقول: (لم أُنْ)، إذا أردت (أُفْل)؟ وتقول: (لا أدري) كما تقول: (هذا قاضٍ)، وتقول: (لم أبل) ولا تقول: (لم أرم) تريد (لم أرام). فالعرب ممَّا يغيِّرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره»⁽²⁾.

«وكان أبو عمر يقول: (هذه هند بنت عبد الله) فيمن صرف، ويقول: لَمَّا كثر في كلامهم حذفوه كما حذفوا (لا أدري) و(لم يكُ) و(لم أبل) و(خذ) و(كل) وأشباه ذلك، وهو كثير»⁽³⁾.

وقد احتجَّ النحاة⁽⁴⁾ لحذف الياء من الفعل (أدري) بعد (لا) النافية ببيت أبي خراش: [من الطويل]

وَلَا أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ مِنْ مَّاجِدٍ مُحَضِّ

(1) الكتاب 1/ 24، 25.

(2) نفسه 2/ 196.

(3) نفسه 3/ 506.

(4) ورد بهذه الرواية في: الإنصاف 1/ 364، شرح شواهد المغني للسيوطي 1/ 422.

قال أبو البركات بن الأنباري⁽¹⁾ (ت 577 هـ): «أراد: أدري»، وبمراجعة البيت في مظانه⁽²⁾ نجد الرواية:

* وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ *

فالفعل في هذه الرواية مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وعلى هذا يبطل الاستشهاد بالبيت على هذه المسألة. ويؤيد ذلك أنَّ رواية الدواوين أجمعت عليها جمهرة من كتب اللغة والأدب والتاريخ⁽³⁾.

(2) استعمال (على) للاستدراك:

استشهد النحاة واللغويون⁽⁴⁾ بقول أبي خراش السابق:

* عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَلَ مِنْ مَّاجِدٍ مُحَضِّ *

(1) الإنصاف 1/ 365.

(2) شرح أشعار الهذليين 3/ 1230، ديوان الهذليين 2/ 158.

(3) عيار الشعر 112، الأمالي لأبي عليّ القالي 1/ 271، الأغاني 5/ 414، 10/ 210، 224، 21/ 210، 224، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين 1/ 172، الخصائص 1/ 116، الوساطة بين المتنبي وخصومه 161، مقامات بديع الزمان الهمذاني 168، زهر الآداب 2/ 137، 138، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 797، دلائل الإعجاز 470، سمط اللآلي 1/ 601، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1/ 76، 77، المغرب في حلي المغرب 1/ 86، التذكرة الحمدونية 2/ 148، 200، معجم الأدباء 1/ 483، معجم البلدان 4/ 413، أسد الغابة 4/ 426، الكامل في التاريخ 9/ 287، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام 16/ 397، الإصابة في تمييز الصحابة 2/ 365، خزنة الأدب 5/ 406.

(4) الخصائص 1/ 116، الوساطة 161، مقامات بديع الزمان الهمذاني 168، الإنصاف 1/ 364، أسد الغابة 4/ 426، الكامل في التاريخ 9/ 287، خزنة الأدب 5/ 406.

على استعمال (على) للاستدراك بمعنى (لكن). وبمراجعة دواوين شعر هذيل⁽¹⁾ نجد رواية أخرى للبيت لا شاهد فيها على ما نحن بصدده، وهي:

* وَلَكِنَّهُ قَدْ سَلَ مِنْ مَّاجِدٍ مُحَضِّ *
وهي ذاتها رواية ابن قتيبة⁽²⁾ (ت 276 هـ)، والمرزوقي⁽³⁾ (ت 421 هـ)،

وغيرهما⁽⁴⁾. وذكر المرزوقي⁽⁵⁾ (ت 421 هـ) له رواية أخرى فقال: «ويروى:

* سَوَى أَنَّهُ قَدْ سَلَ ... *
ويكون موضع (سوى) من الإعراب نصباً على أنّه استثناء خارجٌ، ألا ترى

أنّه يتأتّى أن يُجعل مكانه (لكن)، والتقدير: لا أعرف اسمه ونسبه، إلّا أنّه ولدُ كريم بما ظهر من فعله، والمستثنى قد انقطع عن الأوّل».

وقد جاءت هذه الرواية في عدد من كتب اللغة والأدب⁽⁶⁾، ويرويه ابن عبد عبد البر⁽⁷⁾ (ت 463 هـ):

* خَلَا أَنَّهُ قَدْ سَلَ عَنْ مَّاجِدٍ مُحَضِّ *

(1) شرح أشعار الهذليّين 3/ 1207، 1230، ديوان الهذليّين 2/ 158.

(2) المعاني الكبير 2/ 338.

(3) شرح ديوان الحماسة 787.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة 2/ 365.

(5) شرح ديوان الحماسة 788.

(6) عيار الشعر 112، الأغاني 5/ 414، 16/ 52، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين

والجاهليّة والمخضرمين 1/ 172، زهر الآداب 2/ 137، 138، الذخيرة في محاسن أهل

الجزيرة 1/ 76، التذكرة الحمدونيّة 2/ 148، 200، معجم الأدباء 1/ 483، معجم البلدان

4/ 413.

(7) الاستيعاب في معرفة الأصحاب 797.

وأورد السيوطي⁽¹⁾ (ت 911 هـ) رواية أخرى فقال: «والذي أورده العسكري في أشعار هذيل:

* بَلَى إِنَّهُ..... *

وعلى هذا فلا شاهد فيه». وكلُّ هذه الروايات تتعاضد لإفقاد الشاهد حجّيته.

(3) استعمال (بل) للإضراب:

لكلِّ حرف من حروف العطف دلالة أو دلالات يختصُّ بها، ودلالة (بل): الإضراب، قال سيبويه⁽²⁾ (ت 180 هـ): «وأمّا (بل) فلتترك شيء من الكلام وأخذ في غيره»، وهذا قريب من قول المبرّد⁽³⁾ (ت 285 هـ) في حديثه عن حروف الجرّ: الجرّ: «ومنها (بل)، ومعناه: الإضراب عن الأوّل والإثبات للثاني؛ نحو قولك: ضربت زيداً، بل عمرًا. وجاءني عبد الله، بل أخوه. وما جاءني رجل، بل امرأة»، وهو ما عبّر عنه الرضي⁽⁴⁾ (ت 686 هـ) بقوله: «جعل الحكم الأوّل - موجبًا كان أو غير موجب - كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه».

وقد اعترض ابن هشام⁽⁵⁾ (ت 761 هـ) على قول النحاة: (بل) حرف إضراب، إضراب، فقال في «باب في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب

(1) شرح شواهد المغني للسيوطي 1/ 423.

(2) الكتاب 4/ 223.

(3) المقتضب 1/ 150.

(4) شرح الرضي على الكافية 4/ 417، 418.

(5) مغني اللبيب 2/ 445.

خلافها»: «والسابع قولهم: (بل) حرف إضراب، والصواب: حرف استدراك وإضراب؛ فإنَّها بعد النفي والنهي بمنزلة: لكن، سواء». وساق النحاة⁽¹⁾ شاهداً على استعمال (بل) للإضراب قول أبي ذؤيب: [من البسيط]

بَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الْحَيِّ غَادِيَّةً كَالْتَّخْلِ زَيْنَهَا يَنْعُ وَإِفْضَاخُ
قال ابن سيده⁽²⁾ (ت 458 هـ): «ومعنى (بل): الإضراب عن الشيء الأول، ويوضحه قول أبي ذؤيب:

* بَلْ هَلْ أُرِيكَ ... *

لأنَّه أضرَب عن الأوَّل واستأنف الكلام بالاستفهام». وبمراجعة الدواوين⁽³⁾ نجدُها ترويه برواية لا شاهد فيها على ما ذهبوا إليه: يَا هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الْحَيِّ غَادِيَّةً كَالْتَّخْلِ زَيْنَهَا يَنْعُ وَإِفْضَاخُ
ويعزِّز رواية الدواوين ورودُها كذلك في عدد من المعاجم اللغويَّة⁽⁴⁾، ولعلَّ الاختلاف في رواية هذا البيت بسبب تصحيف (بل) إلى (يا). وعلى كلِّ حال فإنِّي أعتقد - بعد ما تبين - أنَّه لا ينبغي الاستدلال بهذا الشاهد في هذا الباب.

⁽¹⁾ الكتاب 223 / 4، المخصَّص 232 / 4.

⁽²⁾ نفسه 232 / 4.

⁽³⁾ شرح أشعار الهذليين 164 / 1، ديوان الهذليين 45 / 1.

⁽⁴⁾ تهذيب اللغة 127 / 4، المحكم 135 / 3، ديوان الأدب 289 / 2، لسان العرب (حمل).

4 استعمال اللام للقسم والتعجب:

يقول سيبويه⁽¹⁾ (ت 180 هـ): «وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجرِّ، وأكثرها الواو، ثمَّ الباء، يدخلان على كلِّ محلوف به، ثمَّ التاء، ولا تدخل إلَّا في واحد، وذلك قولك: والله لأفعلنَّ، وبالله لأفعلنَّ، ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾»⁽²⁾.

وقال الخليل: إنَّما تبيء بهذه الحروف؛ لأنَّك تضيف حَلِفَكَ إلى المحلوف به كما تضيف مررت به بالباء، إلَّا أنَّ الفعل يجيء مضمراً في هذا الباب، والحَلِفُ تأكيد. وقد تقول: تالله! وفيها معنى التعجب. وبعض العرب يقول في هذا المعنى: لله، فيجيء باللام، ولا تبيء إلَّا أن يكون فيها معنى التعجب. واستدلَّ النحاة⁽³⁾ على استعمال اللام للقسم والتعجب معاً بقول الشاعر: [من البسيط]

لِلَّهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو حَيْدٍ بِمُشْمَخَرِّ بِهِ الظَّيَّانُ وَالْأَسْ

وقد اختلفت المصادر في إسناد هذا البيت اختلافاً كبيراً؛ فهو يُنسب إلى أمية ابن أبي عائذ⁽⁴⁾، وإلى مالك بن خالد الخناعي⁽⁵⁾، وإلى عبد مناف⁽¹⁾، وإلى أبي

(1) الكتاب 3/ 496، 497.

(2) الأنبياء: 57.

(3) الكتاب 3/ 497، المقتضب 2/ 323، الأصول في النحو 1/ 430، اللامات 81، الصاحبيّ الصاحبيّ في فقه اللغة 75، المخصّص 4/ 72، المفصل 484، مغني اللبيب 1/ 422، الجني الداني 98، القاموس المحيط (لوم)، اللباب في علوم الكتاب 1/ 174، 13/ 523، همع الهوامع 2/ 367.

(4) الكتاب 3/ 479، الأصول في النحو 1/ 430، المخصّص 4/ 72، اللباب في علوم الكتاب 1/ 174، 13/ 523.

(5) العين (آس)، جمهرة اللغة 1/ 57، تهذيب اللغة 14/ 290، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي 1/ 417، شرح شواهد الإيضاح لابن برّي 303، المحكم 3/ 428، تاج العروس 430/ 4.

أبي ذؤيب⁽²⁾، وإلى ساعدة بن جؤيّة⁽³⁾، وإلى الهذليّ بدون تحديد⁽⁴⁾، ومنهم من أغفل نسبته⁽⁵⁾.

وأشار البغداديّ⁽⁶⁾ (ت 1093 هـ) إلى هذا الاختلاف بقوله: «والقصيدة لأبي ذؤيب الهذليّ... ووقع هذا الشعر في (كتاب سيبويه) معزّواً لمالك بن خالد الخُناعيّ،... وقال اللخميّ⁽⁷⁾: وبعضهم روى هذا الشعر لأُميّة بن أبي عائذ الهذليّ. وأنشده الزمخشريّ في (المفصل) لعبد مناف الهذليّ. وقال ابن السيّد: وروي للفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب. وقال ابن المستوفى⁽⁸⁾ في (شرح شواهد المفصل): ورواه أبو الحسن الأخفش لأبي زبيد الطائيّ، والله أعلم».

(1) المفصل 484، وفيه: «عبد مناة» خطأ.

(2) لسان العرب (ظين).

(3) تاج العروس 65/5، مع اختلاف في العجز.

(4) جمهرة اللغة 238/1، المحكم 327/5، 638/8، لسان العرب (شمخر)، (أوس)، تاج

العروس 57/7.

(5) المقتضب 323/2، اللامات 81، المحرّر الوجيز 1014، القاموس المحيط (لوم).

(6) خزانة الأدب 178/5، 179.

(7) هو: محمّد بن أحمد بن هشام اللخميّ النحويّ اللغويّ السبتيّ، أبو عبد الله، له (المدخل إلى تقويم اللسان)، و(شرح الفصيح)، و(شرح مقصورة ابن دريد)، (ت بعد 557 هـ). يُنظر بغية الوعاة 48/1، 49.

(8) هو: المبارك بن أحمد، شرف الدين، أبو البركات الإربليّ، إمام في الحديث وفنون الأدب واللغة، من مصنفاته (شرح ديوان المتنبيّ وأبي تمام)، و(إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل)، (ت 637 هـ). يُنظر: بغية الوعاة 272/2.

وبالبحث عن هذا الشاهد في مصادر الشعر الهذليّ، ومصادر اللغة والأدب عامّة، تبين أنّه وارد بخمس روايات غير الرواية التي استدلّ بها النحاة، وهي:

الأولى⁽¹⁾: * تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَّامِ ذُو حَيْدٍ *

الثانية⁽²⁾: * يَا مَيِّ لَا يُعْجِزُ الْآيَّامَ ذُو حَيْدٍ *

الثالثة⁽³⁾: * يَا مَيِّ لَنْ يُعْجِزَ الْآيَّامَ ذُو حَدَمٍ *

الرابعة⁽⁴⁾: * وَالْخُنْسُ لَنْ يُعْجِزَ الْآيَّامَ ذُو حَيْدٍ *

الخامسة⁽⁵⁾: * وَالْجَيْشُ مَنْ يُعْجِزُ الْآيَّامَ ذُو حَيْدٍ *

وقد ذكر بعض هذه الروايات صاحبُ (خزانة الأدب)⁽⁶⁾ وزاد عليها فقال: «قال ابن السّيد: ويروى بالباء الموحّدة... ووقع في رواية سيّويه⁽⁷⁾ تركيب مصراعين من بيتين هكذا:

يَا مَيِّ لَا يُعْجِزُ الْآيَّامَ ذُو حَيْدٍ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَامٌ وَفَرَأْسُ

(1) شرح أشعار الهذليّين 1/ 56، ديوان الهذليّين 1/ 124، جمهرة اللغة 1/ 57، 238، الصحاح (حيد)، (شمخر)، (ظي)، المحكم 3/ 428، 5/ 327، الحلل في شرح أبيات الجمل 67، المحرّر الوجيز 1014، شرح الرضي على الكافية 4/ 315، لسان العرب (شمخر)، (قرنس)، اللباب في علوم الكتاب 11/ 190.

(2) شرح أشعار الهذليّين 1/ 227، الكتاب 2/ 67، وفيه بنصب (مَيِّ).

(3) شرح أشعار الهذليّين 1/ 439.

(4) نفسه 1/ 440، ديوان الهذليّين 3/ 2. والعين (آس).

(5) تهذيب اللغة 14/ 290.

(6) 177/ 5، 178.

(7) الكتاب 2/ 67.

... قال السيرافي: وقع في البيت الأوّل من هذين غلط من (كتاب سيبويه)؛ لأنّ قوله: (ذو حيد): وعل، و(رزّام وفرّاس): أسد، والصواب الذي حملته الرواة: يَأْمِي لَا يُعْجِزُ الْأَيَّامَ ذُو حَيْدٍ بِمُشْمَخِرِّبِهِ الظِّيَّانُ وَالْأَسُّ. ولا يخفى على المتأمل أنّ هذا الاختلاف في رواية الشاهد، والاضطراب في نسبته، يفقدانه حجّيته.

المطلب الخامس: تغيير شرط البيت

1) نصب النكرة بفعل محذوف:

استشهد النحاة⁽¹⁾ بقول الشاعر: [من المتقارب]

وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عَظَلٍ وَشَعْنًا مَرَضِيْعٍ مِثْلَ السَّعَالِي

على أنّ قوله: «شعناً»، نكرة منصوبة بفعل محذوف، على خلاف في تقديره، بين: أترحم، وأذكر، وأمدح، وأشتّم؛ قال الزمخشري⁽²⁾ (ت 538 هـ) بعد أن أنشد البيت: «وهذا الذي يقال فيه: نصب على المدح، والشتّم، والترحم». قال الخليل⁽³⁾ (ت 175 هـ): «نصب (شعناً) و(مراضيع) على الترحم»، وقال سيبويه⁽⁴⁾ (ت 180 هـ): «ومن هذا الباب في النكرة قول أُمَيَّة بن أبي عائذ: ...».

⁽¹⁾ الجمل في النحو 65، الكتاب 2/ 66، الكشف 1/ 344، المفصل 70، الانتخاب 34، تفسير البحر المحيط 2/ 421، أوضح المسالك 3/ 283، اللباب في علوم الكتاب 5/ 98، 123/ 7، خزانة الأدب 2/ 426، روح المعاني 2/ 71، 4/ 20.

⁽²⁾ المفصل 70.

⁽³⁾ الجمل في النحو 65.

⁽⁴⁾ الكتاب 2/ 66.

كأنه حيث قال: (إلى نسوة عُطِّل) صرَنَ عنده ممَّنْ علُم أَنَّهُنْ شُعْثٌ، ولكنَّه ذكر ذلك تشنيعاً لهنَّ وتشويهاً. قال الخليل: كأنه قال: وأذكرهنَّ شُعْثاً، إلاَّ أنَّ هذا فعل لا يستعمل إظهاره.

وقال الزمخشري⁽¹⁾ (ت 538 هـ) محتجاً بالبيت: «فإن قلت: أليس من حقَّ المنتصب على المدح أن يكون معرفة؛ كقولك: الحمد لله الحميد، (إِنَّا مَعشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ)⁽²⁾، (إِنَّا بني نهشل لا نُدعى لأب)⁽³⁾؟ قلت: قد جاء نكرة كما جاء معرفة، وأندشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي:....»⁽⁴⁾.

واشترط الرضي⁽⁵⁾ (ت 686 هـ) لقطع النعت إن كان نكرة شرطين، فقال: «فالشرط:

1. سبقه بنعت آخر مبين.
2. وألاً يكون النعت الثاني - أيضاً - لمجرّد التخصيص؛ لأنَّه إذا احتاجت النكرة إلى ألف نعت لتخصيصها لم يجز القطع؛ إذ لا قطع مع الحاجة».

(1) الكشاف 1/ 344.

(2) مسند أحمد بن حنبل، برقم: 9973.

(3) الشعر والشعراء 2/ 638.

(4) عقَّب أبو حيَّان على هذا النصِّ بكلام تظهر وجاهته، وهو قوله: «وفي ذلك تخليط، وذلك أنَّه لم يفرِّق بين المنصوب على المدح أو الذمِّ أو الترحم، وبين المنصوب على الاختصاص، وجعل حكمهما واحداً، وأورد مثلاً من المنصوب على المدح، وهو: الحمد لله الحميد، ومثالين في المنصوب على الاختصاص، وهما: (إِنَّا معشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ)، (إِنَّا بني نهشل لا نُدعى لأب)». تفسير البحر المحيط 2/ 422.

(5) شرح الرضي على الكافية 2/ 322.

ثمَّ ذكر أنَّه لكي يظهر القطع لا بدَّ من أن يكون بالواو، فقال⁽¹⁾: «والأعراف مجيء نعت النكرة المقطوع بالواو الدالة على القطع والفصل؛ إذ ظاهر النكرة محتاج إلى الوصف، فأكد القطع بحرف هو نصُّ في القطع، أعني الواو». واستدلَّ على ما ذهب إليه بهذا البيت.

وبمراجعة مصادر شعر الهذليين⁽²⁾ لم أجد فيه سوى قول أمية بن أبي عائذ:

لَهْ نِسْوَةٌ عَاطِلَاتُ الصَّدْوِ رِ عَوْجٌ مَرَاضِعُ مِثْلُ السَّعَالِي

باختلاف الشطر الأوَّل من البيت، وهي الرواية نفسها التي رواها ابن قتيبة (ت 276 هـ) في (المعاني الكبير)⁽³⁾، وأوردها البغداديّ (ت 1093 هـ) في (خزانة الأدب)⁽⁴⁾ قائلاً: «وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت».

2) جرُّ المفعول له باللام:

«المفعول له - ويسمَّى المفعول لأجله، ومن أجله -: هو كُلُّ مصدر، معلَّل لحدث، مشارك له في الزمان، والفاعل»⁽⁵⁾؛ بمعنى أنَّه: «ما اجتمع فيه أربعة أمور:

1. أن يكون مصدرًا.
2. أن يكون مذكورًا للتعليل.

⁽¹⁾ نفسه 322 / 2.

⁽²⁾ شرح أشعار الهذليين 507 / 2، ديوان الهذليين 184 / 2.

⁽³⁾ 122 / 2.

⁽⁴⁾ 429 / 2.

⁽⁵⁾ شرح قطر الندى وبلّ الصدى 288.

3. أن يكون المعلل به حدثاً مشاركاً له في الزمان.

4. أن يكون مشاركاً له في الفاعل.

مثال ذلك قوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾⁽¹⁾؛ قال ابن هشام⁽²⁾ (ت 761 هـ): «فال(حذر): مصدر منصوب، ذكر علة لجعل الأصابع في الآذان، وزمنه وزمن الجعل واحد، وفاعلها - أيضاً - واحد، وهم الكافرون، فلما استوفيت هذه الشروط انتصب».

ولم يشترط سببويه والمتقدمون الشرطين الثالث والرابع، يقول السيوطي⁽⁴⁾ (ت 911 هـ): «ولم يشترط ذلك سببويه ولا أحد من المتقدمين، فيجوز عندهم (أكرمتك أميس طمعاً غداً في معروفك)، و(جئت حذر زيد)، ومنه: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾⁽⁵⁾، ففاعل الإراءة هو الله، والخوف والطمع من الخلق».

«وشرط الأعلام والمتأخرون مشاركته لفعله في الوقت والفاعل؛ نحو: ضربت ابني تأديباً»⁽⁶⁾، قال ابن عقيل⁽⁷⁾ (ت 769 هـ): «فإن فقد شرط من هذه الشروط تعيّن جرّه بحرف التعليل، وهو: اللام، أو (من)، أو (في)، أو الباء».

(1) البقرة: 19.

(2) شرح شذور الذهب 210.

(3) شرح قطر الندى وبلّ الصدى 288.

(4) همع الهوامع 98/2، 99، وفيه «الإرادة» مكان «الإراءة» خطأً.

(5) الرعد: 12.

(6) نفسه 98/2.

(7) شرح ابن عقيل 186/2.

فمثال ما عُدَّت فيه المصدرية قولك: جئتكَ للسَّمْنِ.

ومثال ما لم يتَّحد مع عامله في الوقت: جئتكَ اليوم للإكرام غداً.

ومثال ما لم يتَّحد مع عامله في الفاعل: جاء زيد لإكرام عمِّه له»

ومن هذا قوله - تعالى -: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾⁽¹⁾، «فإنَّ (تركبوها) بتقدير: لأنَّ تركبوها، وهو علَّة لخلق الخيل والبغال والحمير، وجيء به مقروناً باللام لاختلاف الفاعل؛ لأنَّ فاعل الخلق هو الله - سبحانه وتعالى - وفاعل الركوب بنو آدم، وجيء بقوله - جلَّ ثناءؤه - (وزينة) منصوباً؛ لأنَّ فاعل الخلق والتزيين هو الله، تعالى»⁽²⁾.

ونجد قول أبي صخر الآتي - في عدد من كتب النحو⁽³⁾ - شاهداً على وجوب جرِّ المفعول له باللام إذا لم يتَّحد مع عامله في الفاعل: [من الطويل]

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِرَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ

«والشاهد: اختلاف الفاعل في: (تعروني)، و(ذكراك)، ففاعل (تعروني) (الهرة)، وفاعل (لذكراك) المتكلم؛ لذلك وجب جرُّ (لذكراك) بلام التعليل»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ النحل: 8.

⁽²⁾ شرح قطر الندى وبلّ الصدى 291.

⁽³⁾ يُنظر: أوضح المسالك 199 / 2، شرح قطر الندى وبلّ الصدى 290، شرح شذور الذهب الذهب 212، همع الهوامع 98 / 2.

⁽⁴⁾ معجم النحو 360، الهامش رقم (4)، ويُنظر: شرح شذور الذهب 212، همع الهوامع 98 / 2.

وبالرجوع إلى البيت في مظانّه⁽¹⁾ نجدها ترويه:

إِذَا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

باختلاف كامل في الشطر الأول، وهي رواية تُسقط الاحتجاج بالبيت، وهي رواية الرّماني (ت 384 هـ) عن السكّري (ت 275 هـ) عن الأصمعي⁽²⁾ (ت 216 هـ)، وبها جاءت مصادر لغويّة عدّة⁽³⁾، وهذه المصادر - كما أسلفت - تتميز روايتها ببعدها عن الصناعة التي قد تصيب رواية النحاة.

المطلب السادس: تلفيق شاهد من بيتين

منع النحاة مثل هذا النوع من التغيير؛ وسّمّوه بـ(التلفيق)، يقول السيوطي⁽⁴⁾ (ت 911 هـ): «قال أبو سعيد السكّري⁽⁵⁾ في (شرح شعر هذيل): يمتنع التلفيق في رواية الأشعار، قال: كقول أبي ذؤيب: [من الطويل]

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لَأَمْرِهِ سَمِيعٌ، فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طَلَابُهَا؟

فإنّ أبا عمر رواه بهذا اللفظ (دعاني) و(سميع)، ورواه الأصمعي بلفظ (عصاني) بدل (دعاني) وبلفظ (مطيع) بدل (سميع). قال: فيمتنع في الإنشاد ذكر (دعاني) مع (مطيع)، أو (عصاني) مع (سميع)؛ لأنّه من باب التلفيق».

(1) شرح أشعار الهذليين 957/2.

(2) يُنظر: خزانة الأدب 257/3.

(3) يُنظر: لسان العرب (رمث)، وخزانة الأدب 257/3، وتاج العروس 62/14.

(4) المزهرة 333/2.

(5) لم أقف عليه في شرح أشعار الهذليين.

وممّا وقع منه في شعر هذيل ما يأتي:

(1) استعمال (أو) بمعنى الواو:

يجيز النحاة استعمال (أو) فيما تستعمل فيه الواو، ومن شواهدهم⁽¹⁾ على ذلك قول أبي ذؤيب: [من البسيط]

وَكَانَ سَيَّانٍ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا، وَاعْبَرَتِ السُّوْحُ
يقول ابن جني⁽²⁾ (ت 392 هـ): (سواء)، و(سيّان) لا يُستعمل إلّا بالواو، والمعنى: فكان سيّان إلّا يسرحوا نعمًا وأن يسرحوه بها. ويلتقي بهذا قول ابن سيده⁽³⁾: «معناه: سيّان أن لا يسرحوا نعمًا وأن يسرحوه بها؛ لأنّ (سواء) و(سيّان) لا يستعمل إلّا بالواو، فوضع أبو ذؤيب (أو) هنا موضع الواو». وذكر أبو عليّ (ت 377 هـ) في (الإيضاح)⁽⁴⁾ علّة هذا الاستعمال فقال: «فإنّما آنسه بذلك أنّك تقول: (جالس الحسن أو⁽⁵⁾ ابن سيرين)، فيستقيم له أن

(1) يُنظر: الإيضاح 222، الخصائص 1/ 384، 2/ 225، المحكم 8/ 639، بداية المجتهد ونهاية المقتصد 1/ 124، شرح المفصل لابن يعيش 8/ 91، رصف المباني 132، 427، الفصول المفيدة في الواو المزيّدة 80، شرح شواهد الإيضاح لابن بريّ 245، لسان العرب (سوا)، شرح شواهد المغني للسيوطي 1/ 198، خزانة الأدب 4/ 89، 5/ 134، 11/ 70، تاج العروس 19/ 548.

(2) يُنظر: الخصائص 1/ 348.

(3) المحكم 8/ 639.

(4) 223، ويُنظر: خزانة الأدب 5/ 135.

(5) في (الإيضاح): «وابن»، ولعلّه خطأ طباعيّ.

يجالسهما جميعاً». وليس هذا التعليل ببعيد من قول الرضي⁽¹⁾: «لَمَّا اسْتَعْمَلَ (أَوْ) كَثِيرًا فِي الْإِبَاحَةِ فَجَازَ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ نَحْوُ: جَالَسَ الْحَسَنُ أَوْ ابْنَ سِيرِينَ = صَارَ كَالْوَاوِ، وَلِهَذَا جَازَ قَوْلُهُ:

* وَكَانَ سَيَّانٍ *

فقال مع (سيان): (أو يسرحوه)، والحق: (ويسرحوه).

بينما يرى ابن سيده⁽²⁾ (ت 458 هـ) أَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى ارْتِكَابِ ذَلِكَ فَرَارًا مِنَ الزَّحَافِ، فَهُوَ يَقُولُ مَعْقِبًا عَلَى الْبَيْتِ: «وَأِنَّمَا حَمَلَ أَبَا ذُؤَيْبٍ عَلَى أَنْ قَالَ: (أَوْ) يَسْرَحُوهُ بِهَا) كَرَاهِيَّتِهِ الْخَبْنَ فِي (مُسْتَفْعِلُنْ)، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ: (وَيَسْرَحُوهُ) لَكَانَ الْجُزْءُ مَخْبُونًا؟».

وقد سرى هذا البيت في كتب اللغويين والنحاة، من لدن أبي علي (ت 377 هـ) إلى السيوطي (ت 911 هـ)؛ شاهدًا على استعمال (أو) بمعنى الواو، إلى أن قال البغدادي (ت 1093 هـ) في (الخرانة)⁽³⁾: «وَجَمِيعُ النُّحَوِيِّينَ رَوَوْا هَذَا الْبَيْتَ كَذَا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ مَلْفَقًا مِنْ بَيْتَيْنِ فِي قَصِيدَةٍ لِأَبِي ذُؤَيْبٍ الْهَذَلِيِّ، وَهَمَا:

وَقَالَ رَاعِيهِمْ: سَيَّانٍ سَيْرُكُمْ وَأَنْ تُقِيمُوا بِهِ، وَاعْبَرَتِ السُّوحُ
وَكَانَ مِثْلَيْنِ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا حَيْثُ اسْتَرَدَّتْ مَوَاشِيَهُمْ وَتَسْرِحُ

(1) شرح الرضي على الكافية 2/ 353.

(2) المحكم 8/ 640.

(3) 137/ 5. ويُنظر: الهامش (1) من الإيضاح 222.

وعلى هذا لا شاهد فيه». ويذهب أحد البحّاث⁽¹⁾ إلى أنّ هذا النوع من أنواع التغير - وهو تركيب بيت من بيتين - متعمّد من النحاة، وسببه إيجاد شاهد لهم في البيت المركّب.

وبتتبع هذا الشاهد في مصادره نجد الدواوين⁽²⁾ ترويه بالرواية الآتية:

وَقَالَ مَا شِئْتُمْ سَيَّانِ سَيْرُكُمْ أَوْ أَنْ تُقِيمُوا بِهِ، وَأَغْبَرَتِ السُّوحُ
وَكَانَ مِثْلَيْنِ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعْمًا حَيْثُ اسْتَرَادَتْ مَوَاشِيَهُمْ وَتَسْرِيحُ

وما دام شاهد النحاة ملفّقاً فإنّه يسقط الاحتجاج به، وينبغي أن يُصار إلى رواية الدواوين للاستشهاد بها في إثبات هذه المسألة؛ لأنّه لا بدّ فيها من حمل (أو) على معنى الواو، والمعنى: سيّان سيركم وإقامتكم، «وإنّما احتيج إلى جعل (أو) بمعنى الواو؛ لأنّ (سواء) و(سيّين) يطلبان شيئين، فلو جعلت (أو) لأحد الشيين لكان المعنى: سيّان أحدهما، وهذا كلام مستحيل»⁽³⁾.

2) تأنيث (فعل) الذي بمعنى (فاعل):

إذا كان (فعل) بمعنى (فاعل) لحقته تاء التأنيث؛ مثل: (قدير) و(قديرة)، و(كريم) و(كريمة). وإذا كان (فعل) بمعنى (مفعول) يجب تذكيره؛ نحو: (عين

⁽¹⁾ تغير النحويين للشواهد 31.

⁽²⁾ شعر أشعار الهذليين 1/ 122، وفي ديوان الهذليين 1/ 107، 108: «وَأَنْ تُقِيمُوا» وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه.

⁽³⁾ خزنة الأدب 5/ 134.

كحيل) و(كف خضيب)؛ قال سيبويه⁽¹⁾ (ت 180 هـ): «وقد أجري شيء من (فعليل) مستويًا في المذكر والمؤنث، شُبّه بـ(فُعول)؛ وذلك قولك: جديد، وسديس، وكتيبة خصيف، وريح خريق»، وقد استشهد النحاة⁽²⁾ على ذلك بقول الأعلام: [من الوافر]

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

والشاهد فيه قوله: «خريق» حيث جاء صفة للريح، وهي مؤنثة، وقد أسقطت منها هاء التأنيث، قال الواحدي⁽³⁾ (ت 468 هـ): «و(الخريق): الريح الشديدة»، هذا هو وجه استشهاد النحاة بهذا البيت.

ويذهب الجوهري⁽⁴⁾ (ت 393 هـ) بعيدًا حينما يقول: «وهو شاذٌّ، وقياسه (خريقة)»؛ والصواب أنه ليس بشاذٌّ، وإنَّما هو مقيس عند النحاة، كما تقدّم في كلام سيبويه (ت 180 هـ)؛ وفي ذات المعنى يقول الرضي⁽⁵⁾ (ت 686 هـ): «وقد جاء شيء من (فعليل) بمعنى (فاعل) مستويًا فيه المذكر والمؤنث؛ حملاً على

(1) الكتاب 3/ 638.

(2) ورد بهذه الرواية في: إصلاح المنطق 272، تهذيب اللغة 21/ 7، الصحاح (خرق)، ديوان الأدب 2/ 123، شرح ديوان المتنبي للواحي 479، لسان العرب (خرق)، (خفق)، تاج العروس 13/ 108، 116.

(3) شرح ديوان المتنبي 479.

(4) الصحاح (خرق).

(5) شرح شافية ابن الحاجب 2/ 139.

(فعليل) بمعنى (مفعول)؛ نحو: جديد، وسديس، وريح خريق، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾ ويلزم ذلك في سديس وخريق». وبمراجعة البيت في دواوين شعر هذيل⁽²⁾ لم أقف إلا على قول الأعلام: [من الوافر]

كَأَنَّ جَنَاحَهُ خَفَقَانُ رِيحٍ يَمَانِيَّةٍ يَرِيطُ غَيْرَ بَالِي

وقوله⁽³⁾: [من الوافر]

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ زَمْخَرِيَّ السَّ سَوَاعِدِ ظَلٍّ فِي شَرِي طَوَالٍ

وهذا يبعث على الشكّ في أنّ الشاهد ملفّق من هذين البيتين مع شيء من التغيير، وذلك يُضعف الاستدلال به، بل يفقده حجّيته.

المطلب السابع: صناعة شاهد

1) جمع وزن (فَعْلَة) معتلّ العين على (فَعَلَات) بفتح العين:

يقول الرضي⁽⁴⁾ (ت 686 هـ): «كُلُّ ما هو على وزن (فَعْل) وهو مؤنّث بتاء ظاهرة أو مقدّرة؛ كـ(دعد)، و(جفنة)؛ فإن كان صفة كـ(صَعْبَة)، أو مضاعفاً

⁽¹⁾ الأعراف: 56.

⁽²⁾ شرح أشعار الهذليين 1/ 321، ديوان الهذليين 2/ 84.

⁽³⁾ شرح أشعار الهذليين 1/ 320، ديوان الهذليين 2/ 84.

⁽⁴⁾ شرح الرضي على الكافية 3/ 392.

ك(مَدَّة)، أو معتلّ العين ك(بَيْضَة) و(جَوْزَة)، وجب إسكان عينه في الجمع بالألف والتاء، وإن خلا من هذه الأشياء وجب فتح عينه، ك(تَمَرَات)، و(دَعْدَات)».

وقد وردت عن العرب لغة تفتح عين المعتلّ إذا جُمع بألف وتاء، ونُسبت هذه اللغة إلى هذيل؛ ففي (الكتاب)⁽¹⁾: «وقد يجمعون المؤنث الذي ليست فيه هاء التأنيث بالتاء كما يجمعون ما فيه الهاء؛ لأنّه مؤنّث مثله، وذلك قولهم: عُرْسَات، وَأَرْصَات، وَعَيْر وَعَيْرَات؛ حَرَّكُوا الياء، وأجمعوا فيها على لغة هذيل؛ لأنّهم يقولون: بَيَّضَات، وجَوَازَات». ونسبها المبرّد⁽²⁾ (ت 285 هـ) - أيضًا - إلى هذيل حينما قال: «فأمّا ما كانت الياء والواو منه في موضع العين فإنّ فيه اختلافًا، أمّا الأقيس والأكثر في لغات جميع العرب فأُن تقول في (بَيْضَة): بَيَّضَات، وفي (جَوْزَة): جَوَازَات، وفي (لَوْزَة): لَوَّزَات. وأمّا هذيل بن مدركة خاصّة فيقولون: جَوَازَات، وبَيَّضَات، وَلَوَّزَات، على منهاج غير المعتلّ، ولا يقبلون واحدة منهما ألفًا». وصرّح ابن جني⁽³⁾ (ت 392 هـ) بأنّ فتح حرف العلة في نحو هذا لغة هذيل فقال: «صحّ في لغة هذيل قولهم: جَوَازَات وبَيَّضَات». وما هذا ببعيد من قول الزمخشري⁽⁴⁾ (ت 538 هـ): «إذا اعتلّت فالإسكان

⁽¹⁾ 600 / 3.

⁽²⁾ المقتضب 2 / 193.

⁽³⁾ الخصائص 2 / 401.

⁽⁴⁾ المفصل 238.

كَبَيْضَاتٍ وَجَوَزَاتٍ وَدَيْمَاتٍ وَدَوَلَاتٍ، إِلَّا فِي لُغَةِ هَذِيلٍ»، وَقَالَ السَّكَّاكِيُّ⁽¹⁾ (ت 626 هـ): «وَأَمَّا نَحْوُ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

*** أَخَوَبِيضَاتٍ رَائِحٍ مُتَأَوِّبٍ ***

فَإِنَّمَا يَقَعُ فِي لُغَةِ هَذِيلٍ». وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ⁽²⁾ (ت 761 هـ) - أَيْضًا - أَنَّ هَذِيلًا تَحَرَّكَ الْعَيْنَ فِي نَحْوِ: (بَيضَاتٍ)، وَ(جَوَزَاتٍ)، وَ(رَوْضَاتٍ). وَيَمْضِي الرُّضِيُّ⁽³⁾ (ت 686 هـ) فِي رَكْبِ أَسْلَافِهِ مِنْ أَثَمَّةِ النُّحُوِّ وَاللُّغَةِ قَائِلًا: «وَتَفْتَحُ هَذِيلُ الْعَيْنِ الْمُعْتَلَّةُ؛ كَجَوَزَاتٍ وَبَيضَاتٍ». وَلَا يَخْرُقُ السِّيَوِيُّ⁽⁴⁾ (ت 911 هـ) هَذَا الْإِجْمَاعَ حِينَمَا يَقُولُ: «فَإِنْ كَانَ حَرْفُ الْعَلَّةِ غَيْرَ مَجَانِسٍ لِلْحَرَكَةِ؛ نَحْوُ: جَوْزَةٍ وَبَيِضَةٍ، فَجَمْهُورُ الْعَرَبِ - أَيْضًا - عَلَى التَّسْكِينِ، وَلُغَةُ هَذِيلٍ الْإِتْبَاعُ».

وَيَقْوِي مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمْهُورُ النَّحَاةِ قِرَاءَةُ أَحَدِ تَلَامِيذِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَوْلَ - اللَّهُ تَعَالَى -: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾⁽⁵⁾: (عَوْرَاتٍ) بَفَتْحِ الْوَاوِ؛ قَالَ الشُّوَكَانِيُّ⁽⁶⁾ (ت 1250 هـ): «وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: (عَوْرَاتٍ) بَفَتْحِ الْوَاوِ، وَهِيَ لُغَةُ هَذِيلٍ»، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ أَبِي زُرْعَةَ⁽⁷⁾ (ت- فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ هـ): «وَالْعَوْرَاتُ جَمْعُ (عَوْرَةٍ)، وَحُكْمُ مَا

⁽¹⁾ مفتاح العلوم 62.

⁽²⁾ أوضح المسالك 4/ 275.

⁽³⁾ شرح الرضي على الكافية 3/ 394.

⁽⁴⁾ همع الهوامع 1/ 82.

⁽⁵⁾ النور: 58.

⁽⁶⁾ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير 2/ 1054، ويُنظر: الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون 8/ 440.

⁽⁷⁾ حجة القراءات 506.

كان على (فعلة) من لأسماء: تحريك العين في الجمع؛ نحو: (حفنة) و(حفنات) ،
إِلَّا أَنَّ عَامَّةَ الْعَرَبِ كَرَهُوا تَحْرِيكَ الْعَيْنِ فِيمَا كَانَ عَيْنُهُ وَآوًا أَوْ يَاءً؛ لِمَا كَانَ
يَلْزَمُ مِنَ الْإِنْقِلَابِ إِلَى الْأَلْفِ، فَاسْكَنُوا وَقَالُوا: (عَوْرَات) و(بَيْضَات)، وهذيل
حَرَّكُوا الْعَيْنَ مِنْهَا فَقَالُوا: (عَوْرَات)».

وقد استشهد النحاة⁽¹⁾ ببيت نسبوه إلى هذيل، ليس له أثر في دواوين
شعرها، وهو قول الشاعر: [من الطويل]

أَخُو بَيْضَاتٍ رَائِحٍ مُتَأَوِّبٍ رَفِيقٍ بِمَسْجِ الْمُنْكَبَيْنِ سَبُوحٍ

وقد تنبّه البغدادِيُّ⁽²⁾ (ت 1093 هـ) إلى ذلك فقال: «والبيت مع كثرة
وجوده في كتب النحو والصرف لم أَطَّلِعْ عَلَى قَائِلِهِ وَلَا عَلَى تَمَتُّهِ».

وغاية ما وجدته هو بيت لأبي صخر يرويه السَّكْرِيُّ⁽³⁾ (ت 275 هـ) بإسكان
بإسكان عين الكلمة، وهو قوله: [من الوافر]

أَرَادَ الشَّيْبُ مِنِّي حَبْلَ نَفْسِي لِأَنْسَى ذِكْرَ بَيْضَاتِ الْحِجَالِ

بإسكان الياء في «بَيْضَاتٍ»، وله⁽⁴⁾ - أيضًا -: [من البسيط]

وَالدَّلَجَ الدُّهْمَ وَالْقَيْنَاتِ يُسْلِمُهَا عَفْوًا وَلَيْسَ لِمَا يُعْطَى بَعْدَادٍ

(1) حجة القراءات 506، المفصل 238، أسرار العربية 355، مفتاح العلوم 62، أوضح
المسالك 4 / 275، شرح الرضي 3 / 394، اللباب في علوم الكتاب 14 / 361، 450 / 18 /
359، همع الهوامع 83 / 1.

(2) خزانة الأدب 8 / 104.

(3) شرح أشعار الهذليين 2 / 962.

(4) نفسه 2 / 943.

بإسكان الياء من قوله: «وَالْقَيْنَاتِ»، ونحوه إسكان عين «مَيْعَاتٍ» في قوله⁽¹⁾ -
كذلك -: [من الطويل]

وَلَكِنَّ مَيْعَاتِ الصَّبَا تَصْرَعُ الْفَتَى مَصَارِعَ تُرْدِي نَفْسَهُ وَتُقَارِبُ

فهل ثبوت هذه الأبيات، المنسوبة إلى قائلها، بهذه الرواية، يضعف استدلال
أئمة النحو ببيت لا يُعرف قائله، ولا نكاد نعثر عليه في أدب الهذليين
وتراثهم، الحقيقة أنّي لا أجد على التشكيك في رواية هؤلاء العلماء الثقات،
الذين أجمعوا على نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل، ولكني في ذات الوقت أعجز عن
التوفيق بين ما توصّلت إليه وما رواه الأئمة.

ولعلّ ما يمكن أن يقال هنا أنّ هذا البيت المتواتر في كتب النحاة قد
سقط أو ضاع فيما ضاع من شعر العرب، وإذا سلّمت بصحة نسبة الظاهرة إلى
قبيلة هذيل، فإنّ تسكين العين يكون خاصاً ببطن من هذيل، ولاسيما أنّ
الأبيات الثلاث التي وقفت عليها تخصُّ شاعراً واحداً.

(2) إعراب (اللدون) إعراب جمع المذكر السالم:

صرّح ابن مالك (ت 672 هـ) في (شرح الكافية الشافية)⁽²⁾ بأنّ إعراب
(الذين) إعراب جمع المذكر السالم لغةً لهذيل، فقال: [من الرجز]

⁽¹⁾ نفسه 946/2.

⁽²⁾ 107/1.

«وَلِلذُّكُورِ الْعُقَلَا (الَّذِينَ)

فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَتَى (الَّذُونَ)

فِي الرَّفْعِ عَنْ هُذَيْلٍ، وَ(الَلَّؤُونَا)

(ش): إذا جُمع (الذي) وأريد به من يعقل، فهو مبنيٌّ عند غير هذيل. وأمّا هذيل فيشبهونه بصفات الذكور العقلاء فيعربونه، ويقولون: (نُصِرَ اللَّذُون هُذُوا على الذين ضلُّوا). ويشاطره الرضي⁽¹⁾ الرأي حينما يقول: «و(الَّذُونَ) في الرفع: لغة هذليّة».

ويتابعهما سُراح (الألفيّة)؛ ففي (أوضح المسالك)⁽²⁾: «و(الذين) بالياء مطلقاً، وقد يقال بالواو رفعاً، وهو لغة هذيل، أو عُقَيْلٌ»، ويقول ابن عقيل⁽³⁾ (ت 769 هـ) - بعد أن تحدّث عن الاسم الموصول وأنواعه -: «ويقال للمذكر العاقل في الجمع: (الَّذِينَ) مطلقاً - أي: رفعاً، ونصباً، وجراً - فتقول: جاءني الذين أكرموا زيّداً، ورأيت الذين أكرموه، ومررت بالذين أكرموه. وبعض العرب يقول: (الَّذُونَ) في الرفع، و(الَّذِينَ) في النصب والجرّ، وهم بنو هذيل»، ويقول الأشموني⁽⁴⁾ (ت 900 هـ): «والثاني (الَّذِينَ) بالياء (مطلقاً)، أي: رفعاً ونصباً وجراً، (وبعضهم)، وهم هذيل أو عُقَيْل (بالواو رفعاً نطقاً)». ويسير القرطبي⁽⁵⁾ (ت 671 هـ) في ركبهم قائلاً: «ولغة القرآن (الذين) في الرفع

(1) شرح الرضي على الكافية 19/3.

(2) 130/1.

(3) شرح ابن عقيل 144/1.

(4) شرح الأشموني 130/1.

(5) الجامع لأحكام القرآن 136/1.

والنصب والجَرّ، وهذيل تقول: (اللّذون) في الرفع»، ويتّخذون⁽¹⁾ من قول الشاعر: [من الرجز]

نَحْنُ اللَّذُونَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا

يَوْمَ التَّحْيِيلِ غَارَةً مِلْحَا

شاهدًا يتيماً لهم في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل، يرجعون إليه ويتواردون عليه. وباستقراء دواوين هذيل، لا نجد له أثراً في أشعارهم، بل لا نجد لهذه الظاهرة أثراً في شعر هذيل كلّّه.

وبإجالة النظر في كتب التراث نجد اضطراباً في نسبة هذه الظاهرة؛ فالثعلبيّ (ت 427 هـ) في (تفسيره)⁽²⁾ ينسبها إلى كنانة، والسكّكيّ⁽³⁾ (ت 626 هـ) ينسبها إلى بني كنانة وبني عُقيل، وأبو شامة⁽⁴⁾ (ت 665 هـ) يعزوها - أيضاً - إلى بني كنانة، وقد مرّ بنا قول ابن هشام⁽⁵⁾ (ت 761 هـ): «وهو لغة هذيل، أو عُقيل»، وقول الأشمونيّ⁽⁶⁾ (ت 900 هـ): «(وبعضهم)، وهم هذيل أو عُقيل». ويقول السيوطي⁽⁷⁾ (ت 911 هـ): «وإعرابه لغة طيّء وهذيل وعُقيل، فيقال في

(1) أوضح المسالك 1/ 130، شرح ابن عقيل 1/ 144، اللباب في علوم الكتاب 1/ 210،

همع الهوامع 1/ 202، 269.

(2) 251/6.

(3) مفتاح العلوم 78.

(4) إبراز المعاني من حرز الأمانيّ 592.

(5) أوضح المسالك 1/ 130.

(6) شرح الأشمونيّ 1/ 130.

(7) همع الهوامع 1/ 269.

الرفع: اللّذون، بالواو»، وفي (معجم النحو)⁽¹⁾: «وعند هذيل وعُقيل بالواو رفعًا وبالياء نصبًا وجراً».

وبالبحث في الدواوين والمجاميع الشعرية نقف على هذا الرجز منسوبًا إلى رؤية بن العجاج في (مجموع أشعار العرب)⁽²⁾ بالرواية ذاتها. وينسبه أبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ) إلى أبي حرب بن الأعمش من بني عُقيل في (النوادر في اللغة)⁽³⁾، ولكنه ورد فيه برواية لا شاهد فيها على ما نحن بصده، وهي قوله: [من الرجز]

«نَحْنُ الَّذِينَ صَبَّحُوا صَبَاحًا
يَوْمَ التُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَاحًا»

وفي (خزانة الأدب)⁽⁴⁾: «وروى العيني عن الصغاني في (العباب)⁽⁵⁾ أَنَّ الرجز الرجز لليل الأخيلىة في قتل دهر الجعفي، وَأَنَّ الرواية كذا: [من الرجز]

نَحْنُ قَتَلْنَا الْمَلِكَ الْحُجْجَاحَا
دَهْرًا، فَهَيَّجْنَا بِهِ أَنْوَاحَا
لَا كَذِبَ الْيَوْمَ وَلَا مِرَاحَا
قَوْمِي الَّذِينَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا
يَوْمَ التُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَاحَا

(1) 310.

(2) 172.

(3) 48، 47.

(4) 24/6.

(5) لم أقف عليه في (العباب).

... إلى آخر الأبيات، وعليها لا شاهد فيه».

ورواه شهاب الدين الألوسي⁽¹⁾ (ت 1270 هـ) بالرواية ذاتها، حيث قال في تفسير سورة العاديات: «ومن قوله: [من الرجز]

قَوْمِي الَّذِينَ صَبَحُوا الصَّبَاحَا

يَوْمَ التَّخِيلِ غَارَةً مِلْحَاخَا»

فعدم ورود الرجز في مصادر شعر هذيل، مع هذا الاضطراب في نسبة الظاهرة إلى هذيل وعُقيل وطِيئ وكنانة، وذلك الاختلاف في نسبة الشاهد؛ فمن ناسب له إلى شاعر هذليّ مجهول، إلى آخر ينسبه إلى رؤية، إلى من يعزوه إلى أبي حرب بن الأعمى العقيليّ، وإلى ليل الأخيلىّة، أقول: هذا الاضطراب والاختلاف الظاهران يدفعانني إلى الشكّ في صحّة نسبة الظاهرة إلى هذيل.

ويعزّز ما أميل إليه أنّ هذه الظاهرة لم تُنسب إلى قبيل بعينه في كتب المتقدّمين، وأنّ أوّل من نسبها إلى هذيل هو ابن مالك (ت 672 هـ) وتبعه على ذلك المتأخّرون - كما مرّ - ففي (العين)⁽²⁾: «وقد بلغنا عن الحسن في مواعظه أنّه قال: اللّذون فعلوا وفعلوا» فلم ينسبها الخليل إلى حيّ أو قبيل. وفي (الكتاب)⁽³⁾ قال سيّويه (ت 180 هـ) تحت عنوان: «(هذا باب تثنية الأسماء المبهمة التي أواخرها معتلّة): وتلك الأسماء (ذا) و(تا) و(الذي) و(التي). فإذا ثنّيت (ذا) قلت: (ذان)، وإن ثنّيت (تا) قلت: (تان)، وإن ثنّيت (الذي) قلت:

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 614/14.

(2) 64، 63/2.

(3) 411/3.

(اللذان)، وإن جمعت فألحقت الواو والنون قلت: (اللذون)». وقال المبرّد⁽¹⁾ (ت 285 هـ): «واعلم أنّك إذا ثنّيت أو جمعت شيئاً من هذه الأسماء لم تُلحقه ألفاً في آخره؛ من أجل الزيادة التي لحقت، وذلك قولك في تصغير (الذنان): (اللذيان)، وفي (الذين): (اللذيين). ومن قال: (اللذون) قال: (اللذيون)». وقال ابن السراج⁽²⁾ (ت 316 هـ): «ويُجمع فيقال: (الذين) في الرفع وغيره، ومنهم من يقول: (اللذون) في الرفع (والذين) في الخفض والنصب». وأشار ابن النحاس (ت 338 هـ) إلى هذه اللغة في مواضع عدّة⁽³⁾ دون أن ينسبها إلى قبيل بعينه، من ذلك قوله⁽⁴⁾: «ومن العرب من يقول: (اللذون)، على أنّه جمع مُسَلَّم مُعَرَّب». وفي (تهذيب اللغة)⁽⁵⁾: «ومن جمع (الذين) على حدّ التثنية قال: جاءني اللذون في الدار، الذين في الدار». ولم ينسبها الجوهري⁽⁶⁾ (ت 393 هـ) - أيضاً - في قوله: «ومنهم من يقول في الرفع: (اللذون)». وحذا الزمخشري⁽⁷⁾ (ت 538 هـ) حذوهم قائلاً: «وفي بعض اللغات (اللذون) لجمعه». ولم يتنكّب ابن عطية⁽⁸⁾ (ت 542 هـ) طريق سلفه حينما قال: «ومن العرب من يعرب جمعه فيقول في الرفع: (اللذون)».

(1) المقتضب 2/ 289.

(2) الأصول في النحو 2/ 262، ويُنظر: نفسه 2/ 424.

(3) إعراب القرآن 2/ 164، 4/ 45، 104، 117، 138.

(4) نفسه 4/ 27.

(5) 31/ 15.

(6) الصحاح (لدى).

(7) المفصل 182.

(8) المحرر الوجيز 45.

وهذا يشجّعني علّا لاكتفاء بإثبات هذه الظاهرة، وعدم تخصيصها بقبيلة هذيل كما أطلق المتأخرون.

(3) إعراب (اللاؤون) إعراب جمع المذكر السالم:
قال ابن مالك⁽¹⁾ (ت 672 هـ) - بعد أن نسب إعراب (اللّذون) إلى هذيل :
«وكذا يفعلون بـ(اللائين) - وهو جمع (اللائيّ) بمعنى: (الذين) - فيقولون: (لّعن اللاؤون كفروا)، ويقول غيرهم: (لّعن اللائين) فيبنيه». ويعتمد اللغويون⁽²⁾ في نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل على بيت مجهول القائل،
القائل، وهو قوله: [من الوافر]

هُمُ اللَّأَوُونَ فَكُفُّوا الْعُلَّ عَنِّي بَمَرِّ السَّابِحَاتِ وَهُمْ جَنَاحِي
وقد نسبته كلُّ من الهروي⁽³⁾ (ت 415 هـ)، وابن هشام⁽⁴⁾ (ت 761 هـ) إلى
الهذليّ بلا تحديد.

هذا إلى أنّ عددًا من اللغويين والنحاة قد ذكروا إعراب هذا النوع من
الجمع ولم يعزوه إلى قبيلة بعينها؛ قال الجوهري⁽⁵⁾ (ت 393 هـ): «و(اللاؤون):
جمع (الذي) من غير لفظه، بمعنى (الذين)، فيه ثلاث لغات:

⁽¹⁾ شرح الكافية الشافية 107/1.

⁽²⁾ تهذيب اللغة 30/15، أمالي ابن الشجري 58/3، همع الهوامع 271/1، شرح شواهد
المغني للسيوطي 833/2، الدرر اللوامع 149/1.

⁽³⁾ الأزهية في علم الحروف 300، والهروي هو: عليّ بن محمّد، أبو الحسن الهرويّ، صاحب
(الأزهية في الحروف)، وله أيضًا (الذخائر في النحو)، كان عالمًا بالنحو، إمامًا في الأدب. يُنظر:
بغية الوعاة 105/2.

⁽⁴⁾ مغني اللبيب 61/2.

⁽⁵⁾ الصحاح (لوى).

1. (اللاؤون) في الرفع، و(اللائين) في الخفض والنصب.
 2. و(اللاؤو) بلا نون.
 3. و(اللائي) بإثبات الياء في كلِّ حال؛ يستوي فيه الرجال والنساء.
- وقال الرضي⁽¹⁾ (ت 686 هـ): «وقد جاء: (اللاؤون) رفعًا، و(اللائين) نصبًا وجراً». وقد تتبعت هذا البيت فلم أجد له أثرًا في شعر الهذليين، ولكنَّ ورود قصيدة لمالك بن خالد⁽²⁾ تتفق والبيت في الوزن والقافية يجعلني أترى في القول بصناعته؛ لاحتمال سقوطه منها، والله أعلم.

4) تعدية الفعل (أهجر) اللازم:

الفعل (هجر) متعدّد بنفسه، والفعل (أهجر) لازم في الفصحى؛ «يقال: قد أهجر الرجل، إذا تكلم بالكلام القبيح»⁽³⁾، ويضيف اللغويون أنَّ (أهجر) متعدّد في لغة هذيل، قال ابن سيده⁽⁴⁾ (ت 458 هـ): «وهجر الشيء، وأهجره: تركه، الأخيرة هذليّة». ويستدلُّون⁽⁵⁾ على ذلك ببيت يُنسب إلى أسامة الهذليّ، وهو قوله: [من الطويل]

⁽¹⁾ شرح الرضيّ على الكافية 20/3.

⁽²⁾ هي قصيدته التي يقول في مطلعها:

فَقَى مَا ابْنُ الْأَعْرَى إِذَا شَتَوْنَا وَحَبَّ الرَّأْدُ فِي شَهْرِي قُمَاج

شرح أشعار الهذليين 451/1، ديوان الهذليين 5/3.

⁽³⁾ الزاهر في معاني كلمات الناس 468/1.

⁽⁴⁾ المحكم 156/4.

⁽⁵⁾ نفسه 156/4، لسان العرب (هجر)، تاج العروس 606/7.

كَأَنِّي أَصَادِيهَا عَلَى غُبْرِ مَانِعٍ مُقْلَصَةٍ قَدْ أَهْجَرَتْهَا فُحُولُهَا

غير أنّه لا وجود لهذا البيت في شعر أسامة بن الحارث، ولا في شعر أسامة ابن حبيب، بل لا وجود له في أشعار الهذليين كلّهم، ولعلّ ورود قصيدة لأبي ذؤيب⁽¹⁾ تتفق مع هذا البيت في الوزن والقافية يحملني على التردّد في الحكم على الشاهد بأنّه مصنوع منتحل؛ لاحتمال سقوطه منها، والله - تعالى - أعلى وأعلم.

الخاتمة

ترتّب على تعدّد رواية بعض الشواهد الهذليّة نتائج سارتّبها حسب مظاهر الاختلاف، على النحو الآتي:

1) إبدال حركة من أخرى:

أ- أبطلت الدراسة احتجاج الكوفيّين بقول أبي ذؤيب: «تَحَيَّرْتُ ثُبَاتًا...» على جواز نصب جمع المؤنّث السالم بالفتحة؛ لأنّ رواة شعر هذيل روهه بكسر التاء؛ على المألوف في الاتّجاه العامّ للغة، وقد أوما ابن جيّ إلى عدم ارتياعه لرواية الكوفيّين بقوله: «هذا كلّهُ إن كان ما روهه - من فتح هذه التاء - صحيحًا ومسموعًا».

(1) هي قصيدته التي يقول في مطلعها:

يَقُولُونَ لِي: لَوْ كَانَ بِالرَّمْلِ لَمْ يَمُتْ دُشَيْبَةُ، وَالطَّرَاقُ يَكْذِبُ قِيلُهَا
شرح أشعار الهذليّين 174/1، ديوان الهذليّين 33/1.

ب- رَجَّحت الدراسة رأي جمهور النحاة القائل بأنَّ (الآن) ظرف مبني على الفتح؛ فباستقراء شعر هذيل تبين أنَّ الرواية التي اعتمد عليها بعض النحاة في قولهم إنَّه معرب - وهي قول أبي صخر: «كَأَنَّهُمَا مِالَانِ...» - هي رواية غير موجودة، وأنَّ الرواية الواردة في الدواوين هي «مِالَان» بفتح النون.

(2) إبدال حرف من آخر:

أ- أبطل البحث استدلال بعض اللغويين على أنَّ (الحتي) لغة في (الحتي) بقول المتنخل: «قِرْفَ الْحُتِيِّ...»؛ لأنَّ الرواية الثابتة هي: «الْحُتِيُّ» بالياء فقط، ولم تشر الدواوين إلى رواية الهمز، ولأنَّ الاتجاه العامَّ لهذيل هو الميل تخفيف الهز، هذا إلى أنَّ رواية التخفيف جاءت في كتاب (الجيم) لأبي عمر الشيباني، وهو أحد رواة شعر هذيل، إضافة إلى جمهرة من كتب الأدب والحديث والتفسير، وهي مصادر أبعد عن الصناعة التي قد تطل كُتب النحاة.

ب- أبطلت الدراسة استدلال ابن يعيش بقول المتنخل: «مِنْ بُيْسِ النَّاسِ...» على إدغام الهمزة في مثلها إذا كانت عيناً مضاعفة، في (فُعَل) وما أشبهه؛ لأنَّ الرواية «مِنْ بُؤْس» بالهمز، ويعزّز رواية الدواوين أنَّ كتب اللغة والأدب - أيضاً - روته كذلك. وقد أصاب محقق (شرح المفصل لابن يعيش) حينما قال: إنَّ رواية الشاهد بالإبدال من صنيع النحاة.

(3) زيادة حرف أو إنقاصه:

أ- قرّر أصحاب المعاجم أنَّ الفصحى تقول: رابني فلان، وهذيلًا تقول: أرابني فلان، وأنَّ الأخير في الفصحى لازم بمعنى: صار صاحب ريبة. مستشهدين بقول خالد بن زهير: «أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ...». وقد أفقد البحث هذا الرجز

قيّمته في الاستدلال؛ لأنَّ الرواية في (شرح أشعار الهذليّين): «أَتَوْتُهُ بِرَيْبٍ»، وفي (ديوان الهذليّين): «رَبَّتُهُ بِرَيْبٍ».

ب- أبطلت الدراسة الاستشهاد بقول الراجز: «أَقَائِلُنْ...» على أنَّ دخول نون التوكيد على الأسماء ضرورة؛ حيث أثبت استقراء دواوين الشعر الهذليّ أنَّ هذا الرجز لرجل من هذيل، وأنَّ الرواية: «أَقَائِلُونْ»؛ فلم تلحق النون الاسم، وعلى هذا فلا ضرورة فيه.

ت- أبطلت الدراسة - أيضًا - الاستشهاد بقول الشاعر: «بِأَنَّكَ رَيْبِعٌ...» على أنَّه لا يجوز بروز اسم (أنّ) المخففة إلّا في ضرورة الشعر؛ حيث أثبت الاستقراء أنَّ البيت من شعر جنوب أخت عمر ذي الكلب، وأنَّ الرواية: «بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّيْبِعِ»، وبهذه الرواية ورد في عدد من مصادر اللغة والأدب.

ث- ذهب الكوفيّون إلى أنَّ (كما) بمعنى (كيما)، وأجازوا نصب المضارع بعدها، مستدلّين بشواهد، منها قول صخر: «كَمَا أَخْفَرَهَا...»، ومنع ذلك البصريّون، وأجابوا بأنَّ الرواية هي: (كما أخفّرها) بالرفع. وقد رجّح البحث رأي البصريّين، ولكنَّ الرواية ليست بالرفع كما زعموا، بل هي: «كَيْمًا أَخْفَرَهَا»، وكذا وردت في (الأغاني).

4) إبدال كلمة من أخرى:

أ- أبطلت الدراسة استشهاد النحاة على أنَّ الياء تحذف لكثرة الاستعمال بقول أبي خراش: «وَلَا أَدْرِ مَنْ أَلْقَى...»؛ لأنَّ الرواية: «وَلَمْ أَدْرِ»؛ فالفعل مجزوم بـ(لم)، ويعزّز رواية الدواوين ورودها في جمهرة من كتب اللغة والأدب والتاريخ.

ب- استشهد النحاة بقول أبي خراش: «عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ...» على استعمال (على) للاستدراك بمعنى (لكن)؛ وقد أفقد البحث هذا الشاهد حجّيته؛ لأنّ رواية الدواوين: «وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ»، وهي ذاتها رواية عدد من الأدباء كابن قتيبة والمرزوقي، ورواه المرزوقي - أيضًا -: (سَوَى أَنَّهُ)، ورواه ابن عبد البر: (خَلَا أَنَّهُ)، ورواه العسكري: (بَلَى إِنَّهُ)، وكلّها روايات تتعاضد لإبطال الاستدلال بهذا الشاهد.

ت- أبطلت الدراسة استدلال النحاة بقول أبي ذؤيب: «بَلْ هَلْ أُرِيكَ...» على استعمال (بل) للإضراب؛ لأنّ الرواية: «يَا هَلْ أُرِيكَ»، ويعزّز رواية الدواوين ورودها في عدد من المعاجم. ورجّح البحث أنّ سبب اختلاف رواية البيت هو التصحيف.

ث- أفقد البحث قول الشاعر: «لِلَّهِ يَبْقَى...» حجّيته على استعمال اللام للقسم؛ حيث أثبت الاستقراء أنّ البيت مختلف في قائله، وفي روايته؛ فهو يروى: «تَاللَّهِ يَبْقَى»، و«يَا مَيَّ لَا يُعْجِزُ»، و«يَا مَيَّ لَنْ يُعْجِزَ»، و«وَالْحُنْسُ لَنْ يُعْجِزَ»، و«وَالْحَيْشُ مَنْ يُعْجِزُ»، وجميع هذه الروايات تتعاضد لإسقاط الاحتجاج بالشاهد؛ لأنّ الدليل متى تطرّق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

(5) تغيير شرط البيت:

أ- أفقد البحث قول الشاعر: «وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عَظْلٍ، وَشُعْثًا...» حجّيته على نصب النكرة بفعل محذوف؛ لأنّ الاستقراء أثبت أنّ البيت لأمية بن أبي عائذ، وأنّ روايته في الدواوين: «لَهُ نِسْوَةٌ عَاطِلَاتُ الصُّدُورِ عُوجٌ»، وهي نفسها رواية (المعاني الكبير)، و(خزانة الأدب).

ب- أبطلت الدراسة الاستدلال بقول أبي صخر: «وَإِنِّي لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرَاكَ...» على وجوب جرّ المفعول له باللام بسبب الاختلاف في الفاعل؛ لأنَّ الرواية: «إِذَا ذُكِرْتَ يَرْتَاخُ قَلْبِي...»، وهي - أيضًا - رواية الرّمانيّ عن السّكريّ عن الأصمعيّ، وبها جاءت مصادر لغويّة عدّة.

(6) تلفيق شاهد من بيتين:

أ- أجاز النحاة استعمال (أو) فيما تستعمل فيه الواو، ومن شواهدهم على ذلك قول أبي ذؤيب: «وَكَانَ سَيَّانٍ أَنْ لَا يَسْرَحُوا نَعَمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ...»، وجاءت الدراسة لتبطل الاستشهاد بهذا البيت، مؤكّدة أنّه ملفّق كما صرّح البغداديّ، مستبدلة رواية النحاة برواية الدواوين، وهي:

وَقَالَ مَا شِئْتُمْ سَيَّانٍ سَيْرُكُمْ أَوْ أَنْ تُقِيمُوا بِهِ وَاعْبَرَتِ السُّوحُ

ب- أثبت البحث أنّ شاهد النحاة على استعمال (فعليل) للمذكّر والمؤنّث، وهو قول الأعلام:

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَغْلَامٍ طَوَالٍ

ملفّق من بيتين، هما قول الأعلام:

كَأَنَّ جَنَاحَهُ خَفَقَانُ رِيحٍ يَمَانِيَّةٍ بِرَيْطٍ غَيْرِ بَالِي

وقوله:

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ زَمْخَرِيٍّ أَلِ سَوَاعِدِ ظَلٍّ فِي شَرْيِّ طَوَالٍ

(7) صناعة شاهد:

صرّح ابن مالك والرضيُّ بأنَّ إعراب (الذين) إعراب جمع المذكر السالم لغة لهذيل، وتبعهما شُراح (الألفيّة)، متّخذين من قول الراجز: «نَحْنُ اللَّذُونُ...» شاهداً يتيماً لهم، يتواردون عليه. وقد أثبتت الدراسة عدم صحّة نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل، وأنّ هذا الشاهد منتحل عليها؛ فبالاستقراء تبين عدم وجود هذا الرجز في أشعار هذيل، كما أنّ كتب التراث اضطربت في نسبة هذه الظاهرة بين هذيل، وكنانة، وطيّئ، وبني عُقيل، هذا إلى أنّ الرجز مختلف في نسبته - أيضاً - فهو يُنسب إلى روبة، ويُنسب إلى أبي حرب، وإلى ليل الأخيلىّة، برواية لا شاهد فيها، وهذا ما جعل المتقدّمين؛ كالخليل وسيبويه والمبرد يثبتون هذه الظاهرة دون نسبة إلى قبيلة بعينها.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة النبويّة للنشر الحاسوبي).

1- إبراز المعاني من حرز المعاني، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقيّ (ت 665 هـ)، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلميّة، لا ط، لا ت.

2- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، أحمد بن عليّ الرازيّ (ت 370 هـ)، تح: محمّد الصادق قمحاويّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1412 هـ، 1992 م.

3- اختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعريّة، د.حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمّان، ط1، 1413 هـ، 1992 م.

4- الأزهيّة في علم الحروف، الهرويّ، عليّ بن محمّد النحويّ (ت 415 هـ)، تح: عبد المعين الملوحيّ، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1413 هـ، 1993 م، لا ط.

5- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر ابن عبد البر القرطبيّ، يوسف بن عبد الله النمريّ (ت 463 هـ)، صحّحه وخرّج أحاديثه عادل مرشد، دار الأعلام، عمان، ط1، 1423 هـ، 2002 م.

- 6- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن ابن الأثير، عزّ الدين عليّ بن محمّد الجزريّ (ت 630 هـ)، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1428 هـ، 2007 م.
- 7- أسرار العربيّة، أبو البركات بن الأنباري، عبد الرحمن بن محمّد بن أبي سعيد (ت 577 هـ)، تح: محمّد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، 1377 هـ، 1957 م، لا ط.
- 8- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّة والمخضرمين (حماسة الخالديّين)، الخالديّان: أبو بكر محمّد بن هاشم الخالديّ (ت 380 هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ (ت 390 هـ)، تح: د. السيّد محمود يوسف، لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، لا ط، لا ت.
- 9- أشعار هذيل وأثرها في محيط الأدب العربيّ، د. إسماعيل داود محمّد النتشة، دار البشير، عمّان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط1، 1422 هـ، 2001 م.
- 10- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمّد بن محمّد بن عليّ الكناينيّ العسقلانيّ المصريّ الشافعيّ المعروف بابن حجر (ت 852 هـ)، تح: عليّ محمّد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ، 1992 م.
- 11- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت (ت 244 هـ)، شرح وتحقيق: أحمد محمّد شاكر، عبدالسلام محمّد هارون، دار المعارف، ط4، لا ت.

- 12- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحويّ البغداديّ (ت 316 هـ)، تح: د. عبدالحسين الفتليّ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417 هـ، 1996 م.
- 13- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن النحاس (ت 338 هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبدالمعظم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421 هـ، 2001 م.
- 14- الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ (ت 356 هـ)، تح: علي مهنا، وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- 15- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين عبدالرحمن السيوطيّ (ت 911 هـ)، ضبطه وعلّق عليه: عبدالحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروتيّ، ط2، 1427 هـ، 2006 م.
- 16- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن عليّ بن محمد بن حمزة الحسيني العلويّ (ت 542 هـ)، تح: د. محمود محمد الطناحيّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1412 هـ، 1992 م، لا ط.
- 17- الأمالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ البغداديّ (ت 356 هـ)، دار الكتب والوثائق القوميّة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط3، 1421 هـ، 2000 م.

18- الانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب، عليّ بن عدلان الموصليّ النحويّ (ت 666 هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسّسة الرسالة، 1405 هـ، 1985 م، لا ط.

19- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباريّ (ت 577 هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، بإشراف د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418 هـ، 1998 م.

20- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمّد ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدين عبدالله ابن يوسف بن أحمد بن عبدالله المصريّ (ت 761 هـ)، تح: محمّد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1424 هـ، 2003 م، لا ط.

21- الإيضاح، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبدالغفار النحويّ (ت 377 هـ)، تح: د. كاظم بحر المرجان. ويليّه: رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح، ابن الطراوة النحويّ (ت 528 هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1429 هـ، 2008 م.

22- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد، محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن رشد القرطبيّ الشهير بابن رشد الحفيد (ت 595 هـ)، تح: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الفكر، بيروت، 1424 هـ، 2003 م، لا ط.

- 23- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي،
عبدالرحمن بن الكمال (ت 911 هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة
العصريّة، بيروت، 1998م، لا ط.
- 24- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، تحقيق
وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1367 هـ، 1948
م، لا ط.
- 25- تاج العروس من جواهر القاموس، محبّ الدين أبو الفيض الزبيدي،
السيد محمّد مرتضى الحسيني الحنفي (ت 1205 هـ)، تح: عليّ شيري، دار
الفكر، بيروت، 1414 هـ، 1994 م، لا ط.
- 26- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبدالله الذهبي، شمس
الدين محمّد بن أحمد ابن عثمان (ت 748 هـ)، تح: د. عمر عبدالسلام تدمري،
دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407 هـ، 1987 م.
- 27- التذكرة الحمدونيّة، ابن حمدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن عليّ (ت
608 هـ)، تح: د. إحسان عبّاس، بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، ط1،
1996 م.
- 28- تعجيل الندى بشرح قطر الندى، عبدالله بن صالح الفوزان، دار ابن
الجوزي، المملكة العربيّة السعوديّة، ط2، 1431 هـ.
- 29- تغيير النحويّين للشواهد، د. عليّ محمّد فاخر، دار الطباعة المحمّديّة،
القاهرة، ط1، 1416 هـ، 1996 م.

30- تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت 745 هـ)، تح: عادل أحمد عبدالموجود، عليّ محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1422 هـ، 2001 م.

31- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370 هـ)، تح: د. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1422 هـ، 2001 م.

32- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)، تح: أحمد عبدالرازق البكري، محمد عادل محمد، محمد عبداللطيف خلف، محمود مرسي عبدالحميد، إشراف وتقديم: أ.د: عبدالحميد عبدالمنعم مدكور، دار السلام، القاهرة، ط 1، 1425 هـ، 2005 م.

33- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبدالله القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671 هـ)، قدّم له: خليل محي الدين المئیس، ضبطه وراجعته على الأصول: صدقي جميل العطار، خرّج أحاديثه: عرفان العشّاء، دار الفكر، بيروت، 1422 هـ، 2002 م.

34- الجمل في النحو، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175 هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1405 هـ، 1985 م.

- 35- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت 395 هـ)،
تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبدالمجيد قطامش، دار الجيل، بيروت،
ط2، لا ت.
- 36- جمهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد، محمد بن الحسن (ت 321 هـ)، تح:
د.رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- 37- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، الحسن بن قاسم (ت 749 هـ)،
تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1،
1413 هـ، 1992م.
- 38- حاشية الخضرّي على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، محمد
الخضرّي، دار الفكر، بيروت، لا ط، لا ت.
- 39- حاشية الصبّان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك، أبو العرفان
الصبّان، محمد بن عليّ (ت 1206 هـ)، تح: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة
التوفيقيّة، القاهرة، لا ط، لا ت.
- 40- حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد (من علماء
القرن الرابع الهجريّ)، تح: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط 5،
1418 هـ، 1997م.
- 41- الحلل في شرح أبيات الجمل، أبو محمد البطلّيوستي، عبدالله بن محمد
بن السيّد (ت 521 هـ)، تح: د. يحيى مراد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1،
1422 هـ، 2003م.

- 42- حول ديوان البحتريّ (دراسة نقدية أدبية لغوية)، عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1384 هـ، 1964 م، لا ط.
- 43- الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255 هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1384 هـ، 1965 م.
- 44- خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، البغداديّ، عبدالقادر بن عمر (ت 1069 هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط4، 1418 هـ، 1997 م.
- 45- الخصائص، أبو الفتح ابن جنيّ، عثمان (ت 392 هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوّيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421 هـ، 2001 م.
- 46- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبيّ، أحمد بن يوسف (ت 756 هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1406 هـ، لا ط.
- 47- الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطيّ، أحمد بن الأمين (ت 1331 هـ)، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1999 م.
- 48- دلائل الإعجاز، أبو بكر الجرجانيّ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت 474 هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط5، 1424 هـ، 2004 م.

- 49- ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابيّ، إسحاق بن إبراهيم (ت350 هـ)،
تح: د.أحمد مختار عمر، مراجعة: د.إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربيّة، المراقبة
العامة للمعجمات وإحياء التراث، القاهرة، 1394 هـ، 1974م، لا ط.
- 50- ديوان المعاني، أبو هلال العسكريّ، الحسن بن عبدالله بن مهران (ت
395 هـ)، شرحه وضبط نصّه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت،
ط1، 1414 هـ، 1994م.
- 51- ديوان الهذليّين، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ط3، 1423 هـ،
2003م.
- 52- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسّام الشنترينيّ، أبو الحسن عليّ
(ت542 هـ)، تح: د.إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1417 هـ،
1997م، لا ط.
- 53- رسالة الغفران، أبو العلاء المعريّ، أحمد بن عبدالله بن سليمان
التنوخّي (ت449 هـ)، تحقيق وشرح: د.عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، دار
المعارف بمصر، القاهرة، ط5، 1389 هـ، 1969م.
- 54- رصف المباني بشرح حروف المعاني، المالقيّ، أحمد بن عبدالنور (ت
702 هـ)، تح: أحمد محمّد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق،
1394 هـ.

- 55- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، أبو الشناء الألوسي، شهاب الدين السيد محمود البغداديّ (ت 1270 هـ)، تح: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبدالغفار، المكتبة التوفيقية، القاهرة، لا ط، لا ت.
- 56- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم (ت 328 هـ)، تح: د. حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 1987 م.
- 57- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق الحصري، إبراهيم بن علي القيرواني (ت 453 هـ)، تح: أ. د. يوسف عليّ طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ، 1997 م.
- 58- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح ابن جني، عثمان (ت 392 هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ، 2000 م.
- 59- سمط اللآلي (يحتوي على النصف الأول من اللآلي في شرح أمالي القالي مذيلاً بذيل اللآلي شرح ذيل أمالي القالي)، الوزير أبو عبيد البكري الأونبي (ت 487 هـ)، تح: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، لا ت.
- 60- شذا العرف في فنّ الصرف، أحمد محمد الحملاوي (ت 1931 م)، علق عليه ووضع فهارسه: د. أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط 1، 1424 هـ، 2003 م.

- 61- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن عبد الله القرشي الهاشمي العقيلي (ت 769 هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1419 هـ، 1998 م، لا ط.
- 62- شرح أبيات سيبويه، أبو محمد السيرافي، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت 385 هـ)، تح: محمد الرّيح هاشم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1416 هـ، 1996 م.
- 63- شرح أبيات مغني اللبيب، البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ)، تح: عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط2، 1407 هـ، 1988 م.
- 64- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد السكّري، الحسن بن الحسين (ت 275 هـ)، تح: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، لا ط، لا ت.
- 65- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن الأشموني، نور الدين عليّ بن محمد ابن عيسى (ت 900 هـ)، تح: حسن حمد، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 م.
- 66- شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح)، خالد بن عبد الله الأزهرّي (ت 905 هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421 هـ، 2000 م.

- 67- شرح الرضيّ على الكافية، رضيّ الدين الاستربادي، محمد بن الحسن (ت 688 هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1996 م.
- 68- شرح الكافية الشافية، ابن مالك، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد الطائي الجياني الشافعي (ت 672 هـ)، تح: عليّ محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1420 هـ، 2000 م.
- 69- شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن عليّ النحويّ (ت 643 هـ)، عالم الكتب، بيروت، لا ط، لا ت.
- 70- شرح ديوان الحماسة، أبو عليّ المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت 420 هـ)، نشره: أحمد أمين، عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411 هـ، 1991 م.
- 71- شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري، عبدالله بن الحسين (ت 616 هـ)، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لا ط، لا ت.
- 72- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن الواحدي، عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ النيسابوريّ الشافعيّ (ت 468 هـ)، فهرسة: فريد رخ ديتريشي، برلين، 1861 م.
- 73- شرح شافية ابن الحاجب، رضيّ الدين الاستربادي، محمد بن الحسن (ت 688 هـ) - مع شرح شواهدا للبغداديّ عبدالقادر بن عمر (ت 1093 هـ)

- هـ)، حقّقهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمّد نور الحسن، محمّد الزفزاف، محمّد محي الدين عبد الحميد، 1395 هـ، 1975 م، لا ط، لا دار نشر.
- 74- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، جمال الدين عبد الله الأنصاريّ (ت 761 هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1417 هـ، 1996 م.
- 75- شرح شواهد الإيضاح لأبي عليّ، أبو محمّد ابن برّيّ، عبد الله بن عبد الجبار المقدسيّ الأصل، المصريّ، ابن أبي الوحش (ت 582 هـ)، تح: د. عبيد مصطفى درويش، مجمع اللغة العربيّة، الإدارة العامّة للمعجمات وإحياء التراث، القاهرة، 1405 هـ، 1985 م.
- 76- شرح شواهد المغني، جلال الدين السيوطيّ، عبد الرحمن بن الكمال (ت 911 هـ)، ذيل بتصحيحات وتعليقات محمّد محمود بن التلاميذ التركيّ الشنقيطيّ، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، لا ت، لا ط.
- 77- شرح قطر الندى وبلّ الصدى، المعروف بـ(حاشية السجاعيّ على شرح القطر)، ابن هشام، أبو عبد الله جمال الدين الأنصاريّ المصريّ (ت 761 هـ)، تح: عرفان مطرجي، مؤسّسة الكتب الشقافيّة، بيروت، 1418 هـ، 1998 م، لا ط.
- 78- الشعر والشعراء، أبو محمّد ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوريّ (ت 276 هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط 2 ، 1377 هـ، 1958 م.

- 79- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، د. خالد عبدالكريم جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1980 م، لا ط.
- 80- الشواهد والاستشهاد في النحو، عبد الجبار علوان، جامعة بغداد، 1976 م.
- 81- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت 395 هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1418 هـ، 1997 م.
- 82- الصحاح (قاموس عربيّ عربيّ، مرّتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف)، أبو نصر إسماعيل ابن حمّاد الجوهريّ (ت 393 هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1428 هـ، 2007 م.
- 83- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغانيّ، رضيّ الدين الحسن بن محمّد (ت 650 هـ)، تح: د. فير محمّد حسن، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ط 1، 1398 هـ، 1978 م.
- 84- عيار الشعر، أبو الحسن ابن طباطبا العلويّ، محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم (ت 322 هـ)، شرح وتحقيق: عبّاس عبدالساتر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1402 هـ، 1982 م.
- 85- العين (مرّتباً على حروف المعجم)، الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (ت 170 هـ)، تحقيق وترتيب: د. عبد الحميد هندراويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1424 هـ، 2003 م.

86- غريب الحديث، أبو سليمان الخطّابي، حمد بن محمّد إبراهيم البُستيّ (ت 388 هـ)، تح: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أمّ القرى، معهد البحوث العلميّة، مركز إحياء التراث الإسلاميّ، مكّة المكرّمة، ط2، 1422 هـ، 2001 م.

87- غريب الحديث، أبو محمّد ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوريّ (ت 276 هـ)، تح: د. عبدالله الجبوريّ، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397 هـ.

88- الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشريّ، محمود بن عمر (ت 538 هـ)، تح: عليّ محمّد البجاويّ، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1414 هـ، 1993 م، لا ط.

89- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمّد بن عليّ ابن محمّد (ت 1250 هـ)، قدّم له واعتنى به: محمّد بن رياض الأحمد الأثريّ، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1422 هـ، 2002 م.

90- الفصول المفيدة في الواو المزيّدة، صلاح الدين أبو سعيد العلائيّ، خليل بن كيلكديّ ابن عبدالله الدمشقيّ الشافعيّ (ت 761 هـ)، تح: د. حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط1، 1401 هـ، 1990 م.

91- القاموس المحيط (مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف)، مجد الدين الفيروز آباديّ، محمّد بن يعقوب (ت 817 هـ)، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1426 هـ، 2005 م.

- 92- الكامل في التاريخ، أبو الحسن ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت 630 هـ)، دار صادر، بيروت، ط8، 1429 هـ، 2008 م.
- 93- كتاب سيبويه، أبو بشر سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ)، تح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ، 1988 م.
- 94- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، أبو القاسم الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ)، رتبّه وضبطه وصحّحه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لا ط، لا ت.
- 95- الكشف والبيان (تفسير الشعلي)، أبو إسحاق الشعلي، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 427 هـ)، تح: أبي محمد عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422 هـ، 2002 م.
- 96- اللامات، أبو القاسم الزجاجي، عبدالرحمن بن إسحاق (ت 337 هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط2، 1405 هـ، 1985 م.
- 97- الباب في علوم الكتاب، أبو حفص ابن عادل، عمر بن عليّ الدمشقي الحنبلي (ت 880 هـ)، تح: عادل أحمد عبدالموجود، عليّ محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية: د. محمد سعد رمضان حسن، د. محمد المتوليّ الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ، 1998 م.

- 98- لسان العرب، أبو الفضل ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقيّ المصريّ (ت 711 هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1997 م.
- 99- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد ابن عطية، عبدالحقّ الأندلسيّ (ت 541 هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1423 هـ، 2002 م.
- 100- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن ابن سيده، عليّ بن إسماعيل بن سيده المرسّيّ (ت 458 هـ)، تح: د. عبد الحميد هندائيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421 هـ، 2000 م.
- 101- المخصّص، أبو الحسن ابن سيده، عليّ بن إسماعيل الأندلسيّ (ت 485 هـ)، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط1، 1417 هـ، 1996 م.
- 102- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزوميّ، دار الرائد العربيّ، بيروت، ط3، 1406 هـ، 1986 م.
- 103- مراتب النحويّين، أبو الطيّب اللغويّ، عبدالواحد بن عليّ الحلبيّ (ت 351 هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1375 هـ، 1955 م، لا ط.
- 104- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطيّ، عبدالرحمن (ت 911 هـ)، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، عليّ محمد البجاويّ، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، 1408 هـ، 1987 م، لا ط.

- 105- مسند أحمد بن حنبل، أبو عبدالله، أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241 هـ)، مؤسّسة قرطبة، مصر، لا ط، لا ت.
- 106- مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1969 م.
- 107- معاني القرآن، أبو زكريّا الفراء، يحيى بن زياد (ت 207 هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمّد عليّ النجار، إشراف: مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط 3، 1422 هـ، 2001 م.
- 108- المعاني الكبير، أبو محمّد ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوريّ (ت 276 هـ)، قراءة وضبط وشرح: د. محمّد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1432 هـ، 2011 م.
- 109- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، أبو عبدالله الحمويّ، ياقوت بن عبدالله الروميّ (ت 626 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ، 1991 م.
- 110- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله الحمويّ، ياقوت بن عبدالله الروميّ البغداديّ (ت 626 هـ)، دار صادر، بيروت، لا ط، لا ت.
- 111- معجم النحو، عبدالغنيّ الدقر، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1407 هـ، 1986 م.
- 112- المٌغرب في حُلّى المغرب، ابن سعيد المغربيّ (ت 685 هـ)، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1955 م.

113- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدين عبدالله بن يوسف ابن أحمد (ت 761 هـ)، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعته: د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418 هـ، 1998م.

114- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكّكيّ، يوسف بن أبي بكر محمّد بن عليّ (ت 626 هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1407 هـ، 1987م.

115- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشريّ، محمود بن عمر (ت 538 هـ)، قدّم له وبوّبه: د. عليّ بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.

116- مقامات بديع الزمان الهمذانيّ، أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحيى (ت 398 هـ)، قدّم لها وشرح غوامضها: محمّد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1424 هـ، 2003م.

117- مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا الرازيّ (ت 395 هـ)، تح: عبدالسلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1389 هـ.

118- المقتضب، أبو العباس المبرّد، محمّد بن يزيد (ت 285 هـ)، تح: محمّد عبدالحال عزيمة، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط3، 1415 هـ، 1994م.

- 119- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله المرزباني، محمد بن عمران (ت 384 هـ)، جمعية نشر الكتب العربيّة، القاهرة، 1343 هـ، لا ط.
- 120- النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت (ت 215 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1387 هـ، 1967 م.
- 121- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ)، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1418 هـ، ط1، 1418 هـ، 1998 م.
- 122- الوساطة بين المتنبّي وخصومه، أبو الحسن القاضي الجرجاني، علي بن عبدالعزيز (ت 366 هـ)، عني بطبعه وتصحيحه وشرحه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، 1331 هـ، لا ط.

النحو والسليقة

د. محمد محمد محمد الدكتور^(*)

(1)

إنَّ المنقَّب عن جذور اللَّحْن مجازف مَظَنَّة الزَّلَل، والعتار - في رأيي - إذا ما أوغل كثيراً في غابر العصر الجاهليّ؛ لأنَّ نصوص هذا العصر ستفجؤه بنقائها وفصاحتها، ولن يجد ضالته فيها ولو تكلف لها.

ولو حاولنا أن نرجع إلى أشهر المصادر التي نقّبت عن جذور اللحن والقينا عليها هذا السؤال:

هل كان في الجاهلية من يلحن؟ لرأينا أنّ كتاب "الموشح" للمرزباني (ت284هـ) يتصدّر للإجابة:

أورد المرزباني جملة من المآخذ اللغويّة على الشعراء الجاهليين من أمثال امرئ القيس، والنابعة الذبياني، وهما من فحول الطبقة الأولى - كما هو معروف - وهذه المآخذ احتكم المرزباني فيها إلى قواعد الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - (ت175هـ)، وكان الأولى أن ينظر إليها على أنها من الضرائر الشعرية، التي اضطر إليها هؤلاء الشعراء، وحسبنا في ذلك أن نقرأ الخبر المروي عن النابعة الذبياني:

^(*) أستاذ مساعد - جامعة الجبل الغربي.

أورد المرزباني عن النابغة من داليتها المشهورة هذه الأبيات :

عجلان ذا زاد وغير مزود ⁽¹⁾	أمن آل مية رائح أو مغتدى
وبذاك حدثنا الغراب الأسود	زعم البوح أن رحلتنا غداً
إن كان تفريق الأحبة في غد ⁽²⁾	لا مرحباً بغد ولا أهلاً به

فاختلف المجرى ، الذي هو حركة الرّويّ المطلق بكسر وضم ، فالرّويّ هو (الدّال) ، والمجرى الذي هو حركة الرّويّ المطلق هنا هو الكسرة في جميع أبيات القصيد ، عدا البيت المنتهي بكلمة (الأسود) ، فقد اختلف من كسر إلى ضمّ ، فوقع فيما يسميه العروضيون بـ (الإقواء) . وحينما أنكره القوم على التّابغة ، ولم يصغ إليهم جاؤوه بمن غنّت هذا البيت مع الأبيات قبله ، وبعده ، بما يظهر الخلل في إيقاع البيت المضموم .. إلى آخر الخبر .

(2)

والسؤال : هل وقع من النابغة لحن بحسب هذا الخبر المروي ؟

- في رأيي - وإن جرى لسان التّابغة بالبيت مرفوع الدّال على سليقته فهو لم يخطئ في اللغة بالمعنى المفهوم ، وإنما وقع في إقواء ، والإقواء قد ورد

(1) هذا البيت من مطلع قصيدته المشهورة التي يصف فيها المتجدة زوج النعمان بن المنذر. ينظر أشعار الستة الجاهليين للأعلام الشنتمري 228/1.

(2) ينظر ديوان النابغة الذبياني ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ويروي بدل (الغراب) (الغُداً) بمعنى الغراب .

كثيراً في شعر كثير من فحول الشعراء المتقدمين المشهود لهم بالفصاحة وسحر البيان حتى أباحه لهم علماء اللغة ، ولم يعدّوه عيباً في شعرهم ، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي - على سبيل المثال - يقول :

"تجوز الضمة مع الكسرة" والأخفش سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ) يؤيد ذلك ويقول: "أكثر هذا عن فصحاء العرب" ⁽¹⁾ ومنه على سبيل المثال لا الحصر ما ينسب لدريد بن الصّمة - أحد الشعراء الفحول الشجعان المشهورين - وهو قوله: ⁽²⁾ .

نظرتُ إليه والرمحُ تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدّد
فأرهبته عنه القوم حتى تبدّدوا وحتى علاني حالك اللون أسود
وقول حسان بن ثابت - رضي الله عنه - :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ جُسم البغال وأحلام العصافير
كأنّكم خُشبٌ جُوف أسافله مثقّب نفخت فيه الأعاصير ⁽³⁾

وكما أسلفت سابقاً فقد أجازت العرب الجمع بين الكسر والضّم في قافية القصيد ؛ لأن هذا الانتقال لا يؤثر تأثيراً محسوساً مدركاً على الانسجام الموسيقي بين القوافي ، وهو يختلف عن (الإصراف) ⁽⁴⁾ ؛ لأنّ هذا يؤثر على الانسجام

(1) عن النحو والتّحاة بين الأزهر والجامعة ، للشيخ محمد عرفة، ص 169 .

(2) الخزّانة ، 444/4 .

(3) ديوان حسان ، قافية (الراء) .

(4) إذا كان مع المجرور منصوب سمي إصرافاً ، أي هو إقواء بالنصب ، ينظر الوافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي ، ص 215 ، 216 .

الصوتي في القافية إذ الحرف المفتوح يمدّ به الصوت ، ويفتح فيه المتكلم فاه ،
 فإذا لبّى الشاعر داعي الفتح في القافية ، وكان الرويّ
 مضموماً ، أو مكسوراً ظهر ظهوراً واضحاً عدم الانسجام بين القوافي ، لذلك
 أجاز العلماء الإقواء ، ومنعوا "الإصراف" ، فالخليل لا يجيز هذا ولا
 أصحابه⁽¹⁾.

وفراً من الإصراف قال الفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ويفخر
 بمآثر قومه :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

(3)

ثم قال :

وعضّ زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مُسحتاً أو مجلّف⁽²⁾

فركب الفرزدق الصعب ورفع (مجلّف)، وأراح قوافيه، وأتعب النحاة ، حيث
 اشتجرت على هذا الرفع السنة النحاة ، وبقي مرفوعاً⁽³⁾.

إذن التابعة لم يقع في لحن ، ونعود للمرzbاني ، فمن مآخذ أيضاً ما أورده
 على شاعر مخضرم ، ابن شاعرة مخضرم ، صحابي ابن صحابية إنه العباس بن

(1) المصدر السابق نفسه ص 216.

(2) وروى بدل (مجلّف) (محرف) وهو بمعنى المال الذي بقي منه بقية . ينظر ديوان الفرزدق ،
 ضبط وشرح الأستاذ علي فاعور ، ص 386

(3) ينظر الإفصاح للقرافي ، ص 293 .

مرداس السُّلَمي، وبنو سُليم مشهورون بالفصاحة ، قال المرزباني في مَوْشَحِه في باب ضرورات الشعر :

" وأما ترك صرف ما ينصرف ، فهو غير جائز ؛ لأنه يخرج الشيء عن أصله ، وقد أجازَه الأَخفش ، وأنشد بيت العباس بن مرداس (1) :

فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس في مجمع

فترك صرف (مرداس) ، وهو أسم منصرف ، وهذا قبيح لا يقاس عليه ؛ لأنه لحن (2) .

ومن نافلة القول أن ما سماه المرزباني (لحناً) ، هو من باب ضرورات الشعر ، بصريح إرادته فيه ، وبدليل تصريح المرزباني أن (الأخفش) أجازَه ، وكان المفروض أن هذا الجواز من هذا العالم اللغوي الكبير كافياً لأن يُحجم المرزباني - وهو الكاتب الإخباري - في الحكم على لفظة (مرداس) باللحن ، طالما هو على يقين بأن الإمام سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت215هـ) ، - الذي أودعه سيبويه علمه حينما أمنه على كتابه - قد أجاز (مرداس) بدون تنوين في البيت المذكور ، علاوة على أن ترك صرف ما ينصرف فيه خلاف " فأجازَه الكوفيون وبعض البصريين " (3) .

(1) الموشح ، ص 144 .

(2) المصدر نفسه والصفحة .

(3) ضرائر الشعر ، لابن عصفور الاشبيلي ، ص 101 ، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ، لابن الأنباري ، المسألة (70) .

وتحرير القول: إنه لا لحن البتة في العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، وان كان اللّحن قد انتفى في النّظم - في الفترة المشار إليها - فهو في الاختيار أشد انتفاءً بدليل إجماع البّحث الجادّين - قديماً وحديثاً - على ذلك ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ما خالف قواعد التّحويين من عصر الاستشهاد ، والسليقة ليس لحناً بمعنى الخطأ في اللغة ، وإنما هو شاذّ عند أصحاب مذهب القياس صحيح على مذهب من يقدّمون السّماع .

(4)

قلت : لا لحن في عصر السليقة بدليل :

أن لفظة (اللحن) بمعنى الخطأ في الإعراب أو اللغة هذا المصطلح متأخر في دلالاته عن المعاني الأخرى بديل إشارة ابن فارس إليه بقوله : "فأما اللحن (بسكون الحاء) فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يقال : لحن لحناً ، وهذا عندنا من الكلام المولد ؛ لأن اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة " (1) ، ويظهر " أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى الفرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون " (2) .

(1) مقاييس اللغة ، لابن فارس ، 239/5 .

(2) العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، يوهان فك ، ص 245 .

وقرر الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - (ت 175 هـ) : "إن العرب قد نطقت على سجيته وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها" ⁽¹⁾ .

إذن من يتعد بآرائهم يقررون أن العربي في الجاهلية وصدر الإسلام حجة في كلامه ، لا يخطي فيما يقول ؛ لأنه صانع اللغة وصاحبها يصرفها كيفما يشاء ، وأما ما ذكره بعض العلماء من أن العربي في الجاهلية وقبل الإسلام قد يخطئ في الكلام مثل الأخطاء التي ذكرها المرزباني في موشحه أو التي ذكرها أبو الحسن الأمدي (ت 371 هـ) في كتابه الموازنة بين الطائيين ، أو التي ذكرها الجرجاني (ت 392 هـ) في مقدمة الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أو التي ذكرها جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ) في كتابه المزهر . فهو من باب الاختلاف في اللهجات .

يقول العلامة مصطفى صادق الرافعي : " نقطع بأن اللحن لم يكن في الجاهلية البتة ، وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطابع ، وانحراف الألسنة فإنما هو لغات لا أكثر " ⁽²⁾ . ويشاركه في هذا الرأي الأستاذ عباس محمود العقاد بقوله : " إن لغات القبائل العربية على اختلافها صحيحة فصيحة ، وكل واحدة منها يصح الأخذ بها والقياس عليها " ⁽³⁾ .

هذا يعني أن الإعراب كان في العرب قبل الإسلام سليقة وهي من ابرز سماتهم في الجاهلية .

⁽¹⁾ الاقتراح في علم النحو ، للسيوطي ، تحقيق أحمد قاسم ، ص 68 .

⁽²⁾ تاريخ الأدب العربي للرافعي ، 339/1 .

⁽³⁾ رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، للأستاذ عباس حسن ، القاهرة ، 1945 ، ط 3

(5)

تلك حقيقة دأب على تقريرها وتأكيدھا جمهرة اللغويين القدامى وبنوا عليها - من خلال مشافھتهم وما خلفوه من تراث خالد - أحكامهم اللغوية وضوابطهم النحوية ، والصرفية بل ومقاييس فصاحة الكلام وبلاغته برمته ، لا يشكون في هذا المقياس ولا تأخذهم به ريبة .

ومما يدعم هذا الرأي، ويؤكد فصاحة العرب وإعرابهم وخلو لغتهم من اللحن قبل الإسلام نزول القرآن الكريم فصيحاً معرباً ، على نظام كلام العرب وفصاحتهم ، بل ومتحدياً لهم في الفصاحة ، ولا يمكن أن يتحداهم القرآن في هذا الجانب لولا توفره عندهم مسبقاً ، بل لأن الفصاحة من أخص خصائصهم قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ⁽¹⁾ ، وقال تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ⁽²⁾ إذن تنزل القرآن على قوم فصحاء درجوا على الفصاحة وترعرعوا عليها ورضعوا لبان التزامهم بها ، ومحافظتهم على سليقة الإعراب وعدم الزيف عنها ، حتى كانت هذه الظاهرة ناموسهم ومن أبرز مميزاتهم ، ويؤكد القرآن العزيز نفسه هذا المبدأ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ⁽³⁾ أي بلسانهم ولغتهم التي يتكلمون بها، ومن هنا كان طبيعياً أن يتحداهم القرآن الكريم ببيانه المعجز،

(1) الزخرف : 3/43 .

(2) الزمر : 28/39 .

(3) إبراهيم : 4/14 .

ويدعوهم للمنازلة بأن يأتوا بسورة من مثله ، أو حتى بقليل منه ، فعجزوا ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (1) .

وهل يعقل أن يناجزهم القرآن الكريم لو لم يكونوا فصحاء معربين يحافظون على فصاحة القول ويعدونها أثمن شئ لديهم وأعزه ؟ وعلى أية حال فإنه من الحقائق الثابتة الدامغة أن علم النحو وهو العلم بالقوانين التي يعرف بها أحوال التراكيب من الإعراب والبناء ، أو العلم بالقوانين التي يعرف بها صحة الكلام وفساده (2) ، وهذا العلم لم يكن معروفا عند العرب في جاهليتهم ، وقبل الإسلام وسبب ذلك لا يحتاج إلى افتراض أو تخمين فهم بكل بساطة ليسوا في حاجة إليه ؛ لسلامة سليقتهم ، ونقاء فطرتهم ، وجودة قرائحهم فهم ينطقون عن سليقة جبلوا عليها إذ اللغة العربية في الجاهلية وقبل الإسلام ترعرعت على رمال الصحراء المحرقة خالصة لأبنائها.

(6)

لم يخدش كبريائها شئ من أوزار اللغات الأخرى فسلمت العربية من وباء اللحن وقد علل بعض العلماء بأن مرجع سلامة السليقة اللغوية ، وقوتها وبراءتها من اللحن في الجاهلية وصدر الإسلام إلى غلبة العزلة على العرب خصوصاً الذين يقطنون أحشاء الصحراء ، وإلى قلة اختلاطهم بغيرهم من الأمم الأخرى ؛ لندرة خروجهم من شبه جزيرتهم الواسعة ، "ولإيلافهم طريقة

(1) البقرة: 23/88 .

(2) ينظر التعريفات للسيد الجرجاني ، ص 214 ، 215 .

حياتهم البدوية الجافة ، ووسائلها الساذجة ، ولعدم استطاعة الغزاة والطامعين اقتحامها والتوغل فيها ، وإخضاعها لنفوذهم ؛ لجفافها وشح عطائها، ولجوها القاسي، ووعورة مسالكها، وصعوبة السير في مفاوزها ، ولحمية أهلها وشدة أسرهم لبدائوتهم ، وحياتهم الخشنة المتقشفة" (1) .

علاوة على تشبثهم العنيد بلغتهم وصونها كدرة نفيسة، وكأنهم ينظرون بعين الغيب إلى أن هذه اللغة ستكون لغة آخر كتاب إلهي ينزل على آخر نبي ورسول .

ولا شك أنه ليس كل من تكلم العربية غدا فصيحاً وأن كان معرباً ، وإلا لتساوى الناس ، وهذا مستحيل ، ولا أدل على ذلك من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) "أنا أفصح العرب ، بيد أني" (2) من قریش" (3) .

وهذا القول الشريف يعني أن الفصاحة معنى قابل للتفاوت في الزيادة والنقصان، يتفاضل فيه الناس، ويتسابقون، والذي تدل عليه الشواهد أن نشأة النحو العربي بدأت بعد مجيء الإسلام، وبالتحديد في الصدر الأول منه وذلك بعد ذهاب سليقة الفصاحة ، ونشوء السليقة اللاحنة أو (السليقة البذلة) - كما سماها المرحوم الأستاذ عبد القادر المغربي ، أخذاً من كلام الزمخشري في الفائق - (4) لعوامل جدد في المجتمع العربي بظهور الإسلام وانتشاره في الآفاق

(1) بحوث لغوية (أصالة اللغة العربية وعلومها) للمرحوم د. إبراهيم رفيعة ، ص 8.

(2) بيد أني : من أجل أني ، اللسان ، مادة (بيد)

(3) روي الحديث بروايات مختلفة هذه أحداها ، ينظر الجامع الصغير للسيوطي .

(4) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية المصري م 78/9-79 ، والفائق في غريب الحديث للزمخشري ، 376/2 .

وخروج العرب من شبه جزيرتهم واختلاطهم بغيرهم من الأمم اختلاطاً واسعاً مما دعا أبا الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) إلى ابتكار علم النحو في أواخر عهد الخلافة الراشدة وأوائل عهد الدولة الأموية كما هو معروف⁽¹⁾

(7)

وعلى هذا التأسيس يمكننا أن نزيح اللثام عن نشأة اللحن ونفسية ذلك أن اللحن قد دب إلى اللغة العربية - كما تجمع كل الروايات - بعيد خروج العربية من عرينها ومهدا الأصيل ، وذلك مع كتائب الفتوح الإسلامية . فعندما غمر الإسلام شبه جزيرة العرب ونشر رايته على بلدان أجنبية ، واختلط العرب - بعد الفتوح المظفرة - بالشعوب التي كانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين والأحباش ، ودخل هؤلاء في الإسلام أفواجاً كان لا بد أن يكون لهذا الاتصال أثره المحتوم في لغة الفريقين وعاداتهما ، ومظاهر حياتهما فيتأثر كل فريق بالآخر ويؤثر فيه ، فكان طبيعياً أن تتعرض لغة العرب للتأثر فتتسرب إليها كلمات أعجمية أو تتغير بنية بعض الألفاظ، أو يختل ضبط بعض حروفها أو تركيب جملها، وأشكال أساليبها⁽²⁾ .

ويسبب هذا الاختلاط تسرب الفساد إلى لغة كثير من العرب ، وبدا يظهر اللحن في التخاطب ؛ لأن اللغات إذا اتصل بعضها ببعض فلا بد أن يظهر أثر هذا الاتصال والاندماج ، كما أن اللغتين إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت

(1) ينظر طبقات النحويين اللغويين ، ص 11 .

(2) انظر اللغة والنحو ، عباس حسن ، ص 18 .

كل واحدة الضيم على صاحبتهما ، على حد قول الجاحظ⁽¹⁾ ؛ لأن الأمم والشعوب تحتزن كثيراً من عاداتها اللغوية ولا يمكن أن تتخلص منها ، مما يفسح المجال للتحريف وشيوع اللحن عند احتكاك اللغتين ببعضهما .

أشار إلى هذا أبو بكر محمد الحسن الزبيدي (ت 379هـ) بقوله : " لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها ، وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا إليه إرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة ، واللغات المختلفة ففسد الفساد في اللغة العربية ، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليتها ، والموضح لمعانيها ، فظن لذلك من نافر بطباعة سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب فعظم الإشفاق من ذلك وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم ، وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عنه "⁽²⁾ .

(8)

إذن دخول العجم في الإسلام ، واختلاطهم بالعرب الأقحاح وظهور جيل من المولدين العرب نشؤوا في الأقطار المفتوحة ، كل هذا أدى إلى فساد الألسنة ، وفشو اللحن ، وإلى هذا أشار ابن خلدون (ت 808 هـ) بقوله: " فلما جاء

(1) انظر البيان والتبيين ، للجاحظ ، 110/3 .

(2) طبقات النحويين واللغويين ، ص 11 .

الإسلام، وفارقوا الحجاز وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها
السمع من المخالفات التي للمستعربين من العجم ، والسمع أبو الملكات
اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها ، لجنوحها إليه باعتبار السمع ،
وخشى أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً بطول العهد ، فينغلق
القرآن والحديث على الفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة
مطردة شبه الكلمات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون
الأشباه منها بالأشباه "(1) .

(1) مقدمة ابن خلدون ، ص 515 .

مصادر البحث:

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم .
2. أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، أخبار يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالشنتمري ط1 ، دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ، لات .
3. الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، لأبي نصر الحسن بن أسد الفارقي ، تحقيق وتقديم الأستاذ سعيد الأفغاني ، ط2 منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، 1394 هـ - 1974 م
4. الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي، تحقيق، أحمد محمد قاسم ، طبعة السعادة ، ط1 ، القاهرة ، 1396 هـ - 1976 م .
5. بحوث لغوية (أصالة اللغة العربية وعلومها)، د. إبراهيم أرفيدة ، لات ، ليبيا .
6. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، دار الجليل ، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لات .
7. تاريخ آداب العرب ، للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، ط4 ، بيروت 1974 م .

8. التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1403 هـ .
9. الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، لجلال الدين السيوطي ، ط1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1373 هـ - 1974 م .
10. خزانة الأدب ، ولب الباب العرب ، لعبد القادر عمر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1967 م .
11. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1993م.
12. ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي قاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407 هـ - 1987 م .
13. ديوان النابغة الذبياني، المكتبة الأهلية، بيروت، 1929 م .
14. رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، للأستاذ عباس حسن ، القاهرة ، 1954 م .
15. ضرائر الشعر لابن عصفور الأشبيلي ، تحقيق السيد إبراهيم محمد دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، لات .

16. طبقات النحويين واللغويين ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف بمصر ، 1973 م .
17. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك ، ترجمة وتعليق د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، 1400هـ - 1980 م .
18. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، لا ت .
19. اللسان، لأبن منظور، ط3، دار صادر، بيروت ، لبنان ، 1414 هـ - 1994 م .
20. اللغة والنحو، د . حسن عون ، ط1 ، الإسكندرية ، 1952 م .
21. مقاييس اللغة ، لأبن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط2 ، طبعة دار الكتب العلمية ، إيران 1389 هـ .
22. المقدمة لأبن خلدون .
23. الموشح ، مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر للمرزباني ، تحقيق ، محمد البجاوي ، طبعة دار النهضة ، مصر ، 1956 م .

24. النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، للمرحوم الشيخ محمد أحمد عرفة
مطبعة السعادة بمصر، لا ت .

25. الوافي في العروض والقوافي، صنعة الخطيب التبريزي ، تحقيق /د. فخر
الدين قباوة ، تمهيد الأستاذ عمر يحيي ، ط 4 ، دار الفكر دمشق ، بسوريا ،
1390 هـ - 1970 م .

دراسة وصفية لأعلام النثر في مخطوط (جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام) للشيزري

د. شعبان حسن غالي

لا بد لنا ونحن في عتبة هذا البحث من التعريف بمخطوط (جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام)، ومؤلفه الشيزري .

أولاً: المخطوط

يعدُّ هذا المخطوط من كتب المجاميع التي تميزت بالجمع بين الشعر والنثر، وقد قسّمه مؤلفه على ستة عشر كتاباً اشتملت على مختارات من النظم والنثر، فالجميع مئة وستون باباً، ولم يختار المؤلف في هذا المخطوط شيئاً من شعر الجاهليين، ولا من نثرهم، ولذلك سمّاه (جمهرة الإسلام).

وفي هذا المخطوط نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامة في غيره من المظان.

وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة مركز جهاد الليبيين في طرابلس، وقد طبعت بالتصوير عن المخطوط رقم 287، مكتبة جامعة ليدن، هولندا.

ثانياً: المؤلف

هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود الشيزري⁽¹⁾، نسبة إلى قلعة شيزر⁽²⁾، وقد نشأ هذا الأديب في دمشق نشأة علمية في كنف والده الذي كان أديباً فاضلاً بارعاً⁽³⁾، وله شعر حسن، ويحفظ أشعاراً كثيرة، وكانت له حلقة بجامع دمشق يقرئ فيها النحو⁽⁴⁾.

وقد ارتبط الأديب الشيزري بالملك المسعود آخر ملوك الأيوبيين على اليمن، وأكثر من مدحه حتى صار من خاصته، فصنّف لخزائنه هذا المخطوط القيم⁽⁵⁾، ولم يكن هذا المخطوط وحده من مؤلفات الشيزري بل ألف كذلك كتاب ((فريدة الزمان))، وقد ذكره في جهرته⁽⁶⁾، كما صنّف أيضاً كتاب ((عادات النجوم)) الذي ذكره صاحب الأعلام⁽⁷⁾.

وقد ظلّ هذا الأديب مخلصاً للملك المسعود، يحظى بتقديره واهتمامه حتى وفاة الشيزري بعد سنة 622 هجري⁽⁸⁾.

(1) مخطوط جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، للشيزري، وطبع بالتصوير عن المخطوط رقم 287، مكتبة ليدن هولندا، 1986م، 1/1، ووفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت 525/2.

(2) شيزر: قلعة بالشام قرب المعرة. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، 383/3. (3) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1930م، 358/5.

(4) إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1986م، 273/3.

(5) مخطوط جمهرة الإسلام، 2/1، الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992م، 323/7.

(6) مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 524/2.

(7) الأعلام، مصدر سابق 223/7.

(8) المصدر نفسه، والجزء، والصفحة ذاتهما.

يعد هذا البحث دراسة وصفية استقصائية تحليلية لمخطوط من المخطوطات الأدبية القيمة.

فقد كان للنثر الخطابي والكتابي تناول متميز في مخطوط (جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام) ومنهج مطرد يبرزه مؤلفه الشيزري من خلال ذكر أعلامه وعلى ضوء نتائجهم الذي تميزوا به، والشيزري في اختياراته النثرية يسير في دروب تتسع أو تضيق وفق شخصية النثر في فنه، كما تتنوع وتتعدد الاختيارات النثرية، وأظن أن هذا المنهج التأليفي من المؤلف جعله ليتفكه به متأمل كتابه، ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله، فالدواعي ((إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مفنناً))⁽¹⁾.

وينقسم النثر وأعلامه في هذا المخطوط على جانبين، النثر الخطابي، والنثر الكتابي.

أولاً: النثر الخطابي :

في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي نجد من أعلام النثر في هذا المخطوط:

1. الإمام علي بن أبي طالب :

أ. في كتاب الزهد من المخطوط.

أورد الشيزري خطبة للإمام علي في الوعظ يقول في مفتحها:

((الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الإصباح، ومنشر الموتي...))⁽²⁾

⁽¹⁾ وفيات الأعيان، مصدر سابق 20/1.

⁽²⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق، 179/1.

ب. في كتاب الشكوى من المخطوط.

ذكر الشيزري خطبة من خطب الإمام يقول في بدايتها ((فرض الجهاد عظمه، وجعله نصرته وناصره، والله ما صلحت الدنيا قط ولا الدين إلا به...⁽¹⁾))

ويذكر صاحب المخطوط أن هذه الخطبة قالها الإمام علي عند مسيره إلى الشام.

ج. في كتاب المثلث من المخطوط.

والمقصود بالمثلث - كما ذكر الشيزري - النص المشتمل على ثلاثة أغراض⁽²⁾.

وقد أورد المؤلف خطبتين للإمام علي:

الأولى، وقد وردت كذلك في نهج البلاغة للشيخ محمد عبده⁽³⁾ لكنها في مخطوط الجمهرة أوفى مما يزيد من قيمته الأدبية وقد جاء في مقدمتها (الحمد لله مبتدأ حقائق الحمد...⁽⁴⁾).

كما ذكر مؤلف المخطوط خطبة ثانية للإمام تتعلق بالتوحيد والعدل والإيمان جاء في بدايتها (الحمد لله الذي لا عن شيء كان وجوده في قدمه وديموم أزل...⁽⁵⁾)

⁽¹⁾ المصدر السابق 373/2.

⁽²⁾ ينظر: السابق 409/2.

⁽³⁾ نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، القاهرة 348/3.

⁽⁴⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 430، 429/2.

⁽⁵⁾ المصدر السابق 430/2، 432.

ومما يسترعي الانتباه أن هذه الخطبة قد أخل بها نهج البلاغة للشيخ محمد عبده، كما أخل بها نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وأخل بها أيضا في ضلال نهج البلاغة شرح محمد جواد مغنية، مما يرفع من القيمة الأدبية لمخطوط جمهرة الإسلام.

2. أبو زيد الطائي:

أورد له الشيزري وصفا للأسد في حضرة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وبداية ذلك الوصف (رأيت منه منظرا شنيعا، وشهدت له مشهدا فظيعا، لا يبرح ذكره يتردد في قلبي...⁽¹⁾)

ونجد له وصفا آخر للأسد في حضرة معاوية بن أبي سفيان، يقول في بدايته: (له عينان حمراوان كوهج النيران...⁽²⁾) وهذا النص من النصوص التي تفرد بها مخطوط جمهرة الإسلام.

ويبدو أن أبا زيد الطائي كان متخصصا في هذا النوع من الوصف، فتذكر بعض المصادر أنه ((لم يصف أحد من الشعراء الأسد وصفه⁽³⁾)).

3. واصل بن عطاء:

في كتاب الزهد أورد له الشيزر بخطبة ارتجلها في مجلس عمر بن عبد العزيز

⁽¹⁾ نفسه 560/2.

⁽²⁾ نفسه 560/2.

⁽³⁾ الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد شاکر، دار المعارف، مصر 1966م، 302/1.

وليس فيها حرف الرءاء، يقول في بدايتها (الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه،
وغاية الجود ومأواه...⁽¹⁾)

وقد وردت الخطبة في جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت، ونوادير
المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون لكنها وردت بصورة أوفى في مخطوط
جمهرة الإسلام مع اختلاف في بعض الألفاظ.
ثانيا: النثر الكتابي :

أعلام النثر في العصر العباسي.

1. القاضي الفاضل :

أ. في كتاب المدح، سجّل له الشيزري رسالة في أخذ أسطول الإفرنج
بأسطول الملك العادل، جاء في بدايتها (أن الإبريس - خذله الله - كان عمّر
مراكب، واستكثر عدتها وعداتها...⁽²⁾).

وأورد له أيضا رسالة في فتح القدس على يد الملك الناصر صلاح الدين،
ورد في بدايتها (أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي، ولا يزال مظفر الجد...⁽³⁾)
وقد أوردها ابن خلكان في وفيات الأعيان بتمامها⁽⁴⁾

⁽¹⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 174/1-17 وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد
زكي صفوت، بيروت الطبعة الثانية عشرة، 503-501/2، نوادر المخطوطات، تحقيق
عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى سنة 1991م 149-147/1.

⁽²⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 25/1.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق.

⁽⁴⁾ وفيات الأعيان، مصدر سابق 186-180/7.

ب. في كتاب الهجاء يذكر الشيزري سجلاً للقاضي الفاضل، يقول فيه: (أما بعد يا هاشم بن محمد فإنما مثلك كمثل الفراشة أوقعها اللجاج في نار السراج...⁽¹⁾).

ج. في كتاب العتاب، أورد المؤلف رسالة القاضي الفاضل إلى الديوان العزيز الإمامي الناصري، يقول في مقدمتها: (أدام الله أيام الديوان العزيز، ونصر أوليائه بولائه، وأسعدهم...⁽²⁾).

د. في كتاب الدعابة، يطالعنا المؤلف في مخطوطه برسالة للقاضي الفاضل، جاء في بدايتها: (تصّوع من نشر سلام الحضرة السامية الأجلية، لازالت الأيام تلقي إليها بالسلام، ومحاسنها أشهر من نار على ذرا علم...⁽³⁾).

كما أورد الشيزري رسالة القاضي الفاضل التي بعثها إلى العماد الأصفهاني يعزيه من خلالها بغلامه على سبيل الدعابة، يذكر في بدايتها قوله ((ورد كتاب المجلس أدام الله عز أوليائه بدوام عزه ..⁽⁴⁾)).

⁽¹⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 145/1.

⁽²⁾ المصدر السابق 216/1، 217.

⁽³⁾ نفسه 232/1، 233.

⁽⁴⁾ نفسه 233/2، 234.

هـ- في كتاب الشكوى من المخطوط، يلقانا الشيزري من خلال إيراده رسالة القاضي الفاضل إلى الديوان الإمامي الناصري، يقول في مستهلها:

((أدام الله ظل الديوان العزيز النبوي...⁽¹⁾)) وقد وردت هذه الرسالة في كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي...⁽²⁾) وهناك اختلاف في بعض الألفاظ لكنه لا يخل بالمعنى، والرسالة في مخطوط جمهرة الإسلام أوفى.

كما أورد الشيزري رسالة أخرى للقاضي الفاضل في الشكوى، يقول في مقدمتها : ((أصدرنا هذه المكتبة إلى المجلس السامي لا زال حكمه بالعدل جارياً...⁽³⁾)).

ومن المعهود في الدراسات الأدبية أن المكاتبات في عهد الدولة الأيوبية كانت تفتتح بلفظ أصدرنا...⁽⁴⁾.

في كتاب التهاني من المخطوط ذكر الشيزري رسالة القاضي الفاضل التي بعثها إلى إمام المستضيء في بغداد يهنئه بفتح مصر، افتتحها بقوله ((سلام قولا من رب رحيم وتحية تبشر برحمة منه وجنان لهم فيها نعيم مقيم...⁽⁵⁾)).

⁽¹⁾ نفسه 361/2-363.

⁽²⁾ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي، شرح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1987م، 127/7.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 369/2-371.

⁽⁴⁾ صبح الأعشى، مصدر سابق 382/2.

⁽⁵⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 382/2.

و. في كتاب المثلث، يذكر المؤلف رسالة القاضي الفاضل التي يقول في بدايتها:

((تذكرة مباركة، ولم تزل الذكرى للقلوب نافعة، ولعوارض الشك رافعة...⁽¹⁾)).

ز. في كتاب الأوصاف، ترد رسالة القاضي الفاضل المستهلة بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ...⁽²⁾﴾.

ح. في كتاب الاعتذار، تطالعنا رسالة القاضي الفاضل إلى عبد المؤمن صاحب المغرب، التي يقول في ديباجتها: ((الحمد لله نافع من أتاه بقلب سليم، وهادي من اتقاه إلى الحق وإلى طريق مستقيم، صلى الله على سيدنا محمد الذي شرف أبا البشر بولادته...⁽³⁾)).

ط. في كتاب الخمسات، يورد الشيزري رسالة القاضي الفاضل، التي يقول في بدايتها:

((لما كانت البلاد الشرقية أجدر البلاد بأكيد الاجتهاد...⁽⁴⁾))، وقد وردت الرسالة في كتاب صبح الأعشى مع اختلاف في بعض الألفاظ لا يخل بالمعنى.

⁽¹⁾ المصدر نفسه 413/2-419.

⁽²⁾ العنكبوت/69.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 498/2-501.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه 514/2.

ومن خلال الحصر السابق لآثار القاضي الفاضل النثرية تتضح الكثرة الكثرة التي أوردتها صاحب المخطوط لهذا الكاتب مقارنة بغيره من الناثرين الذين سيرد ذكرهم وآثارهم النثرية، وربما كان للشيزري صاحب المخطوط مبرره في ذلك، فالقاضي الفاضل يمتاز بخصائص أدبية تجعله علما مبرزاً في الكتابة، فهو (كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره، وناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره⁽¹⁾)، وهناك من يرى طريقته في الكتابة أرفع نموذج لكتاب الرسائل، ويعدّه رئيس هذا الفن، حيث لا يستطيع أحد مجاراته إذا شرع في شيء من هذا الباب⁽²⁾

كما أن رسائله لم تقتصر على الشؤون الديوانية، بل له رسائل في الشوق والشكر والعتاب، وغير ذلك مما يدل على قوة القاضي الفاضل البيانية، ومقدرته البلاغية⁽³⁾ وهو صاحب ديوان الرسائل لدى صلاح الدين الأيوبي، كما استفاد من مكتبته الخاصة ومكتبة أخيه اللتين تضمان قدراً كبيراً من الكتب⁽⁴⁾

⁽¹⁾ نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، مصر 1/8.

⁽²⁾ ينظر: وفيات الأعيان، مصدر سابق 187/7.

⁽³⁾ ينظر: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، أحمد أحمد بدوي، دار الفجالة القاهرة، الطبعة الثانية، 360.

⁽⁴⁾ تنظر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، شاهر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م، 828/2.

2. أبو الفرج البغاء.

أ. في كتاب الغزل، أورد له الشيزري خبراً مطولاً، يقول في بدايته (تأخرت بدمشق عن سيف الدولة-رضي الله عنه- مكرهاً، وقد سار منها في بعض وقائعه⁽¹⁾، وقد ذكر الثعالبي هذا الخبر بتمامه في يتيمة الدهر⁽²⁾).

3. ابن أبي الشخباء.

أ. في كتاب الافتخار من المخطوط. يبرز المؤلف مقدرة هذا الكاتب في الإتيان بهذا الفصل في صورة كل سطر النصف الأول نثر والنصف الآخر نظم، وقد جاء في بدايته:

وصلت منك يا مولاي رقعة

كالروض فيه ينثر سلك جواهر

وقفت على ما أودعته فيها من ألفاظ

حجرت عن النوم المتاح محاجري⁽³⁾

⁽¹⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 6257/1.

⁽²⁾ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة، 1965م، 253/1.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 101-99/1.

ب. في كتاب الرثاء، ذكر الشيزري رسالة في رثاء ولد كافي الكفاة ((الصاحب بن عباد)) وقد مات غريقاً، يقول في بدايتها:

((غير بدع من الزمان-أطال الله بقاء حضرة سيدنا- أن تنكث حباله⁽¹⁾)).

وقد وردت الرسالة في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة⁽²⁾ لكنها في مخطوط جمهرة الإسلام أوفى.

ج. في كتاب الهجاء، رسالة للكاتب يقول في بدايتها: ((رأيت مولاي بالأمس قد قطب حاجبه، وزعزع مناكبه، وأوسع الغلام من سبه وشمه. . .⁽³⁾))، وقد وردت الرسالة في الذخيرة⁽⁴⁾ ولكنها أوفى في مخطوط جمهرة الإسلام، وذكر الشيزري رسالة أخرى للكاتب نفسه يقول في مقدمتها:

((الريح الخافقة-أطال الله بقاء سيدنا-تزعزع غصن البان، ولا تحرك مناكب أمان، والبحرج الزائف يتموه على الناقد العارف. . .⁽⁵⁾)).

(1) المصدر نفسه 134/1-135.

(2) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، القسم الرابع، 2/658.

(3) مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 1/152، 153.

(4) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام، مصدر سابق، القسم الرابع، 631، 2/630.

(5) مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 1/161، 162.

د. في كتاب العتاب، رسالة ابن أبي الشخباء التي يقول في مقدمتها:

((فو الله لو خيرت بين فراقكم وحمائي قلت يدركني نحيي، لكن المال-
أطال الله بقاء مولاي-داعي الفساد ومطية البعاد...⁽¹⁾)).

هـ. في كتاب التهاني، رسالة ابن أبي الشخباء إلى أمير الجيوش ابن أوق،
يهنئه، وقد استهلها بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ⁽²⁾﴾، وقد وردت الرسالة بكاملها في
معجم الأدباء⁽³⁾

و. في كتاب الإعتذار رسالة ابن أبي الشخباء التي يقول في مقدمتها:

((لو لم تقض الشريعة-أطال الله بقاء سيدنا- برفض المقالة العارية من
البرهان والدلالة لكان ذلك في الغريزة راتباً...⁽⁴⁾)).

⁽¹⁾ المصدر نفسه 205/1-207.

⁽²⁾ آل عمران 173، 174.

⁽³⁾ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت 164/9-168.

⁽⁴⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 495/2، 496.

ز. في كتاب الخمسات رسالة ابن أبي الشخباء وهي مبنية على حروف غير معجمة، تقول مقدمتها:

((حرس الله مدة أيام سيد الرؤساء، وواجد السؤدد والعلا، ومحل الآمال، ومهدر دماء الأموال...⁽¹⁾)).

وبعد حصر الآثار النثرية لابن أبي الشخباء التي أوردها الشيزري في مخطوطه، يتضح أن ابن أبي الشخباء لم ينل ما ناله القاضي الفاضل من إيراد الشيزري لآثاره النثرية على الرغم من ((أن ابن أبي الشخباء أحد العلماء الفصحاء، وله رسائل مدونة ومشهورة⁽²⁾ وهو صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة، وأحد فرسان النثر، وله اليد الطولى⁽³⁾، بل هناك من ذهب إلى ((أن القاضي الفاضل كان جل اعتماده على حفظ كلام ابن أبي الشخباء، وأنه كان يستحضر كلامه⁽⁴⁾)).

ولعل المرء يلتبس العذر لمؤلف المخطوط في هذا النهج التأليفي لعلنا أن القاضي الفاضل كان كاتب الدولة الأيوبية⁽⁵⁾، الذي قال صلاح الدين الأيوبي

⁽¹⁾ المصدر نفسه 509/2.

⁽²⁾ معجم الأدباء، مصدر سابق 195/3.

⁽³⁾ وفيات الأعيان، مصدر سابق 89/2.

⁽⁴⁾ معجم الأدباء، مصدر سابق 152/9.

⁽⁵⁾ منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان، فخر الدين عامر الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس 1991م، 187.

في حقه مخاطبا جنوده: (لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل⁽¹⁾)، ولربما جعل ذلك الأمر آثار القاضي الفاضل النثرية في متناول يد الشيزري أكثر من غيره من أعلام النثر، إضافة إلى أن الدولة الأيوبية هي التي عاش الشيزري في كنف آخر ملوكها في اليمن.

3. الشريف الرضي.

أ. في كتاب الرثاء رسالة الشريف الرضي التي يقول في بدايتها: (كتابي- أطال الله بقاء الأستاذ -عن سلامة ألبسه الله نطقها...⁽²⁾).

ب. في كتاب الخطاب والجواب، رسالة إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، مقدمتها: (كتبت -أطال الله بقاء الأستاذ- وأدام عزه وتأييده وكفايته⁽³⁾)، كما أورد الشيزري جواب أبي القاسم عن هذه الرسالة، جاء في مقدمته ((وقفت على خطاب مولاي الشريف أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونعمته...)).

ج. في كتاب التهاني، رسالة الشريف الرضي إلى الوزير سابور بن أردشير يهنئه بعودة الوزارة إليه، تقول مقدمتها ((كتابي أطال الله بقاء سيدنا الوزير، أدام الله تأييده يوم كذا عن حمد الله استدر شارقه...⁽⁴⁾)).

(1) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان سبط ابن الجوزي، حيدرآباد، 1952م، 742/8.

(2) مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 124/1، 125.

(3) المصدر نفسه 258/1، 259.

(4) نفسه 390/2، 391.

د. في كتاب الخمسات أورد الشيزري عشرة فصول للشريف الرضي، يقول في بداية الفصل الأول منها (أما فلان فما عندي أنك تقرب عرضه إلا...⁽¹⁾))، والظاهر أن الموهبة الأدبية لهذا الناثر تفتحت مبكرا استنادا إلى ما يتحلى به من محمد شريف، وأدب ظاهر، وحظ من المحاسن وافر...⁽²⁾.

4. الصابي.

أ. في كتاب الرثاء، يذكر الشيزري رسالة للكاتب في تعزية أبي الفتح ذي الكفائتين عن ابنه، يقول في بدايتها: (قد سبق في العلم، وثبت في العقل، أن الله -تقدسست أسماؤه- القديم بلا ابتداء، والباقي بلا انتهاء...⁽³⁾).

ب. في كتاب العتاب، أورد الشيزري رسالة في العتاب، جاء في مقدمتها ((وصلت رقعتك وفهمتها، ووجدتها مفتوحة من تفضلك بما يوجب الشكر...⁽⁴⁾)) وذكر الشيزري أن الرسالة في عتاب علي بن الأنباري، وهي جواب عن عتب عاتبه عليه.

ج. في كتاب الخطاب والجواب، يورد الشيزري رسالة الصابي إلى القاضي أبي بكر بن قريعة يعزيه عن ثور نفق له فأظهر عليه الجزع وجلس للجزاء على سبيل الهزء، يقول الصابي في مقدمتها: (التعزية عن المفقود-أطال الله بقاء

⁽¹⁾ نفسه 519/2-521.

⁽²⁾ تنظر: يتيمة الدهر، مصدر سابق 155/3.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام، مصدر سابق 129/1-131.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه 213/1-215.

قاضي القضاة-إنما تكون...⁽¹⁾، كما أورد المؤلف جواب القاضي أبي بكر،
الذي يقول في مقدمته (وصل توقيع سيدنا الوزير نصير الدولة...⁽²⁾).
كما أورد المؤلف رسالة الصابيء إلى الوزير المهلي، التي يقول في بدايتها:
(وصلت يا سيدي ومولاي وخليلي -أطال الله بقاءك- أبياتك مستعذبة...⁽³⁾).
وكذلك جواب الوزير المهلي الذي يقول في بدايته: (وصل جواب سيدنا
الوزير الذي خلد لي شرفاً لا يبيد...⁽⁴⁾).
وتذكر بعض المصادر أن العلاقة الوطيدة التي كانت تربط الوزير المهلي
بالصابيء هي التي جعلته ((يحن إلى براعته، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في
أوقات أذنه...⁽⁵⁾).
د. في كتاب الخمسات، نجد رسالة الصابيء إلى عضد الدولة أبي شجاع،
يقول في مقدمتها: (أطال الله بقاء مولانا الملك...⁽⁶⁾).
والظاهر أن تفوق الصابيء الواضح في النثر أهله لأن يوصف بأنه ((أوحد
أبناء بلده في البلاغة، ومن به تثني الخناصر في الكتابة...⁽⁷⁾).

⁽¹⁾ نفسه 1/261، 262.

⁽²⁾ نفسه 1/262.

⁽³⁾ نفسه 1/271، 272.

⁽⁴⁾ نفسه 1/272.

⁽⁵⁾ معجم الأدباء، مصدر سابق 2/29.

⁽⁶⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 2/511-513.

⁽⁷⁾ يتيمة الدهر، مصدر سابق 2/287.

5. قابوس بن وشمكير.

أ. في كتاب العتاب، وردت رسالة لهذا الكاتب يقول في مقدمتها: (الإنسان خلق ألوفاً، وطبع عطوفاً...⁽¹⁾)

ب. في كتاب الدعابة، يورد الشيزري رسالة لهذا الكاتب في التهنئة بمولود على سبيل الدعابة، استهلها بقوله: (طرقنا البشير-أطال الله بقاء الشيخ مولاي- بقدوم فارس...⁽²⁾)

ج. في كتاب الخطاب والجواب، أورد الشيزري رسالة للكاتب نفسه إلى الصاحب بن عباد، يقول في مقدمتها: (الشكر ذكر المحسن بإحسانه، والخروج من حقه بإذاعته وإعلامه⁽³⁾)، كما أورد الشيزري جواب الصاحب بن عباد الذي يقول في بدايته:

(وصل ما أهلني الأمير الجليل مولاي أدام الله تأييده...⁽⁴⁾).

د. في كتاب الأوصاف، ذكر الشيزري رسالة ابن وشمكير التي كتبها إلى بعض الكتاب، عندما أهدى إليه قلماً وسكيناً ومقطاً⁽⁵⁾، جاء في بداية تلك الرسالة:

⁽¹⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 209/1-211.

⁽²⁾ المصدر نفسه 226/1-227.

⁽³⁾ نفسه 265/1.

⁽⁴⁾ نفسه 265/1-266.

⁽⁵⁾ قططت الشيء أقطه إذا قطعته عرضاً، والمقط ما يقط عليه القلم، الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت، الطبعة الثانية 1979م، مادة: قطط.

(أطال الله بقاءك يا سيد إخوانه، وزعيم خلانه⁽¹⁾)، كما أورد الشيزري رسالة أخرى في صفة قلم أهده إلى بعض إخوانه، وكتب إليه معه يقول: (وهب الله للإمام بقاءك، وللأنام اعتلاءك، وللحكمة سلامتك...⁽²⁾).
هـ في كتاب الاعتذار، ذكر الشيزري رسالة لابن وشمكير يعتذر من خلالها بقوله:

(كتابي-أطال الله بقاء الشريف -وأنا في كد وتعب، وألم ونصب، وقد فارقت الأوطان، وباعدت الأقارب والإخوان⁽³⁾)، ويعد ابن وشمكير من كبار الكتاب في عصره، فقد ((كان أديبا بارعا، جمع الله -سبحانه- له إلى جانب عزة العلم بسطة القلم⁽⁴⁾)، إضافة إلى خطه الجميل الذي كان في نهاية الحسن والجمال، الأمر الذي جعل الصاحب بن عباد إذا رأى خطه يقول معجبا: (هذا خط قابوس أم جناح طاوس⁽⁵⁾).

6. محمد بن وشاح

أ. في كتاب الهجاء، ذكر الشيزري رسالة لهذا الكاتب، يقول في مطلعها: (لو تصورت -أصلحك الله- أن الهز يكسبك صلاحا لهزرتك...⁽⁶⁾).

⁽¹⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 465/2، 466.

⁽²⁾ المصدر نفسه 466/2، 467.

⁽³⁾ نفسه 488/2، 489.

⁽⁴⁾ يتيمة الدهر، مصدر سابق 59/4.

⁽⁵⁾ وفيات الأعيان، مصدر سابق 80/4.

⁽⁶⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 166/1-169.

7. محمد العتي.

أ. في كتاب الدعابة، وردت رسالة لهذا الكاتب، يقول فيها: (المحن-أيدك الله-معلقة بين جناحي تقدير، وسوء تدبير⁽¹⁾)، كما ذكر له الشيزري فصلاً، يقول في مفتتحه: (إليك يا عامل الصد والجفاء...⁽²⁾)، وذكر له خطبة يقول في مستهلها:

(أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده، على صداق معمور مقصور على شكره، معترف بفضله...⁽³⁾).

وقد أورد الثعالبي هذه الآثار النثرية جميعها في يتيمة⁽⁴⁾، لثقتة بقيمتها الأدبية.

8. هبة الله الشيرازي.

أ. في كتاب الخطاب والجواب، وردت رسالته التي بعثها إلى أبي العلاء المعري، مستهلاً إياها بقوله: (حوشي الشيخ أدام الله سلامته⁽⁵⁾)، كما أورد الشيزري جواب أبي العلاء المعري، الذي يقول فيه: (سيدنا الرئيس المؤيد في الدين عصمة المؤمنين، هدى الله الأمم بهدايته⁽⁶⁾)، وقد أورد صاحب معجم الأدباء الرسالة وجوابها في معجمه⁽⁷⁾ مع اختلاف في بعض الألفاظ لكنه لا يخل بالمعنى.

(1) المصدر نفسه 252/1، 253.

(2) نفسه 253/1.

(3) نفسه 253-254.

(4) يتيمة الدهر، مصدر سابق 402-398/4.

(5) مخطوط جمهرة الإسلام 274/1.

(6) المصدر نفسه 277/1، 278.

(7) معجم الأدباء، مصدر سابق 190/3-198.

وتذكر بعض المصادر الأدبية ⁽¹⁾ أن هناك علاقة مراسلة قد ربطت بين هذا الكاتب وأبي العلاء المعري.

9. مسلم بن قتيبة.

أ. في كتاب الأراجيز، ذكر الشيزري رسالته في ذكر الخط والقلم، يقول في مقدمتها:

((يسمى القلم الذي يكتب به قلما، لأنه قلم وقطع... ⁽²⁾))

10. نشوان الحميري.

أ. في كتاب الشكوى، أورد له الشيزري رسالة يشكو من خلالها ضياع دقاته، وقد جاء في بدايتها: (لو استعرت ألسنة الفصحاء، واستعنت على ذلك بالأخلاء النصحاء... ⁽³⁾).

11. الصاحب بن عباد.

أ. في كتاب التهاني، ذكر له الشيزري رسالته التي بعثها إلى قابوس بن وشمكير، يقول في مفتتحها: ((قرأت للأمير خطابا يحمل قرعا وغمزا... ⁽⁴⁾)).

⁽¹⁾ تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، نقل يعقوب بكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة 1983م، 3/356.

⁽²⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 284/2-289.

⁽³⁾ المصدر نفسه 2/365-368.

⁽⁴⁾ نفسه 2/394.

12. أبو العلاء المعري.

أ. في كتاب المثلث، أورد الشيزري رسالة أبي العلاء التي بعثها إلى شاعر جوابا عن قصيدة مدحه بها، يقول في بدايتها: (الطرب مؤتاب، والجناب منتاب، وبالشوق في الصدر راتع...⁽¹⁾).

ب. في كتاب الإعتذار، ذكر الشيزري رسالة أبي العلاء إلى أبي منصور الفلاح، يعتذر له فيها، يقول في بدايتها: (لو أهديت إلى حضرة السلطان الأجل الربيع يزهي بأحسن زهره، والبحر يتباهى بالنفيس من درره⁽²⁾)، وقد وردت الرسالة في رسائل أبي العلاء⁽³⁾ مع اختلاف في بعض الألفاظ لا يخل بالمعنى.

ج. في كتاب الخمسات، أورد الشيزري فصولا لأبي العلاء، جاء في بداية الفصل الأول منها: (أما ابن طوق فقد أوفى بدمته...⁽⁴⁾). ومن المعهود عن أبي العلاء المعري صعوبة نثره على قارئه، بحيث لا يستطيع قراءته إلا من كان ذا زاد لغوي رصين، لكثرة الألفاظ الغريبة فيه.

⁽¹⁾ نفسه 439/2-454.

⁽²⁾ نفسه 491/2-493.

⁽³⁾ رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة 1984م، 92-99.

⁽⁴⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 491/2-493.

13. أبوسهل المعقلي.

وردت رسالة له في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره، جاء في بداية هذه الرسالة: (إني ألقى إلى كتاب كريم، عنوانه جسيم...⁽¹⁾)، ويذكر الأديب الثعالبي أن أبا الفضل الميكالي كان ذا مكانة عالية شعرا ونثرا، فوصفه بعض الشعراء بالبلاغة وحسن البيان⁽²⁾.

14. بهاء الدولة بن بويه :

أ. في كتاب الإعتذار، أورد لها لشيزر برسالة كتبها إلى الشريف الرضي يقول في بدايتها ((أطال الله - أيها الشريف الجليل الرضي ذو الحسين - بقاءك...⁽³⁾)).

ومن خلال استقصاء أعلام النثر الذين أفرد لهم الشيزري صفحات في مخطوطه اتضح للباحث أن الكثرة الكثيرة من هؤلاء الأعلام كانت من أعلام العصر العباسي ويمكن إرجاع ذلك إلى الأمور الآتية:

أولاً: ازدهار الحياة العقلية في العصر العباسي، حيث اتسمت بنشاط واسع، فكانت المساجد أشبه بجامعات يقصدها الطلاب من كل صوب ناهلين من العلوم على اختلاف أنواعها.

⁽¹⁾ المصدر نفسه 456/2-459.

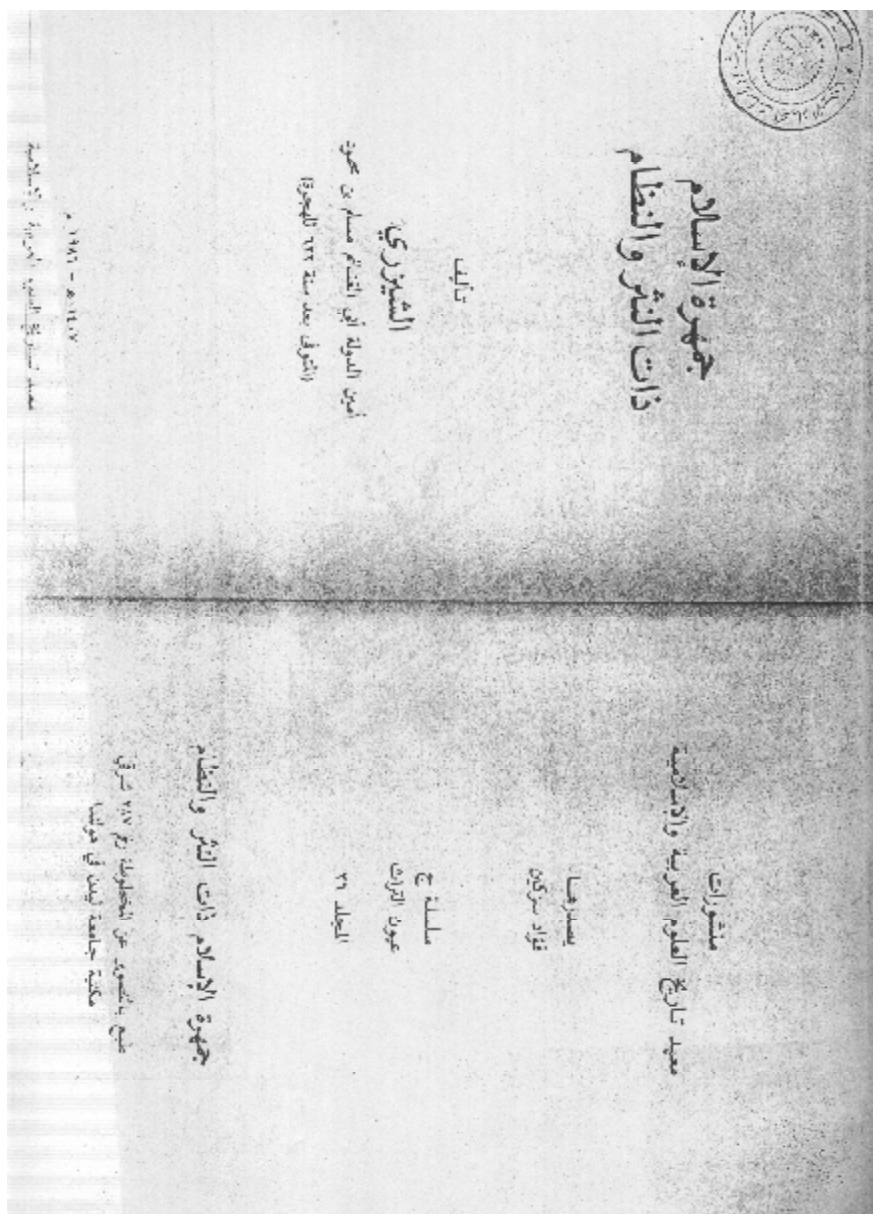
⁽²⁾ تنظر: يتيمة الدهر، مصدر سابق 354/4.

⁽³⁾ مخطوط جمهرة الإسلام 503/2، 504.

ثانيا: تميز العصر العباسي بازدهاره بأشهر علماء الأمة في كل فرع من فروع المعرفة وقد عاش في ذلك العصر كبار الشعراء والكتاب.

ثالثا: المدة الزمنية الطويلة التي امتدها العصر العباسي مقارنة بعصر صدر الإسلام والعصر الأموي.

رابعا: وينضاف إلى ما تقدم أن العصر العباسي هو العصر الذي كانت حياة الشيزري مؤلف هذا المخطوط في نهايته.





140

الرسوم العربية

ومساقات الأنظمة الصوتية واللغوية

(تمثيل الأصوات أنموذجا)

د. طارق بن عبدالغني دعوب(*)

عرفت العربية أنواعا من الرسوم والكتابات، ورصيدا هائلا من الخطوط والنقوش، والدارس في علم الكتابة من الوهلة الأولى يلحظ الرسوم المتعددة في العربية، وعلماءنا المتقدمون اجتهدوا في التفريق بينها بمراعاة مسارات مساقاته اللغوية وأنظمتها الصوتية التي تسبح في فلكها، ولاستخراج تعريف يحدد معالم الرسوم والكتابة من المعاجم العربية نطالع اللسان يقول: "الرسم الأثر، وقيل: بقية الأثر، وقيل: ما ليس له شخص من الآثار... ورسم على كذا ورسم إذا كتب...، وثوب مرسم بالتشديد مخطط"⁽¹⁾، أما الكتاب فهي: "اسم لما كتب مجموعا، والكتاب مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة... والكتابة: اكتتابك كتابا تنسخه...، وقيل: كتبه خطه...، والكتاب: ما يكتب فيه، وقيل:

(*) رئيس قسم العلاقات الثقافية والمؤتمرات بكلية اللغات - جامعة المرقب .

⁽¹⁾ لسان العرب لابن منظور مج2/ 1167 ، وينظر: لطائف البيان في رسم القرآن لأبي زيثخار 14/1.

الصحيفة والدواة⁽¹⁾ وبالمجمل: فإن دلالة (رسم وكتب) تظهر في أثر القلم أو خطه، وجمع وضم الحرف إلى الحرف. والرسم أنواع أربعة:-

• رسم (عثماني) وهو الرسم الذي خط به مصحف الإمام الخليفة عثمان بن عفان t .

• رسم (عروضي) وهو الرسم الذي قطع به الشعر العربي لمعرفة أوزانه وموسيقاه.

• رسم (قياسي) ويدعى الهجائي، ويسمى الإملائي عند أهل اللغة.

• رسم (صوتي) ويعرف حديثاً في الدرس اللساني بالكتابة الصوتية .

وهذا تعريف موجز لكل منها:

أولاً: العثماني:

هو الذي رسم به مصحف الإمام، وقد جاء مخالفاً للعروضي والقياسي والصوتي من حيث التمثيل للأصوات الهجائية في الوصل والفصل والثابت والمحذوف، مثالها: فصل (اللام) عن (هذا) في قوله تعالى: (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ)⁽³⁾، والقياس هنا يقتضي وصلها بهذا، ف (ما) استفهامية، و (لهذا) كلمة أخرى⁽⁴⁾. وفائدته " تمييز ما وافق رسم المصحف من القراءات فيقبل، وما خالفه فيرد"⁽⁵⁾.

(1) لسان العرب مج 5 / 216-217، وينظر: المفرد العلم في رسم القلم، أحمد الهاشمي، ص 7.

(3) سورة الفرقان: 7/25.

(4) ينظر: المفرد العلم في رسم القلم ص 7.

(5) رسم القرآن الكريم وضبطه، عبد السلام سنان (مخطوط) ص 25.

وتعرف بهذا الرسم مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسوم الأخرى، وقد نقل الجعبري⁽¹⁾ عن الأئمة الأربعة حرمة مخالفة خط مصحف الإمام عثمان، إذ يقول: "كل قراءة تخالف رسم المصاحف العثمانية لا تقبل ولا يقرأ بها وإن جاءت ظاهرة الوجه في العربية، لمخالفتها رسم المصاحف"⁽²⁾. ويظهر توجيه الأئمة في الأخذ بالرسم العثماني (=القرآني) فيما جاء مخالفا للرسم القياسي، أما ما جاء موافقا فلا يَتَعَرَّضُونَ له غالبا⁽³⁾.

ثانيا: العروضي:

هو الرسم الذي يضع لكل صوت منطوق رمزا مكتوبا موافقا لما في الكلمة من تنوين وتضعيف، فيرسم التنوين نونا، والمشدد حرفين، ويحذف مالا ينطقه⁽⁴⁾.

ثالثا: القياسي:

هو تصوير اللفظ بحروف المعجم صوامت وحركات، وفي غير الغالب لا يطابق المنطوق المكتوب في ذوات الحروف والحركات⁽⁵⁾، من ذلك كتابة بعض

(1) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري أبو إسحاق، 640 - 732 = 1242 - 1332 م، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، ولد بقلعة جعبر، على الفرات، بين بالس والركة، ينظر: معجم الأعلام، بسام عبد الوهاب ص 17.

(2) لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمان ص 16.

(3) ينظر: المصدر نفسه ص 9.

(4) ينظر: المفرد العلم في رسم القلم، ص 9، ونتيجة الإيملاء وقواعد الترقيم لمصطفى عفاني، ص 4-5.

(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 376/1، ورسم القرآن الكريم وضبطه، ص 24.

أسماء الإشارة وبعض الحروف من نحو: (ص ق)، فإنه يقتصر في كتابتها على تمثيل الحرف الأول في اللفظ، والمفترض كتابتها بحسب لفظها هكذا: (صاد قاف).

رابعا: الصوتي:

هو تمثيل كل صوت منطوق برمز مكتوب أو بتعبير آخر هو وجوب شهادة المكتوب على المنطوق مع مراعاته كل الخصائص العضوية والفيزيائية لهذه الوحدة الصوتية⁽¹⁾، ووجه المفارقة بينه وبين الرسم العروضي أن الأخير خاص بتقطيع الشعر العربي لمعرفة أوزانه وموسيقاه، في حين كان الرسم الصوتي عاما يمثل منطوق الحروف الهجائية بكتابة رموز صوتية مطابقة لأصواتها.

ويتضح للدارس في علم الكتابة أن علماء العربية المتقدمين كما فرقوا بين أنواع الرسوم العربية في تمثيلها أصوات الحروف والحركات فرقوا أيضا بين مساقات الأنظمة الصوتية واللغوية، وبالتحديد تفريقهم بين المساقين الاصطلاحي والصوتي دون المساق الكتابي، حيث أدمجوا فيه بين المصطلحات اللغوية ومفاهيمها الصوتية في رمز كتابي واحد دال عليها مع إحساسهم واستشعارهم بالفوارق بينها في الأنظمة، فهذا سيبويه⁽²⁾ وسبقه أستاذه

(1) ينظر: علم اللغة، علي وافي ص 37، واللغة العربية والكتابة الصوتية، رضوان القضماني ص 27 (مقال).

(2) عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر لقب بسيبويه إمام النحاة 148-180 هـ ينظر: معجم الأعلام ص: 560.

الخليل⁽¹⁾ وتبعهما ابن جني⁽²⁾ نظروا جميعا إلى جملة من المصطلحات الصوتية من خلال هذا المنظور، وقد جاء تفريقهم بينها على أساس أنها مكونة من عناصر ثلاثية مركبة⁽³⁾، هي:

- مساق النظام الاصطلاحي (=التسمية).
- مساق النظام الكتابي (=المقروء).
- مساق النظام الصوتي (=النطقي والسمعي).

لقد كانت غاية علماء العربية الأوائل من انتهاج منهج التفريق بين مساقات الأنظمة الصوتية واللغوية في علم الكتابة إيصال مقصدهم للقارئ بأيسر طريق، وقد ظهر هذا واضحا حال تفريقهم بين جملة من المصطلحات الصوتية كمصطلح (=النفس والصوت والحرف). وبإمكاننا تدارس هذه المساقات كل على حدة حتى ينكشف لنا منهجهم جليا وواضحا.

أولاً: النظام الاصطلاحي (= التسمية) :

الاصطلاح: "اتفاق جماعة [ما] على أمر مخصوص"⁽⁴⁾. أي اصطلاح أهل اللغة على إطلاق مسميات لأشكال الحركات والحروف على السواء، كسمى الضم، أو الكسر أو الفتح أو الألف أو الباء أو التاء .. الخ ، دون النظر إلى

(1) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي واضع علم العروض...-358هـ ينظر:المصدر نفسه ، ص:245.

(2) عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو...-392هـ ينظر:المصدر نفسه ص : 484.

(3) ينظر:الصوتيات في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة ،عبد الفتاح المصري ص:243 (مقال).

(4) معجم متن اللغة، للشيوخ أحمد رضا 478/2.

تمثيلها في رمزها كتابياً أو أثرها نطقياً وسمعياً؛" قال الخليل يوماً وسأله أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والكاف التي في مالك، والباء في ضرب؟ ف قيل له: نقول: باء كاف. فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول كَه وَبَه⁽¹⁾.

لقد أظهر الخليل فرقا بين مساقين من الأنظمة، وحدد الفوارق بين المستويين: الاصطلاحي (=التسمية)، والصوتي (=النطقي والسمعي)، ووجه أصحابه إلى ذلك. وفي دلالات إنزالها لتفريق بين هذه الأنظمة عمل الخليل بفطنه ونباهته وإدراكه على تحديد وإيضاح مفاهيم العديد من المصطلحات الصوتية (كالنفس، والصوت، والمقطع، والحرف)، وهو ما ألهم سيبويه من بعده وابن جني وابن درستويه⁽²⁾ وحمزة الأصفهاني⁽³⁾ من علماء العربية إلى التفريق بين هذه الأنظمة في تعريفهم للجهر والهمس والشدة والرخاوة وفي تمثيلهم منطوق اللغة

(1) الكتاب، سيبويه ص: 3 / 320، وفي نفس السياق والمعنى ينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، لأبي الحسن علي الصفاقسي (1053-1118هـ)، ص: 33، قال الخليل لأصحابه يوماً "كيف تنطقون بالميم من جعفر؟ قالوا جيم، قال: إنما نطقتم بالاسم ولم تنطقوا بالمسئول عنه وهو جه".

(2) ابن درستويه (258-347هـ=871-958ف) عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان، أبو محمد؛ من علماء اللغة كان فاضلاً مفنناً في علوم كثيرة من علوم البصريين، فارسي الأصل اشتهر وتوفي ببغداد، له تصانيف كثيرة منها: (تصحیح الفصح) وكتاب (الكتاب)، و(الإرشاد في النحو)، و(أخبار النحويين) و(نقض كتاب العين). ينظر الفهرست، لابن النديم ص: 93-94، ووفيات الأعيان لابن خلكان: 44/3، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: 58/9، ونزهة الألباء للأنباري، ص: 356، والأعلام للزركشي: 76/4. (3) حمزة بن الحسن الأصفهاني 280-360هـ سماه جهلة اصبهان (بائع الهذيان) لخوضه كل العلوم وكثرة تصانيفه. ينظر: معجم الأعلام ص: 227.

بأحرف الهجاء، وتفريقهم بين المستحسن منها والمستقبج. يقول ابن جني في ذلك: "أما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف واحتجاجة في ذلك بأنها لا تثبت صورتها فليس بشيء، وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط. والهمزة موجودة في اللفظ كالهاء والقاف وغيرها، فسبيلها أن تعتد حرفاً كغيرها"⁽¹⁾. وفي مكان آخر يقول: "إن واضح الخط أجراه في هذا على اللفظ؛ لأنه أصل للخط، والخط فرع على اللفظ"⁽²⁾.

ومجمل القول: إن علماء العربية المتقدمين فصلوا بين هذه الأنظمة وفرقوا بين المصطلحات السابقة داخل نظامين فقط. غير أنه يعوزهم التفريق بين هذه المصطلحات في النظام الثالث- أعني النظام المقروء أو الكتابي- إذ لم يحددوا رمزاً كتابياً منفرداً لكل مسمى وصوت من النظاميين: الاصطلاحي والصوتي (=النطقي والسمعي)، مع علمهم بهذا النقص وإشارتهم له في كثير من مؤلفاتهم اللغوية والنحوية، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني. أشادة⁽³⁾ "لكن هذا التقصير هو خلل في الاصطلاح أكثر من كونه خللاً في الإدراك"⁽⁴⁾.

(1) سر صناعة الإعراب لابن جني: 48/1.

(2) المصدر نفسه: 50/1.

(3) أ. شادة. Schaade. A. مستشرق ألماني تخصص في اللغات الشرقية على فيشر من ليبزيج، ولد سنة 1883م وتوفي 1952م، عمل في الجامعة المصرية، ومديراً لدار الكتب المصرية بالقاهرة، ترك عدداً من الأعمال منها: ابن زيدون، العربية والسريانية، أحمد تيمور باشا، النهضة العربية، والعربية واللغات السامية، والعربية والتركية. ينظر: المستشرقون نجيب العقيلي: 448-449.

(4) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، أ. شادة، ص: 9 (مقال).

ثانياً: النظام الكتابي (=المقروء) :

القارئ الذي يتعايش مع كتاب سيبويه ونصوصه سيقف في تأملاته عند قوله : " وهذه الحروف التي تَمَّتْها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة "(1) ويتضح من هذا جليا تفريقه بين أصول الحروف وفروعها في معظم أحواله وإن كان "لم يفرق بين اصطلاحي (الحرف) و(الصوت) على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي Phoneme أو Sound أو Allophone فالحرف لديه يشمل كل ذلك ، ومن الواضح أيضاً أن سيبويه جعل الكثير من الأعضاء الثانوية أو الفروع المختلفة للحروف على حد تعبيره أوصافاً تعدو العضو الرئيس أو كما يسميه: الأصل، وسمي الأوصاف ولم يعدد الأصوات ، وكان من بين ما سماها به الإدغام، و [القلب]، والإخفاء ونحوها..."(2) .

فاستعمل سيبويه لمصطلح (الحروف) بدلاً من (الأصوات) لا يعني أنه لم يكن يفرق بينهما كما يرى الدكتور، تمام حسان، " إذ إن ما ذكره سيبويه من فرق بين الحروف الأصول والفروع(3) ، يدل على معرفة تامة بما يعنيه كل من الحرف والصوت "(4) .

(1) الكتاب، ص: 4 / 432 وينظر: سر صناعة الإعراب 51/1

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص: 57.

(3) ينظر: الكتاب 432/4 - 434.

(4) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ، نوزاد حسن أحمد، ص: 90.

لقد استشعر سيبويه من خلال دراسته لمفهوم الحرف والصوت والنفس في مساق النظام الصوتي (=النطقي والسمعي) فرقاً بين هاتاه المصطلحات فالحرف عنده دون المقطع، والمقطع عنده دون الصوت، والصوت عنده دون النفس فله السبق في هذا التفريق وإن ادعى الغربيون عكس ذلك.

كما نرى أيضاً ابن جني يستعمل في مقدمة كتابه (سر الصناعة) مصطلحي (الحرف والصوت) غير أن إطلاقه لهما يعتريه - غالباً - بعض الاضطراب والتداخل في الاستخدام بين المساقين الصوتي (=النطقي والسمعي) والكتابي (=المقروء)، واستعماله مصطلح (الحرف) يعني به الصوت هو الغالب على درسه الصوتي كما يتضح لمتابعيه في هذا النص وغيره، يقول ابن جني: "أذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها .. إلى غير ذلك من أجناسها"⁽¹⁾. وقد جاء مقصده "من كلمة الحروف (الأصوات)، آية هذا أنه ذكر صفات هي للصوت المنطوق لا للرمز المكتوب"⁽²⁾.

فابن جني في حديثه عن الإدغام ناوب بين مصطلحي (الحرف والصوت) حيث ذكر في ظاهرة التناغم الصوتي "تقريب الصوت من الصوت، ثم عاد فذكر تقريب الحرف من الحرف، وقد يستخدم كلمة الصوت في معنى الحركة كعند

(1) سر صناعة الإعراب، المقدمة 3/1-4، وينظر: الخصائص لابن جني 57/1-58.

(2) الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية، عبد الفتاح المصري ص: 243، وما بعدها (مقال).

حديثه عن (الامالة). وعن كسر الشين والباء في نحو: شعير وبعير⁽¹⁾؛ كما أنه يطلق مصطلح (الصويت) على مصطلح (النفس) وهو مفهوم من مضمون هذا النص، يقول ابن جني: "إن بعض الحروف أشد حصرًا للصوت من بعضها.. فتجد الصوت يتبع الحرف، وإنما يعرض هذا الصوت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها"⁽²⁾. من سياق نصه يظهر ابن جني لنا استخدام مصطلح (الصويت) بمعنى مصطلح (النفس) أو ربما يكون (الصويت) مساويًا لما نسميه الآن بالاحتكاك⁽³⁾، أو بالحركة المعيارية [d] التاسعة، وذلك كما يظهر من نصه الذي يقول فيه: "إن من الحروف حروفًا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى. وهي الزاء والطاء والذال والضاد..."⁽⁴⁾.

أما ابن سينا⁽⁵⁾ فيعد الحرف هيئة عارضة للصوت، تميز الصوت المنطوق عن بقية الأصوات الأخرى في السمع؛ ومن هنا نراه قد ميز بين مصطلح

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) سر صناعة الإعراب، 7/1.

(3) ينظر: نظرات في اللغة، محمد مصطفى رضوان، هامش (1) و(3) من ص: 77. والرأي في الأصل من بنات أفكار د. كمال بشر، ينظر: علم اللغة العام الأصوات، هامش 3 من ص: 80..

(4) الكتاب 174/4 - 175.

(5) الحسين بن عبد الله بن سينا الطيبي أبو علي فيلسوف وطبيب 370-428هـ. ينظر: معجم الأعلام ص: 212.

(الحرف والصوت) على صعيد النظام الصوتي لا على صعيد النظام الكتابي، إذ يقول: "والحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تمييزاً في المسموع"⁽¹⁾.

ويظهر من مجمل دراسات المتقدمين من علماء العربية أن التفريق بين الصوت والحرف والحركة لم يكن وقفاً على ما سرده جهابذة العربية بل تناول هذه القضية بالتحليل والتمحيص ثلثة من العلماء لهم باعهم في الدرس الصوتي واللغوي يقول ابن الحاجب⁽²⁾: "اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً، منها ثمانية وعشرون لها صور"⁽³⁾. ويقول ابن درستويه: "إن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً، مختلفة الألفاظ، وصورها ثمانية عشرة صورة، لتشابه صور الحرفين منها والثلاثة..، ولولا التشابه لكانت لكل حرف صورة..."⁽⁴⁾، ويقول حمزة الأصفهاني: "ولو رام إنسان من أهل الزمان أن يضع كتابة سليمة من التصحيف جامعة لكل الحروف التي تشمل على جميع اللغات لزمه أن يضع أربعين صورة لأربعين حرفاً، منها ثمانية وعشرون حرفاً ما قد رسم بها هجاء العربية التي هي..أ-ب-ت-ث-ج-ح-خ...، ومنها أربعة جارية في العربية على

(1) أسباب حدوث الحرف، لابن سينا ص: 10.

(2) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب، فقيه مالكي، وعالم بالعربية، 570-747هـ ينظر: معجم الأعلام ص: 486.

(3) المقتضب، للمبرد ص: 192.

(4) كتاب الكتاب، لابن درستويه، ص: 64.

ألسن أهلها ولم يخصوها بصورة، وهي النون، الغناء، والهمزة، والواو والياء اللينتان، فالنون الغناء هي التي تخرج من الغنة، وهي مثل نون (منذر).. والهمزة مثل قرأ.. والواو والياء فيمثل (عمود وبعير) لأنهما ليستا من مخرج ياء (يزيد وزيد) وواو (واصل وصواب)»⁽¹⁾.

ونستنتج من جملة هذه النصوص أن تفريق المتقدمين من علماء العربية بين (الصوت والحرف) إنما كان في مساق النظام الصوتي والاصطلاحي، أما في مساق النظام الكتابي فإنهم يستخدمون هذين المصطلحين بمعنى واحد أحياناً أو يفرقون بينهما تفرقة لا نتوصل بها إلى جعل (الحرف) - على وجه التحديد - مساوياً للاصطلاح الغربي: (فونيم Phoneme) فمصطلح (الحرف) عندهم له دلالة صوتية إلى جانب استخدامه للتعبير عن الرمز المكتوب.

إن الصوت عند علماء اللغة المحدثين "هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، أما (الحرف) فهو ذلك الرمز الكتابي، الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى"⁽²⁾. وفي تفصيل هذا المعنى يقول فندريس⁽³⁾: "لسنا في حاجة إلى القول

(1) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة الأصفهاني (ت: 360هـ) ص: 33.

(2) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص: 84.

(3) ج. فندريس، من أهم الرواد الأوائل وأعلام المدرسة الفرنسية في القرن العشرين له كتاب (اللغة) المنشور عام 1929 ف، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية عام 1950 ف. ينظر: أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء محمد البيه، ص: 70.

بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات، تلك حال الفرنسية والإيطالية والإنجليزية، ومع ذلك فإن عدد الأصوات في أية لغة، لا يكاد يتعدى الستين عادة بل يمكن أن ينزل عن ذلك نزولاً محسوساً⁽¹⁾.

لقد فرق علماء الصوت من الغربيين بين هذه الأنظمة في دراساتهم وفي تقنين تحاليلهم واستنتاجاتهم الصوتية ووظيفوها في تحديد العديد من المصطلحات، فهم ميزوا بين مفهوم مصطلحي (الحرف والصوت)-بعد أن خلطوا بينهما فترة من الزمن⁽²⁾- على أساس كونهما مصطلحين أساسيين " يشكل الأول منهما وحدة كتابية أساسية للنظام اللغوي ويشكل الثاني وحدة نطقية أساسية للبناء الصوتي العام للغة ، وبناء على هذا فرق اللغويون بين نوعين من الكتابة :

- الكتابة الهجائية (=الإملائية) التي يشكل الحرف الوحدة الأساسية فيها.
- الكتابة الصوتية التي يشكل الصوت (أو بشكل أدق الفونيم) وحدتها الأساسية⁽³⁾.

إذاً يمكننا إعادة القول: إن الفرق بين الصوت والحرف أن " الصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس وعلى الأخص خاصتي السمع والبصر ، يؤديه

(1) اللغة : فندريس ، ص: 62.

(2) ينظر: الأصوات اللغوية، أنيس، ص: 111، وفي البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، ص: 31.

(3) اللغة العربية والكتابة الصوتية ط. رضوان القضماني ، ص: 23، (مقال).

الجهاز النطقي حركة ، وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه، أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية، لا عملية عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجد المتكلم فإن الحرف مما يوجد الباحث "أي الكاتب" (1).

ثالثاً: النظام الصوتي (= النطقي والسمعي) :

إن أروع تحليل بلغه المتقدمون من علماء العربية للفصل بين هذه المصطلحات واقع في هذا النظام، إذ درسوا فيه دراسة تدل على عمق في تحليلهم الصوتية للأصوات والحروف. فالمتقدمون من علماء العربية كذا المحدثون بينوا "أن تيار النفس هو أساس كل صوت لغوي مهما كان نوعه" (2)، مع أنه في حقيقته المعجمية "خروج الريح من الأنف والفم" (3).

لقد ميز المتقدمون من علماء العربية بين النفس والصوت والمقطع والحرف والصفة في هذا النظام (4) إذ يرون أن الهواء الخارج من الإنسان " إن خرج بدفع الطبع يسمى نفساً - بفتح الفاء - وإذا خرج بالإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتاً" (5). أما ما نقله الأشعري (6) عن الآخرين حين

(1) اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان ، ص: 132.

(2) علم الأصوات عن سيبويه وعندنا ، ص: 9 (مقال).

(3) لسان العرب، مج 6، ص: 689- 690 ، مادة (نفس).

(4) مقالات الإسلاميين ، للأشعري ج 2 ، ص: 245.

(5) المنح الفكرية، الملا علي القارئ، ص: 14.

(6) علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن إمام مدرسة الأشاعرة 260-324هـ، ينظر: معجم الأعلام، ص: 510.

قالوا: "الكلام حروف والقراءة صوت والصوت عندهم غير الحرف، فواضح أنه يقصد بالكلام الكلام غير المنطوق (أي الكلام النفسي) الذي ينتظم بنظم عبد القاهر، ويكون في الفؤاد على حد عبارة المتنبي وهو أيضاً المعين الصامت بين دفتي المعجم، ونعني بالقراءة نطق هذه الكلمات وجعلها ألفاظاً"⁽¹⁾

لقد فرق طاش كبرى زاده⁽²⁾ في تعريفه الوصفي هذا بين الهواء الخارج بدفع الطبع والهواء الخارج بقوة الإرادة، ويقصد بالطبع هنا عملية التنفس العادية التي يقوم بها الإنسان بفطرته والمشملة على حالي الشهيق والزفير، وهذا لا يعني عدم إمكان الناطق كبت هواء التنفس وحبسه ثم الإفراج عنه، لكن ذلك إلى حد ما وبزمن مؤقت، أما الهواء الخارج بالإرادة، فهو الهواء الخارج بقوة الإرادة وفعل الخروج معاً وحصل له أثناء خروجه تموج وتصادم بتدخل أعضاء أخرى من الجهاز النطقي، ولزمت الهواء بذلك كيفية هي الصوت، وهذا الوصف هو صريح قول ابن سينا حين تحدث عن سبب حدوث الحروف ففرغ فكرة تموج الهواء إلى فعل التموج وحال التموج إذ يقول: "أما نفس التموج فإنه يفعل الصوت، وأما حال التموج في نفسه من جهة اتصال

⁽¹⁾ اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 73-74.

⁽²⁾ طاش كبرى زاده (901-968هـ=1495-1561م) أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير، عصام الدين طاش كبرى زاده مؤرخ تركي الأصل، مستعرب، ولد فيبروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، ولي القضاء بالقسطنطينية، سنة 958هـ، له كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ومفتاح السعادة). ينظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبرى زاده: 90-79/2، والأعلام: 257/1.

أجزائه وتماسها أو بسطها ونحتها فيفعل الحدة والثقل. أما الحدة فيفعلها الأولان، وأما الثقل فيفعله الثانيان، وأما حال التموج من جهة الهيئات التي تستفيدا من المخارج والمحابس في مسلكه فتفعل الحروف⁽¹⁾. وفي مثل هذا يقول ابن عبد السلام الفاسي⁽²⁾ غير أنه عمل على إضافة بعض التدقيقات على تركيب الحرف والحركة إذ يقول: "إن اللافظ إذا دفع الهواء من جوفه إرادة المخاطبة والتكليم تموج الهواء لذلك الدفع ولزمته كيفية هي الصوت عند القاضي أبي بكر، فإن انتهى إلى حيز وقرع مخرجاً من مخارج الحلق أو الفم أو الشفتين تموج لذلك القرع فتكيف بكيفية هي الحرف حيث اعتبر خصوص المخرج، فإن قرّ الهواء في ذلك المخرج قراراً تاماً ولم يضطرب فالحرف ساكن، وإن لم يتم قراره واضطرب عند الاعتماد كان الحرف متحركاً لانفصاله عن الحيز بحركة وإن لم ينته إلى حيز فهو الحركة فالحركة والسكون على هذا ليس عرضين للحرفين ولكن للهواء المعتمد"⁽³⁾.

(1) أسباب حدوث الحروف، ص: 10.

(2) ابن عبد السلام الفاسي (1130-1214هـ=1718-1800ف)، محمد بن عبد السلام بن محمد بن يوسف العربي بن يوسف أبو العباس الفاسي، كبير العلماء بالقراءات في عصره بفاس، مولده ووفاته فيها، له (المحاذي) في علم القراءات (وطبقات المقرئين)، (ومخارج الحروف)، وغيرها. ينظر: عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد للمولى سليمان بن محمد، ص: 70، وفهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، لمحمد بن عبد الحي بن عبد الكبير الإدريسي الكتاني: 223/2، والأعلام: 206/6.

(3) عن بحث في فونولوجيا اللغة العربية، أوديت بقي؛ ص: 173 (مقال).

لم يشر الفاسي في هذا النص إلى أثر النفس الخارج بدفع الطبع ولا إلى طبيعة مصدره ومنشئه ولا إلى دوره بكونه مَرَكَباً للصوت ، وإنما أفصح عن ماهية الهواء - أي النفس - المدفوع من (الجوف)[ولم يقل من الرئة] بإرادة المخاطبة والتكليم ، غير أنه لم يشر إلى كيفية خروج النفس حال كونه مستطيلاً ممتداً متصلاً بالمقاطع وإنما نبّه إلى تموج الهواء المدفوع فقط. ولا يفهم من مبدأ التموج المشتمل على التضاضعات والتدخلات في حركته وصفه للصوت بالاستطالة والامتداد والاتصال بالمقاطع ، كما أنه خلط في حديثه بين مفهوم (الهواء) و(النفس) و(الصوت)، حين وصف الهواء وهو قارٌّ في المخرج قراراً تاماً دون اضطراب حال إنتاج (الحرف الساكن)، وكان ينبغي أن يحدد مصطلحاته كي لا يخلط بين مفاهيمها.

ف(الهواء) يعني به: الهواء الخارجي الداخل إلى فم الإنسان حال الشهيق، شريطة ألا يحدث إنتاجه بتدخل من أعضاء النطق والتنفس، وهو وصف عام يطلق على الهواء المعبئ لأي فراغ وإن كان ما بين السماء والأرض... وهكذا، أما النفس فهو: الهواء الخارج من جوف الإنسان بدفع الطبع حال الزفير، أما الصوت فهو: الهواء الخارج من جوف الإنسان بقوة الإرادة حال اللفظ وتدخلت بعض أعضاء النطق في إنتاجه ، يقول في ذلك الدكتور سعد مصلوح : "ومن الفروق الأساسية بين الزفير العادي(أو الهادي) والزفير الذي يصاحبه نطق بمجموعة نفسية معينة أن الهواء في النوع الأول يتم طرده بواسطة الضغط الناتج عن وزن ومرونة التراكيب العضوية التي يتم إزاحتها بواسطة عضلات

التنفس ، إما في قمم مقطعية أو وديان قطعية"⁽¹⁾، كما عرفه صاحب شرح الحدود النحوية بأنه "عرض يقوم بمحل يخرج من داخل الرئة إلى خارجها مع النفس مستطيلاً ممتداً متصلاً بمقطع من مقاطع حروف الحلق واللسان والشفيتين"⁽²⁾.

لقد بين صاحب شرح الحدود في هذا التعريف منشأ الصوت ومصدره وهو الهواء المدفوع بانقباضات الرئة إلى الخارج. كما أشار إلى أن الصوت ليس بجوهر وإنما عرض، إذ لا يقوم بذاته بل على غيره ، أعني النفس التي هي مركبه ؛ وهذا التحليل الذي أشار إليه صاحب شرح الحدود نراه قد سبق إليه من قبل، إذ ورد هذا المعنى في كثير من الدراسات الصوتية العربية الأولى السابقة ، فهذا رضي الدين الاسترابادي⁽³⁾ يشير إلى أن النفس هو مركب الصوت حيث يقول ما مجمله: إن النفس الخارج من الصدر، وهو مركب الصوت يحتبس إذ اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف⁽⁴⁾.

(1) دراسة السمع والكلام ، سعد مصلوح ص: 269 - 270.

(2) عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت. 972هـ) ، ص: 38.

(3) الرضي الاسترابادي (...- نحو 686هـ=...- نحو 1287ف) محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، نجم الدين: عالم بالعربية ، من أهل استراباد اشتهر بكتابه الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب ، في علم النحو، وشرح مقدمة ابن الحاجب (=الشافية)، في علم الصرف . ينظر: خزانة الأدب، للبغدادي: 12/1، وبغية الوعاة للسيوطي: 567/1، ومفتاح السعادة: 147/1، والأعلام: 86/6.

(4) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، الاسترابادي، القسم الأول، 251/3، و259.

لقد كان لاسترابادي دقيقاً في استخدام المصطلحات إذ عبر بالنفس ولم يقل الهواء ثم حدّه بالخارج من الصدر ولم يقل من صوت الفم ليشير إلى تدخل الأوتار الصوتية وآثارها ، كما بيّن أن النفس هو مركب الصوت فبدونه (أي: النفس الخارج من الصدر) لا يحدث صوت .

وبهذا نصل إلى نتيجة هي أن لاسترابادي يفرق من خلال هذا النص بين صوت الصدر وصوت الفم كما يشير إلى أن صوت الصدر هو الذي بسببه يحدث إنتاج الصوت إيماءً منه بذلك إلى أثر الحبال الصوتية ودورها في إحداث جرس الصوت. أما (المرعشي)⁽¹⁾ فإنه يعرف الصوت من جهة أخرى إذ يقول: "اعلم أن النفس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان إن كان مسموعاً فهو صوت ، وإلا فلا"⁽²⁾. وقال بما مفاده أيضاً: إن النفس مركب الصوت ⁽³⁾. هذا التعريف أوضح في تحديد طبيعة الصوت اللغوي، إذ يعتمد في حده على أثر الصوت السمعي ، فإن كان مسموعاً فهو صوت وإلا فلا . ولم يتعرض إلى قوة

(1) المرعشي (...=1145هـ-...=1732م) محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجلي زاده، فقيه حنفي من العلماء، مشارك في معارف عصره ، من أهل مرعش ، صنف نحو ثلاثين كتاباً ورسالة منها: جهد المقل، في التجويد ، وشرحه بيان جهد المقل ، وتقرير القوانين المتداولة في النطق، وغيرها. ينظر: فهرس المكتبة الأزهرية للكتب الموجودة فيها إلى سنة (1369هـ=1950م)، إشراف أبو الوفاء المراغي، 338/7-351، والأعلام: 60/6).

(2) جهد المقل، محمد المرعشي، ص: 22.

(3) ينظر: المصدر نفسه والصفحة وما بعدها، وقد توسع المرعشي في عرض هذه المسألة في كتابه: بيان جهد المقل.

الإرادة في دفع النفس كما أنه لم يشر إلى الوسيلة وإنما أشار إلى الغاية المبتغاة في إحداث صوت مسموع.

إن موضوع هذا التعريف وغايته هي النتيجة التي قررها المحدثون - فيما بعد - من علماء الصوت يقول الدكتور، كمال بشر: "الصوت اللغوي أثر سمعي يصدر طوعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق"⁽¹⁾.

ويظهر لنا من جل هذه التعريفات أن التمييز بين النفس والصوت قديم لا يرجع إلى زمن مقولة من ذكرنا من أقوال العلماء بل إلى ما قبلهم بكثير من زمن الخليل وسيبويه وابن جني، فسيبويه المقتبس آراء الخليل في كتابه ميّز بين النفس والصوت حيال تفريقه بين المجهور والشديد من الأصوات، إذ جعل النفس مرتبطاً بتعريف المجهور والصوت مرتبطاً بتعريف الشديد⁽²⁾.

كما أن ابن جني أشار إلى كون الصوت شيئاً آخر غير النفس حين عرّف الصوت بأنه: عرض مستطيل يخرج مع النفس ... بمد واستطالة⁽³⁾. إلا أن الصوت على هذا التعريف عام يشترك فيه الإنسان الناطق والحيوان الأعجم؛ لأن الاثنين يملكان هذه الأعضاء التي تم ذكرها⁽⁴⁾.

(1) علم اللغة العام، الأصوات، كمال بشر، ص: 64، وينظر قبله: الأصوات اللغوية، ص: 6-15، وعلم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص: 3 (مقال).

(2) ينظر: الكتاب، ص: 434.

(3) ينظر: سر صناعة الإعراب 6/1.

(4) ينظر: الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: 243 (مقال).

وقد خرج ابن جني هذا الإشكال بأن حدّد للإنسان حال إنتاجه الحروف "مقاطع للصوت الخارج مع النفس ممتداً مستطيلاً" ⁽¹⁾ . وبهذه الخصوصية ، أعني التقطيع ، تميز صوت الإنسان عن غيره من أصوات الحيوانات.

لقد فرق المتقدمون من علماء العربية بين مساق الأنظمة الثلاث: الاصطلاحي، والكتابي، والصوتي، وحددوا المصطلحات التالية: (الهواء والنفس والصوت والحرف والحركة) من خلال هذه الأنظمة الثلاث إلا أنّ تفريقهم بين مفاهيم هاته المصطلحات تمثل بوضوح أكثر في مساق النظام الصوتي ، إذ بلغ المتقدمون من التقنين والتفصيل في مفهوم الهواء والنفس والصوت والحرف والحركة ما دعا المحدثين من علماء الصوت إلى الانبهار والثناء والإعجاب بعقلية وفطنة علماء العربية المتقدمين الذي لا يدل في حقيقة الأمر إلا على كونه توفيقاً ربانياً وفتحاً وإلهاماً إلهياً وفقوا إليه؛ ليصلوا به إلى هذه الدقة من التحليل الصوتي خدمة للغة القرآن الكريم وحفاظاً على جودة تلاوته وأدائه .

(1) سر صناعة الإعراب 6/1 وما بعدها .

مصادر البحث ومراجعته

- § أسباب حدوث الحروف ، لأبي علي الحسين بن سينا ، راجعه وقدم له :
طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، حسنين محمد امبابي وأخوه
محمد ، القاهرة ، 1398هـ=1978م.
- § الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة الأنجلو المصري، مصر،
1987م.
- § أطلس أصوات اللغة العربية، د. وفاء محمد البيه ، الهيئة المصرية
العامّة للكتاب، ط1، 1994م.
- § الأعلام ، قاموس تراجم لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ،
بيروت، لبنان ، ط. 9 ، تشرين الثاني ، نوفمبر 1990م.
- § البرهان في علوم القرآن، للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، تحق:
محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1972، 2م.
- § بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحق.
محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت، 1964م.
- § تاريخ بغداد للخطيب البغدادى، ط. مصر، 1349هـ.
- § تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين ، لأبي الحسن علي بن محمد النوري
الصفاقسي (1053-1118هـ)، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1، 1407هـ=1987م.
- § التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة الأصفهاني (ت:360هـ) تحق :
محمد أسعد أطلس، مجمع اللغة العربية ، بدمشق ، 1968م.

- § جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي، الملقب بساجقلي زاده، (ت:1150هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، ط: دار الصحابة للتراث بطنطا، 2005م.
- § خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، طبعة بولاق. واستخدمت في التراجم ط. مصر، 1299هـ.
- § الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، طبعة مزيعة ومنقحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1407هـ=1987م.
- § دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، القاهرة، عالم الكتب، 1980م.
- § رسم القرءان الكريم وضبطه برواية قالون من خلال الوجه المنفردة به ليبيا عبد السلام مختار سنان (مخطوط رسالة) بمكتبة جامعة طرابلس، 1984م.
- § سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مكتبة ومطبعة محمد البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1374هـ=1954م.
- § شرح شافية ابن الحاجب، لاسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن 686 هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1982م.

- § شرح الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت. 972هـ) ،
تحقّق: زكي فهمي الالوسي، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد ،بيت الحكمة
(دنت).
- § الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، لطاش كبرى زاده،
مطبوع على هامش، وفيات الأعيان. ط. مصر، 1310هـ.
- § علم اللغة علي عبد الرحمن وافي لجنة البيان العربي القاهرة 1950م.
- § علم اللغة العام الأصوات، د. كمال بشر، دار المعارف ، ط 7 ، 1980م.
- § عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد للمولى سليمان بن محمد ،
ط. فاس، 1347هـ.
- § فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات،
لمحمد بن عبد الحي بن عبد الكبير الإدريسي الكتاني ، ط. فاس، 1346-
1347هـ. ط. مصر.
- § فهرس المكتبة الأزهرية للكتب الموجودة فيها إلى سنة 1369هـ=
1950م، إشراف أبو الوفاء المراغي ط. مصر.
- § الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978م.
- § في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية، بغداد 1983م.
- § كتاب الكتاب، لابن درستويه، (ت: 346هـ) نشره: لويس شيخو، مطبعة
الآباء اليسوعيين، بيروت، 1921م.

- § كتاب سيبويه ، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح :
عبد السلام هارون ، ج1، دار القلم، 1966، وج2، دار الكتاب العربي للطباعة
والنشر ، 1968م ، وج3 ، النهضة المصرية للكتاب ، 1973م ، وج4، الهيئة
المصرية للكتاب، 1975م.
- § لسان العرب، لابن منظور، ترتيب: يوسف الخياط، دار لسان العرب،
بيروت (د.ت).
- § لطائف البيان في رسم القراءان شرح مورد الظمان أحمد محمد أبي
زيتخار، ط الأولى سنة 1953م ، مطبعة الأزهر القاهرة مصر.
- § اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ، مطبعة دار الثقافة ،
المغرب (د.ت).
- § اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء،
المغرب، 1958م.
- § المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ،
الناشر: مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1405هـ=1985م.
- § المستشرقون نجيب العقيلي، دار المعارف ، ط.4 موسعة .
- § معجم الأعلام، بسام عبد الوهاب الجابي، ط الاول 1407هـ=1987م،
مط الجفان والجابي للطباعة والنشر.
- § معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،
1958م.

- § مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ، ط. حيد آباد ، 1329هـ.
- § المفرد العلم في رسم القلم للسيد احمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ط (17) بدون تاريخ .
- § مقالات الإسلاميين ، للأشعري ، ط2. (د.ت).
- § المقتضب، لأبي عباس محمد بن يزيد المبرد ، ج1 ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، 1963م.
- § المنح الفكرية على متن الجزرية ، الملا علي القارئ، المطبعة الميمنية ، مصر، 1322هـ.
- § المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ، نوزاد حسن أحمد ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط1 ، 1996م.
- § نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم لمصطفى عفاني مط حجازي بالقاهرة 1937م.
- § نزهة الألباء في طبقات الأطباء، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، ط. مصر، 1294هـ.
- § نظرات في اللغة، محمد مصطفى رضوان ، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1976م.

§ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، 609-681هـ . تح. احسان عباس، دار صادر بيروت ، 1397هـ=1977م.

الكتب المترجمة والدوريات

§ بحث في فونولوجيا اللغة العربية، أوديت بقي ؛ مجلة الفكر العربي ؛ العددان 8، 9، 15 يناير، 15 مارس ، السنة الأولى ، 1979م.

§ الصوتيات عند ابن جني، بدر الدين الرفاعي ؛ مجلة التراث العربي؛ العدد 13 ، 14 ، السنة الرابعة ، 1984م.

§ الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، عبد الفتاح المصري ؛ مجلة التراث العربي ؛ العدد 13 محرم 1404هـ=أكتوبر، و14 ربيع الثاني ، يناير 1984م ، السنة الرابعة.

§ علم الأصوات عن سيبيويه وعندنا، أ. شادة ، محاضرة ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية ونشرت في صحيفة الجامعة المصرية ، العددان 5، 6 ، السنة الثانية ، 1931م.

§ اللغة، ج. فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية.

§ اللغة العربية والكتابة الصوتية، د. رضوان القضايني ؛ مجلة الموقف الأدبي ؛ العدد 40، كانون الأول ، 1982م ، عدد خاص باللسانيات ، تصدر عن اتحاد الكتاب العربي ، دمشق.

الدَّالَّةُ النَّحْوِيَّةُ بَيْنَ أَسَالِبِ الْعَرَبِ وَتَأْوِيلِ النَّحْوِيِّينَ

د. عبد العالم محمد القردي (*)

مُقَدِّمَةٌ:

إِنَّ ما وجدَهُ النُّحاةُ في اللغةِ بعدَ استقراءِها مِنْ خصائصَ مشتركةٍ ذاتِ نهجٍ خاصٍّ في الضَّبْطِ والصَّوْغِ جعلَهُمْ يَتَصَوَّرُونَ في أذهانِهِم قواعدَ عامَّةً تُلْمُ هذهِ الخصائصَ؛ لِتُتَّخَذَ أساساً لِلجَدَلِ وإقامةٍ لِلحُجَّةِ وَتَرْجِيحِ لِرَأْيٍ، وَلَعَلَّ مِنْ تلكِ القواعدِ التي تَوَصَّلُوا إليها نظريَةُ العَاملِ وما تَبِعَها مِنْ ضوابطٍ لِتَنْظِيمِها، كاختِصاصِ العَاملِ وُجُوبِ تَقْدِيمِهِ وَعَدَمِ اجْتِماعِهِ مَعَ مِثْلِهِ على مَعْمُولٍ واحدٍ⁽¹⁾، والعَاملِ في اصطِلاحِ النَّحْوِيِّينَ هو "ما أُوجِبَ كَوْنُ آخِرِ الكَلِمَةِ على مَخْصُوصٍ مِنَ الإِعْرابِ"⁽²⁾، وَمِنْ ثَمَّ انْقَسَمَ العَمَلُ الإِعْرابِيُّ إلى عَاملٍ وَمَعْمُولٍ وأَثَرٍ إِعْرابِيٍّ، التي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً جَمِيعُها؛ فَإِذا انْعَدَمَ إِحْداهَا أوْ كُلُّها

(*) أستاذ مساعد - جامعة الزاوية

(1) يُنظر: المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، عبد العزيز عبده أبو عبد الله

715 - 714/2

(2) كتاب التعريفات، للشريف الجرجاني، ص 168

وَجَبَّ التَّقْدِيرُ⁽¹⁾ ، والعامل في الغالب أن يَكُونَ لفظياً، وقد يأتي معنوياً، وهو قَلِيلٌ عِنْدَ الثَّحَاةِ؛ إذ لا يَتَجَاوَزُ الثَّلَاثَةَ، وهي: عاملُ الابتداءِ، وهو عاملُ الرَّفْعِ في المبتدأ، وقد قال به البصريون، وعاملُ التَّجَرُّدِ، وهو عاملُ الرَّفْعِ في الفِعْلِ المضارع، وعاملُ الخِلاَفِ، وهو عاملُ التَّصْبِ في المضارع بَعْدَ (أَوْ والوَاوِ والفاء)⁽²⁾ ، وقد اسْتَقَرَّ الأَمْرُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ عَلَى قَبُولِ الْأَوَّلَيْنِ، فِي حِينَ بَقِيَ الثَّالِثُ مَهْجُورًا.

وَرُغِمَ مَا لِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ مِنْ دَوْرٍ فِي تَيْسِيرِ التَّحْوِ وَتَسْهِيلِ تَعَلُّمِهِ إِلَّا أَنَّ التَّجَاءَ التَّحْوِيْنَ لِلتَّأْوِيلِ مِنْ حَذْفٍ وَتَقْدِيرٍ وَحْمَلٍ وَزِيَادَةٍ بِسَبَبِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ أَدَّى إِلَى انْزِيَاكِ مَذْلُولِ الْكَلَامِ عَنْ مَقْصُودِهِ، وَهُوَ مَا يَتَنَافَى مَعَ مَقْصُودِ أَهْلِ اللُّغَةِ عِنْدَ تَأْمُلِ أَسَالِيِبِهَا⁽³⁾ .

وَسَيَتَنَاوَلُ الْبَحْثُ نَمَازِجَ مِنْ تَأْوِيلَاتِ التَّحْوِيْنَ لِبَعْضِ الْأَسَالِيِبِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَنْتَظِمْ مَعَ مَا تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ مِنْ ضَوَائِطٍ وَقَوَاعِدَ انْتَبَهَتْ عَنْ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ وَإِعَادَةَ تَحْلِيلِهَا دَلَالِيًا بِمَنَآئِ عَنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِأَقْوَالِ بَعْضِ التَّحْوِيْنَ مِنْ ذَوِي الْفِكْرِ الثَّاقِبِ عِبْرَ تَارِيخِ الْعَرَبِيَّةِ الطَّوِيلِ.

(1) يُنظر: الحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم، ص 357

(2) يُنظر: المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، عبد العزيز عبده أبو عبد الله

(3) يُنظر: كتاب الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، ص 79 - 80

• نَاصِبُ الْمُنَادَى:

يَذْهَبُ جُمهُورُ الثُّحَاةِ إِلَى أَنَّ نَاصِبَ الْمُنَادَى فِعْلٌ مُضْمَرٌ، يَقُولُ سَيَبُويه: "هُوَ نَصَبٌ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارُهُ"⁽¹⁾ ، ويقولُ المبردُ: "وإِنتِصَابُهُ عَلَى الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ إِظْهَارُهُ"⁽²⁾ ، وَتَقْدِيرُهُ: أَنَادِي، يَقُولُ ابْنُ السَّرَاجِ: "أَنَّ قَوْلَكَ: يَا فُلَانُ، يَنْبُؤُ عَنْ قَوْلِكَ: أَنَادِي فُلَانًا"⁽³⁾ ، كَمَا يَقْدَرُ بِ(أَدْعُو)، يَقُولُ الرِّضِيُّ: "وَنَاصِبُهُ الْفِعْلُ الْمَقْدَرُ، وَأَصْلُهُ عِنْدَهُ [أَي: سَيَبُويه]: يَا أَدْعُو زَيْدًا"⁽⁴⁾ ، وَيُرَوْنَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ الْمَقْدَرُ قَدْ حُذِفَ حَذْفًا لَازِمًا؛ لِكثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ، وَلِدَلَالَةِ حَرْفِ التَّدَايِ عَلَيْهِ وَإِفَادَتِهِ فَائِدَتَهُ"⁽⁵⁾ ، وَعَلَّلُوا هَذَا الْحَذْفَ "بِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَمَلِ لِلْأَفْعَالِ، وَالْحَرْفُ يَنْبُؤُ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ، لَا أَنَّهُ يَعْمَلُ"⁽⁶⁾ ، لَكِنَّ الصَّبَّانَ لَمْ يُرِضْهُ هَذَا التَّقْدِيرُ، فَصَرَّحَ قَائِلًا: "وَاعْتَرِضَ نِيَابَةُ حَرْفِ النِّدَاءِ عَنْ أَدْعُو؛ بِأَنَّ أَدْعُو خَبَرٌ، وَالنِّدَاءُ إِنْشَاءٌ"⁽⁷⁾ ، وَقَدْ تَنَبَّهَ النَّحَاةُ إِلَى هَذَا الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا؛ لِذَا لَمْ يُجِيزُوا لِهَذَا الْفِعْلِ الْمَقْدَرِ أَنْ يَظْهَرَ، يَقُولُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: "إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ مُحْتَزَلٌ غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ الْإِظْهَارِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ أَظْهَرْتَهُ لَكَانَ عَلَى الْخَبَرِ، وَمَحْتَمَلًا لِلصَّدَقِ

(1) الْكِتَابُ 182/2

(2) الْمُقْتَضَبُ 202/4

(3) الْأُصُولُ فِي النَّحْوِ 333/1

(4) شَرْحُ الرِّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ 346/1

(5) يُنْظَرُ: حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ 208/3

(6) التَّبَيُّينُ عَنْ مَذَاهِبِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصَرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ، لِأَبِي الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيِّ، ص 443

(7) حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ 197/3

والكذب، ولو كَانَ كذلك لَبَطَلَ هذا الْقِسْمُ مِنَ الْكَلَامِ، وهو أَحَدُ المعاني التي تجري عليها الْعِبَارَاتُ⁽¹⁾، والإنشاءُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْخَبَرِ، فهو من الأساليب الإفصاحية التي تُعَبَّرُ عَنِ الانفعالاتِ التي تَنْتَابُ المرءَ، كالتنبيه، التي يمكن أَنْ تُؤَدِّيَهُ أدَاءُ النداءِ أَصَالَةً، فَضْلاً عَلَى مَا لِحُمْلَةٍ (يا مُحَمَّدُ) مِنْ تَنْغِيمٍ معروفٍ تُحَدِّدُهُ وَسَائِلُ الْقُرْبِ والبُعْدِ مِنْ خِلَالِ عِلَاقَةِ المُنَادِي بِالمُنَادَى وهذا لَا تَحْمِلُهُ جُمْلَةٌ (أَدْعُو مُحَمَّدًا)⁽²⁾، وَيَسْتَدُلُّ مهدي المخزومي⁽³⁾ على أَصالتها في الأمرِ دُخُولُهَا على الفعلِ حيثُ لَا مَنَادَى وَلَا حَاجَةٌ إِلَى تَقْدِيرِهِ، يَقُولُ ذُو الرَّمَّةِ:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيَّةٍ عَلَى الْبَلَا وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجُرْعَائِكَ الْقَطَرِ

لأنَّ تَقْدِيرَ الفعلِ - حَسَبَ رَأْيِهِ - يُحْمِلُ الْكَلَامَ إِلَى صَرْبٍ مِنَ الْحَشْوِ والفُضُولِ الذي لَا يَلِيْقُ بِالْمُتَكَلِّمِ الْعَادِيّ فَضْلاً عَنِ الْأَدِيبِ وَالشَّاعِرِ. والحقيقةُ إِنَّ الذي جَعَلَ الثُّحَاةَ يُقَدِّرُونَ هذا الفعلَ وَيَمْنَعُونَ ظَهْرَهُ هو الْحِفَاطُ عَلَى الْبِنْيَةِ الْأَسَاسِيَةِ لِلتَّرَاكِيِبِ الْمُنطَوِقَةِ؛ انتظاماً لقواعِدِهِمْ وَأَقْيَسَتِهِمْ.

• مَا التَّعْجُيَّةُ:

يَرَى النَحَاءُ أَنَّ (مَا) التَّعْجُيَّةُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٍ، يَقُولُ سَيَبُويهِ عَنِ (مَا أَحْسَنَ عَبْدَ اللَّهِ): "زَعَمَ الْخَلِيلُ أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: شَيْءٌ أَحْسَنَ عَبْدَ اللَّهِ"⁽⁴⁾،

(1) المسائل العسكرية، ص 110

(2) يُنظر: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، أحمد كشك، ص

101

(3) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 304 - 305

(4) الكتاب 72/1

واختلفوا في (مَا)، فقليل: نكرة تامّة⁽¹⁾، والفعل بعدها في موضع الخبر، وقيل: إنها نكرة موصوفة⁽²⁾، والجملة التي تليها صفة لها، والخبر محذوف، والتقدير (شيء أحسن زيدا عظيماً)، وقيل: موصولة⁽³⁾ وتأويل الكلام (الذي أحسن زيدا شيئاً عظيماً)، والخبر محذوف، وقيل: استفهامية⁽⁴⁾ صَحَبَهَا مَعْنَى التَّعْجُبِ، والفعل بعدها في موضع الخبر، والمتأمل لهذه التقديرات يرى بوضوح تحكّم نظرية العامل في أذهان النحاة؛ إذ لم تكن هذه التأويلات سوى ردّ لهذا الأسلوب إلى قواعدهم المرسومة التي لا يجوز الخروج عليها، إذ الأوّل لدراسة هذا الأسلوب أن يُدرس كلّاً مُتكاملاً ولا يُجزّأ؛ حتّى لا يفقد وظيفته التي صيغ من أجلها؛ لأنّه إنّ أظهرنا هذه التقديرات تحوّل الكلام إلى كلام إخباريّ بعيداً عَنِ الدَّهْشَةِ وَالْإِنْفَعَالِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْشَائِيٌّ يَنْشَأُ مِنْ إِثَارَةِ الْإِنْفَعَالِ فِي النَّفْسِ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْبَغِي أَنْ يُفَسَّرَ بِمَنَآئِ عَنْ دَلَالَتِهِ الْخَبَرِيَّةِ⁽⁵⁾ وقد تَقَطَّنَ الْقُدَمَاءُ إِلَى هَذَا فَقَالُوا عَنْهُ إِنَّهُ كَلَامٌ جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ⁽⁶⁾، وَإِلَيْهِ مَالُ الْمُحَدِّثِينَ، يَقُولُ تَمَامُ حَسَّانَ عَنْ صِيغَةِ التَّعْجُبِ: "هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسناديّ كما تدخل

(1) وهو رأي سيبويه والجمهور [يُنظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان 124/2]

(2) وهو رأي للأخفش [يُنظر: شرح المفصل، لابن يعيش 149/7]

(3) وهو رأي للأخفش [يُنظر: الأصول في النحو، لابن السراج 100/1]

(4) وهو قول الفراء وابن درستويه [يُنظر: شرح الرضي على الكافية 234/4]

(5) يُنظر: نظرات في الجملة العربية، كريم حسين الخالدي، ص 54

(6) يُنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري 172/2

الأفعال، ولا في جدولٍ تَصْرِيْفِيٍّ كما تدخلُ الأفعالُ والصفاتُ، ولا في جدولِ الصاقِيٍّ كما يدخلُ هذان ومعهما الأسماءُ"⁽¹⁾؛ لأنها في رأيهِ أساليبُ إفصاحِيَّةٍ تُستعملُ للكشفِ عَن مَوْقِفِ انفعاليٍّ ما، والإفصاحِ عنه⁽²⁾، وَمِمَّا يَقْوِيهِ أُسْلُوباً إفصاحياً لُزُومُ فعلِهِ بصورة الماضي دائماً وإن استعملَ في غيره، فنقول: ما أحسنَ ما كانَ البدرُ بالأُمسِ، وما أحسنَ ما يكونُ ليلةَ العَدِ⁽³⁾، فـ(أَحْسَنَ) لا تُعْطِي دلالةً زمنيةً، يقولُ إبراهيمُ السامرائيُّ عنها أنَّها: "مِنَ الموادِّ الفعلية التي بُنِيَتْ عَلَى هذه الصورةِ المخصوصةِ فَفَارَقَتْ التصرُّفَ وابتعدتْ عَن قَبُولِ علاماتِ الأفعالِ؛ وذلك لانصرافِها عَن عناصرِ الفعلية، وهي الدلالةُ على الحَدَثِ، وترشُّحِها لِزَمانٍ ما؛ لتؤدِّيَ أُسْلُوبَ التَّعْجُبِ"⁽⁴⁾.

• تَمْيِيزُ النِّسْبَةِ:

يَذْهَبُ النَحْوِيُّونَ إِلَى أَنَّ أَصْلَ التَّمْيِيزِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ [مريم 4]، تَمْيِيزُ مُحَوَّلٍ عَن فاعِلٍ، والتقديرُ: اشْتَغَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ⁽⁵⁾، يَقُولُ النحاةُ عَنِ التَّمْيِيزِ المُحَوَّلِ عَنِ الفاعِلِ: فالمنصوبُ في هذا الموضوع هو مرفوعٌ في المعنى⁽⁶⁾؛ أي أَنَّ التَّمْيِيزَ فِي هذه الأفعالِ فاعِلٌ في الحقيقةِ⁽⁷⁾، بل مِن حَقِّهِ أَنَّ

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، ص 114

(2) السابق، ص 113

(3) يُنظر: جامع الدروس العربية، لمصطفى الغلاييني 53/1

(4) الفعل زمانه وأبنيته، ص 73

(5) يُنظر: شرح الرضي على الكافية 65/2

(6) يُنظر: كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني 691/2

(7) يُنظر: علل النحو، للوراق، ص 393

يَكُونُ فَاعِلاً (اشْتَعَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ) ثُمَّ حَوَّلَ الْفِعْلُ لِصَاحِبِ الشَّيْبِ⁽¹⁾ ،
لَكِنَّ الْمُتَأَمِّلَ لَا يَرَى فِي تَقْدِيرِ النَّحْوِيِّينَ الْمَقْصَدَ الَّذِي أَرَادَهُ أَصْحَابُ اللُّغَةِ ؛
ذَلِكَ أَنَّ (اشْتَعَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ) كَلَامٌ إِيْخْبَارِيٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ شَيْباً فِي الرَّأْسِ
مُتَفَرِّقاً (اشْتَعَلَ) ، وَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْأُسْلُوبِ (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْباً) أَنَّ الرَّأْسَ قَدْ امْتَلَأَ بِالشَّيْبِ⁽²⁾ ، وَقَدْ تَنَبَّهَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ،
فَصَرَّحَ الْأَشْمُونِيُّ بِالْمَبَالِغَةِ⁽³⁾ ، وَفُهِمَ مِنَ الْجَرَجَانِيِّ الشُّمُولُ⁽⁴⁾ ، وَمِمَّا يُقَوِّي هَذِهِ
الدَّلَالَةَ عَدَمُ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْ لَفْظَةِ (شَيْباً) ؛ لِأَنَّهُ سَيَضِيعُ مِنْ دُونِهَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ ؛
وَلَعَلَّ مَا جَعَلَ النُّحَاةَ لَا يُجِيزُونَ تَقْدِيمَهَا عَلَى الْفِعْلِ يَرْجِعُ إِلَى الْحِفَاطِ عَلَى هَذَا
الْمَقْصُودِ⁽⁵⁾ .

• النَّعْتُ بِالْمَصْدَرِ :

جَاءَ النَّعْتُ بِالْمَصْدَرِ بِكَثْرَةٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، نَحْوُ : رَجُلٌ عَدْلٌ ، وَامْرَأَةٌ عَدْلٌ ،
وَرِجَالٌ عَدْلٌ ، وَنِسَاءٌ عَدْلٌ ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ⁽⁶⁾ :
وَنَعَتُوا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا فَالْتَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَ

(1) يُنْظَرُ : كِتَابُ الْمُتَعَبِّ فِي شَرْحِ اللَّعْمِ ، لِأَبِي الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيِّ 350/1

(2) يُنْظَرُ : مَعَانِي النَّحْوِ ، فَاضِلُ السَّامِرَائِيِّ 277/2

(3) يُنْظَرُ : شَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ لِأَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ 347/2

(4) دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ ، ص 271

(5) يُنْظَرُ : التَّبْيِينُ عَنْ مَذَاهِبِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ ، لِأَبِي الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيِّ ، ص 395

(6) أَلْفِيَةُ ابْنِ مَالِكٍ أَوْ الْخُلَاصَةُ الْأَلْفِيَّةُ ، ص 45

لَكِنَّ جُمْهُورَ النَّحْوِيِّينَ اشْتَرَطُوا لِلنَّعْتِ بِالمَصْدَرِ شُرُوطاً، منها: تأويلُهُ بِمُشْتَقٍّ، يقولُ ابنُ عَقِيلٍ: "والنعتُ بهِ على خِلَافِ الأَصْلِ؛ لأنَّهُ يَدُلُّ على المعنى، لا على صاحِبِهِ، وهو مُؤَوَّلٌ، إمَّا على وَضْعِ عَدَلٍ على مَوْضِعِ عَادِلٍ"⁽¹⁾، وعن سَبَبِ اشتراطهم لهذا الشَّرْطِ، يقولُ الرِّضِيُّ: "لَمَّا كَانَ الْأَكْثَرُ فِي الدَّلَالَةِ على المعنى في المتبوع هو المشتقُّ، تَوَهَّمَ كَثِيرٌ مِنَ النَحْوِيِّينَ أَنَّ الاشتقاقَ شَرْطٌ حَتَّى تَأْوَلُوا غَيْرَ المشتقِّ بِالمشتقِّ"⁽²⁾، لَكِنَّ المتأملَ في هذا التقديرِ يَرَى فَرْقاً دَلَالِيّاً بينهما، فالوَصْفُ بِالمشتقِّ، نحو: رَجُلٍ عَادِلٍ، يَصُدُقُ عَلَى مَنْ عَدَلَ ولو مَرَّةً واحدةً، أمَّا الوصفُ بِالمصدرِ، نحو: رَجُلٍ عَدَلٍ، فَلَا يَصُدُقُ إِلَّا لِمَنْ كَثُرَ مِنْهُ ذَلِكَ"⁽³⁾، يقولُ ابنُ جَنِّي: "إِذَا وُصِفَ بِالمصدرِ صَارَ الموصوفُ كَأَنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ مُحْلُوقٌ مِنْ ذَلِكَ الفِعْلِ؛ وَذَلِكَ لكَثْرَةِ تَعَاطِيهِ لَهُ وَاعْتِيَادِهِ إِيَّاهُ"⁽⁴⁾، وهو ما أَكَّدَهُ ابنُ يَعِيشَ بِقَوْلِهِ: "فهذه المصادرُ كُلُّهَا مِمَّا وُصِفَ بِهَا؛ لِلْمِبَالِغَةِ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الموصوفَ ذَلِكَ المعنى؛ لِكَثْرَةِ حَصُولِهِ مِنْهُ"⁽⁵⁾؛ وَلِهَذَا السَّبَبُ ارْتَأَى الرِّضِيُّ العَكْسَ، فَقَالَ: "وَالأَوَّلَى أَنَّ يُقَالَ: أُطْلِقَ اسْمُ الحَدَثِ عَلَى الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ مُبَالِغَةً، كَأَنَّهُمَا مِنْ كَثْرَةِ الفِعْلِ؛ تَجَسُّماً مِنْهُ"⁽⁶⁾.

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مج 2 - ج 3/156

(2) شرح الرضي على الكافية 2/289

(3) يُنظر: معاني النحو، فاضل السامرائي 3/164

(4) الخصائص 3/262

(5) شرح المفصل، لابن يعيش 3/50

(6) شرح الرضي على الكافية 2/295

• التَّأْوِيلُ بِالْمَصْدَرِ:

يُعَرَّفُ التُّحَاةُ الموصولاتِ الحَرْفِيَّةُ بِأَنَّهَا التي تقومُ بصِلَاتِهَا مقامَ مَصْدَرٍ⁽¹⁾، يقولُ صَاحِبُ التَّسْهِيلِ: "مِنَ الموصولاتِ الحَرْفِيَّةِ: (أَنَّ) النَّاصِبَةُ مُضَارِعاً، وَتُوصَلُ بِفِعْلِ مُتَصَرِّفٍ مُطْلَقاً، وَمِنْهَا: (أَنَّ)، وَتُوصَلُ بِمَعْمُولِهَا"⁽²⁾، فـ(أَنَّ) الموصولةُ بِفِعْلِ مُتَصَرِّفٍ، نَحْوُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة 184]، وَالتَّقْدِيرُ: الصَّوْمُ خَيْرٌ لَكُمْ⁽³⁾، بِمَعْنَى: أَنَّ (أَنَّ) وَالفِعْلَ مَوْؤَلَةً بِمَصْدَرٍ، هَذَا المَصْدَرُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٍ؛ وَذَلِكَ لِلْاِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ لِرَفْعِ الْخَبَرِ (خَيْرٌ)؛ طَبَقاً لِنَظَرِيَةِ الْعَامِلِ، أَمَّا الْفِعْلُ (تَصُومُوا) فَلَيْسَ لَهُ مَحَلٌّ إِعْرَابِيٌّ؛ لِأَنَّهُ صِلَةُ الموصولِ الحَرْفِيِّ (أَنَّ)، وَ(أَنَّ) الموصولةُ بِمَعْمُولِهَا، نَحْوُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت 39]، وَالتَّقْدِيرُ: وَمِنْ آيَاتِهِ رُؤْيَا الْأَرْضِ خَاشِعَةً، فَالمَصْدَرُ المَوْؤَلُ مِنْ (أَنَّ) وَمَا فِي حَيْزِهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْاِبْتِدَاءِ، خَبَرُهُ شِبْهُ الْجُمْلَةِ الْمُتَقَدِّمِ⁽⁴⁾، وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ، وَهِيَ الْمُتَكَوِّنَةُ مِنْ مَعْمُولِي (أَنَّ) لَيْسَ لَهَا مَحَلٌّ إِعْرَابِيٌّ؛ لِأَنَّهَا صِلَةُ للموصولِ الحَرْفِيِّ (أَنَّ)، لَكِنَّ التَّأْوِيلَ فِي هَذِهِ التَّرَكِيبَاتِ بِالمَفْرَدِ لَمْ يَصْمُدْ أَمَامَ التَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ الَّذِي وَضَعَ أُسُسُهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِيُّ الْقَائِلُ: "أَنَّ مَدَارَ أَمْرِ النَّظْمِ عَلَى مَعَانِي النَحْوِ، وَعَلَى الْوُجُوهِ وَالْفُرُوقِ الَّتِي مِنْ

(1) شرح التسهيل 223/1

(2) السابق 222/1

(3) يُنظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري 151/1

(4) يُنظر: السابق 340/2

شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها⁽¹⁾، فدلالة الجملة الاسمية تختلف عن دلالة الجملة الفعلية، حيث تدل الأولى على ثبوت الصفة ودوامها وقوة رسوخها في صاحبها وتدل على استقرار الأحوال واستمرارها وعدم تغييرها وتقييدها بأزمنة معينة، وتدل الثانية على الحالات الطارئة والأزمنة المتجددة⁽²⁾، ولعل الأمر يتضح أكثر إذا تتبعنا ما اتفق عليه النحاة في تأويلها بالمصدر من خلال لغة القرآن الكريم:

- قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم 21].
 - قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم 22].

- قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الروم 24].

- قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم 25].
 فالآية الأولى (أَنْ خَلَقَ) والآية الرابعة (أَنْ تَقُومَ) مصدران مؤولان بمصدرين صريحين كما يقول النحاة وقد اضطرروا إلى تأويلها؛ لأن الأفعال لا يصح أن تكون مبتدآت يُخبر عنها، لكن هذا التأويل يضطد مع التحليل اللغوي لهذه التراكيب؛ لأن كل تركيب منها له دلالة الخاصة، والدليل على

(1) دلائل الإعجاز، ص 100

(2) يُنظر: دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص 59

ذلك العُدُولُ إلى التعبيرِ بالمصدرِ الصَّرِيحِ في الآيةِ الثانيةِ (خَلَقَ)، وبالفعلِ المضارعِ في الآيةِ الثالثةِ (يُرِيكُمْ)، وللتوضيحِ أَكْثَرُ فَإِنَّ التعبيرَ بالماضي في الآيةِ الأولى (أَنْ خَلَقَ) يَتَّفَقُ معَ الحَدِثِ الذي جَرَى في الزمنِ الماضي وهو خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ آدَمَ، أَمَّا التعبيرُ بالمصدرِ (خَلَقَ) في الآيةِ الثانيةِ يَتَّفَقُ معَ الأحداثِ مِثْلِ إِبْجَادِ السَّمَوَاتِ واختِلَافِ الأَلْسِنَةِ لا يُرَادُ منها زمناً بعينه، أَمَّا التعبيرُ بالمضارعِ في الآيةِ الثالثةِ (يُرِيكُمْ) يَتَّفَقُ معَ حَدَثِ الْبَرْقِ وَالْمَطَرِ الصَّالِحِينَ لِلْحُدُوثِ في الزمنينِ الحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، أَمَّا في الآيةِ الرَّابِعَةِ (أَنْ تَقُومَ) فَتَتَّفَقُ فِيهِ دَلَالَةُ الْإِسْتِقْبَالِ فِي (أَنْ) معَ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ في الْحُدُوثِ مِنْ لَحْظَةِ التَّكَلُّمِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَتَضَحُّ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الدَّلَالََةَ مُخْتَلِفَةً فِي التَّعْبِيرَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا مَصْدَرًا مُؤَوَّلًا، وَمِمَّا تَقَطَّنَ مِنَ الْقُدَمَاءِ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ السَّرَّاجِ الَّذِي قَالَ: "وَلَيْسَ كُلُّ مَوْضِعٍ يَقَعُ فِيهِ الْمَصْدَرُ تَصْلُحُ فِيهِ (أَنْ)"⁽¹⁾.

• الْأَمْرُ بِالْمَصْدَرِ:

يَدُلُّ الْمَصْدَرُ الْمَنْصُوبُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِدُّعَاءِ، وَهُوَ صِنْفَانِ: مَقْيَسٌ، وَهُوَ مَا يُنْصَبُ بِفِعْلٍ مِنْ لَفْظِهِ، نَحْوُ: سَمْعًا وَطَاعَةً، وَسَقِيًّا وَرَعِيًّا، وَسَمَاعِيًّا، وَهُوَ مَا لَيْسَ لَهُ فِعْلٌ مِنْ لَفْظِهِ، نَحْوُ: سَقِيًّا وَرَعِيًّا، وَخَبِيَّةً، وَذَفْرًا، وَجَدْعًا وَعَقْرًا، وَبُؤْسًا، وَأُفْقَةً وَثَقَّةً، وَبُعْدًا وَسُحْقًا، وَتَعَسًّا وَتَبًّا، وَجُوعًا وَجُوسًا⁽²⁾، وَعَنْ نَصْبِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ يَقُولُ سَيَبَوِيهِ: "فَإِنَّمَا جَاءَ تَحْذِيرِي زَيْدًا؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ

⁽¹⁾ الأصول في النحو 12/2

⁽²⁾ يُنْظَرُ: الْكِتَابُ 311/1

يَتَصَرَّفُ مَعَ الْفِعْلِ، فَيَصِيرُ حَذَرَكَ فِي مَوْضِعِ احْذَرْ، وَتَحْذِيرِي فِي مَوْضِعِ حَذَّرْنِي،
فَالْمَصْدَرُ أَوَّلًا فِي مَوْضِعِ فِعْلِهِ⁽¹⁾، وَيَقُولُ ابْنُ السَّرَّاجِ: "وَتَقُولُ: ضَرْبًا زِيدًا، تُرِيدُ:
اَضْرَبْ زِيدًا"⁽²⁾، وَيَقُولُ الْجَرَجَانِيُّ: "وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ يَحْذِفُونَ الْفِعْلَ وَيَجْعَلُونَ
الْمَصْدَرَ عَوَضًا مِنْهُ"⁽³⁾، وَيَقُولُ صَاحِبُ التَّصْرِيحِ: "وَقَدْ يُقَامُ الْمَصْدَرُ الْمَوْكَّدُ مَقَامَ
فِعْلِهِ الْمُسْتَعْمَلِ أَوْ الْمَهْمَلِ فَيَمْتَنَعُ ذِكْرُهُ مَعَهُ؛ أَيْ: فَيَمْتَنَعُ ذِكْرُ الْفِعْلِ مَعَ الْمَصْدَرِ؛
لِقِيَامِهِ مَقَامِهِ . . . وَكَذَلِكَ التَّوَعُّيُّ، نَحْوُ: فَضْرَبَ الرَّقَابِ"⁽⁴⁾، يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي
تَفْسِيرِ النَّصْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾ [مُحَمَّد 4]: "أَصْلُهُ: فَاضْرِبُوا
الرَّقَابَ ضَرْبًا، فَحُذِفَ الْفِعْلُ وَأُقِيمَ الْمَصْدَرُ مَكَانَهُ، وَفِي ذَلِكَ اخْتِصَارٌ مَعَ إِعْطَاءِ
مَعْنَى التَّوَكِيدِ الْمَصْدَرِيِّ"⁽⁵⁾، وَيَرَى النُّحَاةُ أَنَّهُ يَجِبُ فِي الْمَصْدَرِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ
عَامِلٌ مِنْ لَفْظِهِ تَقْدِيرُ عَامِلٍ لَهُ مِنْ مَعْنَاهُ، فَيُقَدَّرُ لـ (وَيْلٌ) عَذَابٌ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ
عَذَابٌ، وَلـ (وَيْحٌ) رَجَمٌ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ تَرَحُّمٌ⁽⁶⁾، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَرَى بَعْضُ
النُّحَاةِ أَنَّ الْمَصْدَرَ الْمَنْصُوبَ الْمَحْذُوفَ الْعَامِلَ لَا يَفْتَرِقُ عَنِ الَّذِي ذُكِرَ عَامِلُهُ،
يَقُولُ الشَّيْخُ يَسَّ فِي حَاشِيَّتِهِ عَلَى التَّصْرِيحِ: "فَإِنَّا لَا نَجِدُ فَرْقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اَضْرَبْ

(1) السابق 252/1

(2) الأصول في النحو 172/2

(3) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني 590/1

(4) شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهرى 330/1 - 331

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير 89/2

(6) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح، لخالد الزهرى 330/1

زيداً⁽¹⁾، وهذا يتفق مع القاعدة التي وَضَعُوهَا، يقول الأنباري: "أما المنصوبات فإنها لا يَتَصَوَّرُ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَأَةً؛ لَأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً فِي اللَّفْظِ إِلَّا أَنَّهَا مُتَأَخِّرَةٌ فِي التَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْصُوبٍ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا أَوْ مُشَبَّهًا بِالْمَفْعُولِ، وَالْمَفْعُولُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ عَامِلٌ لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا"⁽²⁾، أما إذا اعتُبرت الدَّالَّةُ فَالْفَرْقُ بَيِّنٌ؛ ذَلِكَ أَنَّ إظهارَ الْعَامِلِ يُعْطِي الْكَلَامَ دَلَالَةً أُخْرَى، فَالْمَصْدَرُ الْمَنْصُوبُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج 5]، وقوله ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل 10] لم يَكُنْ إِلَّا مُبَيِّنًا لِلنَّوْعِ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَصْدَرِ الْمَنْصُوبِ الْمَحْذُوفِ الْعَامِلِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [محمد 8]، وقوله ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود 44] حَيْثُ لَمْ يَكُنِ الْمَصْدَرُ فِيهِمَا إِلَّا دُعَاءً، غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِفَاعِلٍ أَوْ زَمَنِ⁽³⁾، وَقَدْ تَنَبَّهَ الرَّضِيُّ إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ: "فَاسْتَحْسَنَ حَذْفَ الْفَعْلِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، إِمَّا إِبَانَةً لِقَصْدِ الدَّوَامِ وَالزُّرُومِ بِحَذْفِ مَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِلْحُدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ؛ أَيْ: الْفِعْلُ"⁽⁴⁾، وَيَقُولُ تَمَامُ حَسَّانَ: "وَلَكِنَّ الْمَصْدَرَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَخْتَلِفُ عَنْ فِعْلِ الْأَمْرِ مِنْ مَادَّةِهِ بِأَنَّ الْأَمْرَ لِلطَّلَبِ الْمَحْضِ وَهَذَا الْمَصْدَرُ لِلْإِفْصَاحِ"⁽⁵⁾، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الصَّحِيحَ فِي نَصْبِ

(1) يُنْظَرُ: السَّابِقُ 324/1

(2) الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ، لِكَمَالِ الدِّينِ الْأَنْبَارِيِّ

50/1

(3) يُنْظَرُ: مَعَانِي النَّحْوِ، فَاضِلُ صَالِحِ السَّامِرَائِيِّ 145/2 - 146

(4) شَرْحُ الرِّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ 306/1

(5) اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا، ص 254 - 255

هذه الكلمات أَنَّهَا صِيغٌ جَاءَتْ عَنِ الْعَرَبِ كَمَا هِيَ، جَرَتْ مَجْرَى الْمَثَلِ الْقَائِمِ عَلَى الْحَذْفِ وَالتَّخْفِيفِ، وَيُرَادُّ بِهَا التَّكْثِيرُ وَالْمُبَالَغَةُ، وَأَنَّ تَقْدِيرَ الْعَامِلِ فِيهَا يُفْقَدُ أُسْلُوبَهَا دَلَالَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي حَرَصَ الْعَرَبُ عَلَيْهَا عِنْدَمَا التَزَمُوا حَذْفَ الْفِعْلِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ⁽¹⁾، وَيُؤَيِّدُهُ حُكْمُ النُّحَوِيِّينَ بِوُجُوبِ تَقْدِيرِ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُوْحِي إِلَيْنَا بَعْدَ إِمْكَانِهِ أَسَاساً وَكَذَلِكَ فَقْدَانُ تَصَوُّرِهِ⁽²⁾.

• الإِغْرَاءُ وَالتَّحْذِيرُ:

يَرَى التُّحَاةُ أَنَّ الْمَنْصُوبَ فِي مِثْلِ (أَخَاكَ أَخَاكَ، أَوْ إِيَّاكَ الْأَسَدَ، أَوْ إِيَّاكَ وَالْأَسَدَ) هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ مُحذوفٍ وَجُوباً، تَقْدِيرُهُ: أَكْرِمُ أَخَاكَ أَوْ أَتَّقِ الْأَسَدَ⁽³⁾، وَكَثُرَ حَذْفُ هَذَا الْعَامِلِ حَتَّى صَارَ ظُهُورُهُ مِنَ الْأُصُولِ الْمَرْفُوضَةِ⁽⁴⁾؛ لَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ إِلَى الْإِغْيَاءِ هَذَا الْبَابِ التَّحْوِيَّ وَرَدَّهُ إِلَى بَابِ الْمَفْعُولِ بِهِ؛ إِذْ بَقَاؤُهُ بَاباً مُسْتَقِلاً يَتَعَارَضُ مَعَ تَيْسِيرِ التَّحْوِ وَنَهْجِ تَجْدِيدِهِ⁽⁵⁾، وَيَرَى مَهْدِي الْمَخْزُومِي أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ الْمُحذوفَ لَوْ ذُكِرَ لَخَرَجَ الْكَلَامُ مِنْ أُسْلُوبِ التَّحْذِيرِ إِلَى أُسْلُوبِ مِنَ الطَّلَبِ يَخْتَلِفُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْإِغْرَاءَ وَالتَّحْذِيرَ يُؤَدِّيَانِ الْغَرَضَ فِي هَذَا اللَّفْظِ

(1) يُنظر: تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، عاطف فضل، ص 160

(2) يُنظر: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، أحمد كشك، ص

(3) يُنظر: التوطئة، لأبي علي الشلوبي، ص 250

(4) يُنظر: الحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم، ص 240

(5) يُنظر: تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، شوقي ضيف، ص 134

الموجز؛ اكْتِفَاءً بِقَرَائِنِ الْخِطَابِ وَالْمَلَابَسَاتِ الْمَحِيطَةِ بِالْقَوْلِ⁽¹⁾ ، وهو ما أشارَ إِلَيْهِ الْمَبْرَدُ بِقَوْلِهِ: "فَإِنَّمَا حُذِفَ الْفَعْلُ؛ لِلإِطَالَةِ وَالتَّكْرِيرِ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْفَعْلِ الْمَحذُوفِ بِمَا يُشَاهَدُ مِنَ الْحَالِ"⁽²⁾ ، وهو ما قَصَدَهُ السُّيُوطِيُّ بِقَوْلِهِ: "الرَّمَانُ يَتَقَاصِرُ عَنِ الْإِثْيَانِ بِالْمَحذُوفِ وَأَنَّ الْأَشْتِغَالَ بِذِكْرِهِ يُفْضِي إِلَى تَقْوِيَةِ الْمَهْمِّ، وَهَذِهِ هِيَ فَائِدَةُ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ"⁽³⁾؛ لَذَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ أَسْلُوبَ الْإِغْرَاءِ وَالتَّحْذِيرِ أَسْلُوبٌ إِفْصَاحِيٌّ يُؤْتَى بِهِ تَعْبِيرًا عَنْ مَوَاقِفِ انْفِعَالِيَّةٍ فِي مَوَاقِفِ مُعَيَّنَةٍ وَبَطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ⁽⁴⁾ وَأَنَّ دِرَاسَتَهُ وَفَقَّ نَظَرِيَّةِ الْعَامِلِ يُخْرِجُهُ عَنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ وَمِنْ ثَمَّ يَفْقِدُ وَظِيفَتَهُ الْإِفْصَاحِيَّةَ، وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْمُعَاصِرِينَ أَنَّ يُدْرَسَ فِي صَوِّهِ دِرَاسَةُ اسْمِ الْفِعْلِ؛ لِتَمَآثُلِ وَظِيفَتَيْهِمَا، وَلاَحْتِيَائِهِمَا عَلَى ذَاتِ الْإِنْفِعَالِ⁽⁵⁾ .

• الْقَسَمُ بِ(تَاللَّهِ)، وَبِ(وَاللَّهِ):

يَذْكُرُ الثُّحَاةُ أَنَّ الْقَسَمَ بِ(تَاللَّهِ) يَقْتَضِي وُجُوبَ إِضْمَارِ فِعْلِ الْقَسَمِ مَعَهَا دُونَ أَنْ يُخَالَفَ أَحَدٌ مِنَ الثُّحَاةِ⁽⁶⁾، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء 57]، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي إِضْمَارِهِ مَعَهَا اخْتِصَاصُهَا بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ الَّذِي

(1) يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 212 - 213

(2) المقتضب 215/3

(3) الإتيان في علوم القرآن، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1974م 190/3

(4) يُنظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، ص 433

(5) يُنظر: من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، أحمد كشك، ص 93

(6) يُنظر: الحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم، ص 215

أَكْسَبَهَا دَلَالَةً أُخْرَى، هِيَ التَّعَجُّبُ كَمَا ذَكَرَ سَيَبُويهِ⁽¹⁾، فَضْلاً عَلَى أَنَّهَا مَبْدَلَةٌ عَنِ الْوَاوِ، وَأَنَّ الْقَسَمَ بـ(وَاللَّهِ) يَفْتَضِي الْوَجُوبَ أَيْضاً عِنْدَ أَكْثَرِ النُّحَاةِ⁽²⁾، وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْقَسَمِ⁽³⁾، وَقَدْ جَاءَ فِعْلُ الْقَسَمِ مُحذَوْفاً فِيمَا حُفِظَ مِنْ نُصُوصٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ [التين 1]، وَلَوْ أُظْهِرَ فِعْلُ الْقَسَمِ لَتَحَوَّلَ الْأَمْرُ إِلَى تَوْكِيدٍ، حَيْثُ تَكُونُ الْوَاوُ أَوْ التَّاءُ مَعَ مَدْخُولِهَا تَوْكِيداً لِفِعْلِ الْقَسَمِ الْمَذْكُورِ⁽⁴⁾، وَهُوَ مَا يُخْرِجُهُمَا عَنْ غَرَضِ الْقَسَمِ، أَمَّا الْقَسَمُ بِالْبَاءِ فَيَفْتَضِي جَوَازَ إِظْهَارِ الْفِعْلِ مَعَهَا غَالِباً، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل 38]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة 62]، وَيَجُوزُ إِضْمَارُهُ⁽⁵⁾، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا غُيُوبَ لَهُمْ﴾ [ص 82]، وَقَدْ عَلَّلَ النُّحَاةُ عَنْ سَبَبِ جَوَازِ إِظْهَارِهِ مَعَ الْبَاءِ دُونَ غَيْرِهَا بِأَنَّهَا أَصْلُ أَحْرَفِهِ⁽⁶⁾، وَلِدَلَالَتِهَا عَلَى مَعْنَى الْإِلْصَاقِ الَّذِي يَفْتَضِي تَعَلُّقَهَا بِفِعْلِ الْقَسَمِ كَمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ وَهِيَ جَارَةٌ.

(1) الكتاب 397/3

(2) ولم يخالف في ذلك إلا ابن كيسان فيما روى من قولهم: "حلفت والله لأقومن" [همع

الهوامع 236/4]

(3) يُنظر: همع الهوامع، للسيوطي 232/4

(4) يُنظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، ص 396

(5) يُنظر: همع الهوامع 232/4

(6) يُنظر: مغني اللبيب، لابن هشام 239/1

خَاتِمَةُ الْبَحْثِ:

أ. مِنْ أَسْبَابِ التَّقْدِيرِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ هُوَ الْحِفَاطُ عَلَى الْبِنْيَةِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلتَّرَاكِيْبِ الْمَنْطُوقَةِ؛ انْتِظَاماً لِقَوَاعِدِهِمْ وَأَقْيَسَتِهِمْ.

ب. يَنْبَغِي التَّفْرِيقُ أَثْنَاءَ الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ بَيْنَ الْأَسَالِيْبِ، فَمِنْ الْأَسَالِيْبِ مَا كَانَ إِفْصَاحِيّاً إِنْشَائِيّاً، يُسْتَعْمَلُ لِلْكَشْفِ عَنْ مَوْقِفِ انْفِعَالِيٍّ مَا، وَالْإِفْصَاحِ عَنْهُ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ لَا يَقْتَضِي رَدُّهُ إِلَى قَوَاعِدِهِمُ الْمَرْسُومَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهَا، إِذْ الْأَوَّلَى لِدَرَاْسَةِ هَذَا الْأُسْلُوبِ أَنْ يُدْرَسَ كُلُّهُ مُتَكَمِلاً وَلَا يُجْزَأُ؛ حَتَّى لَا يَفْقِدَ وَظِيْفَتَهُ الَّتِي صِيغَ مِنْ أَجْلِهَا؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَظْهَرْنَا هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ تَحَوَّلَ الْكَلَامُ إِلَى كَلَامٍ إِنْخَبَارِيٍّ.

ج. كَثِيرٌ مِنَ التَّقْدِيرَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الشُّحَاةُ لِبَعْضِ الْأَسَالِيْبِ أَدَّتْ إِلَى أَنْ تَفْقَدَ هَذِهِ الْأَسَالِيْبُ دَلَالَتَهَا الْمَعْنَوِيَّةَ الَّتِي حَرَصَ الْعَرَبُ عَلَيْهَا.

مَصَادِرُ الْبَحْثِ وَمَرَا جَعُهُ

1. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير: أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 637هـ)، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت: 1995م.
2. الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1974م.
3. الأصول في النحو، تحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 3، بيروت: 1988م.
4. ألفية ابن مالك أو الخلاصة الألفية، تحقق: عبد العالم القريدي، دار غريب، القاهرة: 2015م.
5. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لكمال الدين الأنباري: أبي البركات عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ)، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د. م، د. ت.
6. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام: جمال الدين عبد الله بن محمد (ت 761هـ)، تحقق: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت: 1994م.
7. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: محمد بن يوسف (ت 754هـ)، مكتبة الإيمان، بريدة - السعودية: د. ت.

8. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري: عبد الله بن الحسين (ت 616هـ)، تحق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض: 2000م.
9. تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، عاطف فضل، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد- الأردن: 2004م.
10. التوطئة، لأبي علي الشلوبيني: عمر بن محمد (ت 645هـ)، تحق: أحمد يوسف المطوع، دار التراث، القاهرة: 1980م.
11. تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر: 1968م.
12. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ضبط: محمد فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة: 2003م.
13. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ومعه: شرح الشواهد للعيني)، تحق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر: د. ت.
14. الحذف والتقدير في النحو العربي، علي أبو المكارم، دار غريب، ط1، القاهرة: 2007م.
15. الخصائص، لابن جني: أبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر: 1987م.
16. دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، دار دجلة، ط1، الأردن- العراق: 2009م.

17. دلائل الإعجاز، للجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)،
تحق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط 1، بيروت: 2004م.
18. شرح ابن عقيل، عبد الله بن عقيل (ت 769هـ)، تحق: محمد محي الدين
عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط 14، بيروت: 1964م.
19. شرح الأشموني لألفية ابن مالك، علي بن محمد (ت 929هـ) تحق: عبد
الحميد السيد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة: 1993م.
20. شرح التسهيل، لابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 672
هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للطباعة، ط 1، القاهرة:
1990م.
21. شرح التصريح على التوضيح، للأزهري: خالد بن عبد الله (ت 905هـ)،
دار الفكر، د.م، د.ت.
22. شرح الرضي على الكافية، تحق: يوسف حسن عمر، منشورات: جامعة
قاريونس - ليبيا: 1973م.
23. شرح المفصل، لابن يعيش: موفق الدين يعيش بن علي (ت 643هـ)،
عالم الكتب ببيروت، ومكتبة المتنبي بالقاهرة: د. ت.
24. علل النحو، للوراق: لأبي الحسن محمد بن عبد الله (ت 325 هـ)، تحق:
محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، ط 1، الرياض: 1999م.
25. الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط 4، بيروت:
1986م.

26. في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط 2، بيروت: 1986م.
27. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر، ط 1، عَمَّان: 2003م.
28. الكتاب، لسيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان (ت 180 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة: 1966م.
29. كتاب التعريفات، للشريف الجرجاني: علي بن محمد (ت 816 هـ)، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة: 1991م.
30. كتاب الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي: أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن (ت هـ)، تحق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط 3، مصر: 1988م.
31. كتاب المتبع في شرح اللمع، لأبي البقاء العكبري (ت 616 هـ)، تحق: عبد الحميد حمد الزوي، منشورات: جامعة قاريونس، ط 1، بنغازي: 1994م.
32. كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471 هـ)، تحق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق: 1982م.
33. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط 5، القاهرة: 2006م.
34. المسائل العسكرية، للفارسي: أبي علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377 هـ)، تحق: محمد الشاطر أحمد، مط: المدني، ط 1، القاهرة: 1982م.
35. معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر، ط 3، عَمَّان: 2008م.

36. المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، عبد العزيز عبده أبو عبد الله، منشورات: الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، ط 1، طرابلس: 1982م.
37. المقتضب، للمبرد: أبي العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت: د. ت.
38. من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، أحمد كشك، دار غريب، ط 1، القاهرة: 2007م.
39. نظرات في الجملة العربية، كريم حسن الخالدي، دار صفاء، ط 1، عمان: 2005م.
40. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي: جلال الدين (ت 911 هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت: 1979م.

الكُتبي محمد بريون (1925 – 2013)

وصدى مكتبة النجاح في تاريخ ليبيا الثقافي

عمار محمد جحيدر

(عضوالمجمع)

(1)

مدخل

التأمت مساء يوم الثلاثاء (12 فبراير 2013) بقاعة المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية أمسية وفاء لتأبين فقيد الكتاب الأستاذ الشيخ محمد بريون - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه - وقد افتتحت بآيات من الذكر الحكيم تلاها تلميذه الشيخ رحومة التواتي، واستهلّ كلماتها تلميذه العالم الأديب الدكتور محمد مسعود جبران بمساهمةٍ وفيّةٍ / وافيةٍ؛ تندرج ضمن عنايته الواسعة المطّردة بتحرير العديد من (التراجم الدراسية) لعلماء ليبيا وأعلامها من القدامى والمحدثين والمعاصرين. وشارك فيها عددٌ من عارفه وتلاميذه ومحبيه، وهم الأستاذ عطا الأعرج، والأستاذ عبد الله أبورقيبة، والأستاذ الكاتب أمين مازن، والشاعر الدكتور عبد المولى البغدادي، والباحث الشاب محمد الحارس (باسم رابطة علماء ليبيا)، والأستاذ عبد الكريم سويسبي، والأستاذ المكي زريقاني (عن اتحاد الناشرين)، مع كلمة مرسلة من (الزاوية الأسمرية)، وقبل الختام جاءت كلمة ابنته السيّدة الفاضلة الدكتورة فوزية

محمد بريون التي أفصحت بنبرتها / ومحتواها عن أثر أبيها البالغ في تكوينها الثقافي، وتخلّلها ذلك الطعم الوفي الخاص الذي نستشعره في حديث البرّ بالآباء المتميّزين.

وقد آثرتُ في تلك الأمسية أن أكتفي بالاستماع إلى السادة المشاركين. وبعد العودة إلى البيت رأيت أن أشرع في لممة بعض الخواطر التي تجمّعت في ذهن عبر السنين؛ إذ كانت (مكتبة النجاح بسوق الترك) للفقيد الراحل، من أبرز مصادر المعرفة والتكوين والتزوّد بالكتاب الثقافي لأبناء جيلي ومن قبلهم أيضاً من الطلاب والقراء والدارسين. وقد درستُ بضع سنوات بعد المرحلة الابتدائية، منذ أواخر الستينيات (بمعهد أحمد باشا الديني) الكائن بمحلة الظهرة القريبة من جهة، مع وجود دكانين لبعض أقاربي (عمّي / وخالي) من تجّار الملابس بجوار المكتبة منذ مطلع السبعينيات من جهة أخرى، وكان في ذلك فرصة أتاحت لي الوقوف على تلك المكتبة في وقتٍ مبكر نسبياً؛ لتكون في مقدمة المكتبات التجارية الغنية التي قُدّر لي أن أتزوّد منها بما أستطيع اقتناؤه آنذاك من الكتاب الثقافي، ولترسخ في الذاكرة أيضاً تلك المشاهد الحيّة من حراك السوق القديم. وسأحاول في هذه الصفحات المتواضعة أن أرصد بعض الخواطر عن الأستاذ الشيخ محمد بريون، ومكتبته الثرية القيّمة وموقعها المتميّز، مع مناقشة ختامية لما تجمّع لديّ من الملاحظات النقدية عن عناية المكتبة بنشر بعض الآثار التراثية المتعلقة بـ(تاريخ ليبيا الثقافي) - على وجه الخصوص.

ولعل أبرز الذكريات العالقة بالذهن عن (مكتبة النجاح) الشهيرة ارتباطها بذلك الموقع البارز المتميّز في أكبر الأسواق التاريخية بمدينة طرابلس، وهو ما يُضفي عليها - مع جدّتها وحادثة نشأتها القريبة في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين - ذلك العبق التاريخي الظاهر في مقرها العتيق الذي لم يكتفِ صاحبها الكُتُبِي الحضيف بدكانه الخارجي المطلّ - كبقية الدكاكين والمحلات التجارية المجاورة - على رواق السوق التاريخي المديد، وإنّما أضاف إليه المنزل (أو البيت العربي) الخلفي المتصل به (المرتفع من طابقين)؛ فأتّسع بذلك فضاؤها وامتلأت حجراتها الداخلية بالرفوف المكتظة بالكتب من عتيق وجديد، وقد دخلت إليها في مطلع السبعينيات، وقلّبتُ الكتب بين رفوفها، ولا يزال ذلك المشهد الثقافي الثريّ الأسر راسخاً في الذهن رغم السنين.

(2)

سوق الترك أكبر الأسواق التاريخية القديمة في ليبيا

تعود نشأة هذا السوق إلى العهد العثماني الأول، ويُنسبُ تجديد بنائه إلى الوالي محمد باشا الإمام (1687 - 1701م) القراداغلي (نسبة إلى قره داغ / طاغ: الجبل الأسود...)، وقد أنشأ به الجامع المعروف بشهرته (جامع شايب العين) التي غلبت عليه سنة 1110هـ (1698 - 1699م)، و"جدّد السوقين المحققين به: (سوق الترك وسوق الحرير) في العام التالي"⁽¹⁾. ومقر المكتبة

⁽¹⁾ أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ط 4 لندن: دارف المحدودة، 1984، ص 261؛ إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، بيروت: دار الثقافة، 1394هـ/1974م، ص 262.

مواجهة لهذا الجامع على نحو قريبٍ ولا تفصل بينهما سوى أمتار قليلة. ويحتلُّ سوق الترك مسافة طويلة ممتدة من نهاية (سوق الرباع) وسوق (الفرامل) المسقوف، إلى زنقة مدرسة الكاتب (مصطفى خوجه) ⁽¹⁾.

كما يُستفاد من بعض الإشارات أيضاً أنَّ مقر مكتبة النجاح بسوق الترك متصل وملاصق لذلك البيت الذي كان مقرّاً لشيخ البلد (قهوة شيخ البلاد)، ثم غدا مع حركة التحديث والاصلاح الإداري في العهد العثماني الثاني المقر التأسيسي لبلدية طرابلس سنة (1286هـ / 1870م) ⁽²⁾، وثمة خطأ شائع في أدبيات التاريخ الليبي المعاصرة، منذ صدور كتاب (سكان ليبيا) سنة 1917، حول اسم المحلة التي يقع بها السوق ⁽³⁾. وفي الزقاق المقابل للمكتبة سوق

(1) مفيدة محمد جبران وآخرون ، الأسواق بالمدينة القديمة (طرابلس : دراسة تاريخية اقتصادية) ، طرابلس : مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة ، 2001 ، ص 66-71 .

(2) بلدية طرابلس في مائة عام (1286 - 1391 هـ / 1870 - 1970م) ، طرابلس : شركة دار الطباعة الحديثة، ص 7.

(3) إذ جاء فيه أنَّ محلة البلدية (بفتح الباء) قد عرفت بهذا الاسم لوجود مقر البلدية بها عند تأسيسه، وصوابه أنَّ اسم المحلة الصحيح (محلة البلدية: بكسر الباء، وسكون اللام): أي سكان المدينة البلديين / الأصليين، وربما جاءت التسمية في مقابل محلة (حومة غريان)؛ والمرجح أنَّها تعني أولئك السكان الذين لجأوا إلى غريان عند الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس، ثم عادوا إليها بعد التحرير. أمّا محلة البلدية (بكسر الباء) فقد عرفت بهذا الاسم قبل ظهور مؤسسة البلدية بعشرات السنين، ووردت بهذه الصيغة مراراً في اليوميات الليبية، وفي (التذكار) أيضاً وهو أسبق عهداً: "شارع البلدية الكبير". انظر حاشية التصحيح لاسم المحلة في الجزء الثاني من اليوميات الليبية ، ص 33.

الحريـر. ويُستشَفُّ من هذه القرائن أنَّ هذا القاطع من سوق الترك يمثل مركز الحراك والحيوية والنشاط الاقتصادي والاجتماعي فيه.

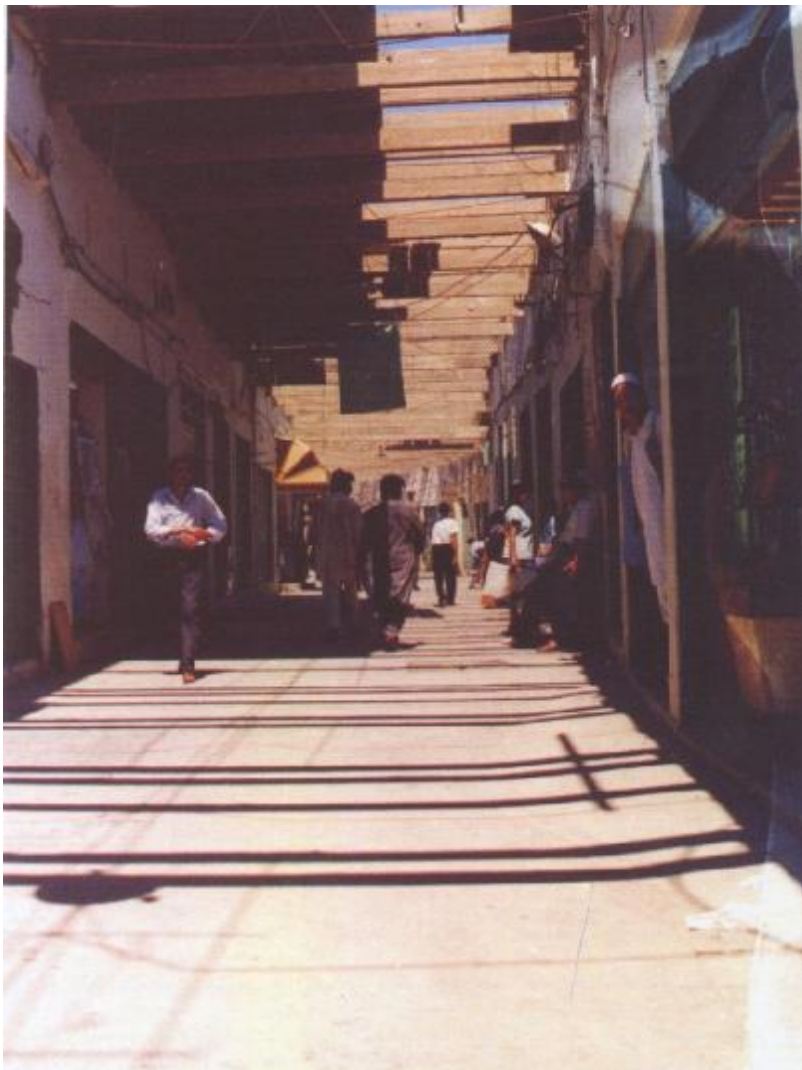
و"يشكل سوق الترك المحور الرئيسي لمجموعة أسواق المدينة، ويغطي العديد من الأنشطة التجارية والمهنية، ويتحقَّق فيه نمط الأسواق الشرقية التقليدية المغطاة، أو شبه المغطاة، المريحة المخصَّصة للمشاة، بعيداً عن زحام المركبات"⁽¹⁾. وقد ظلَّ منذ نشأته في العهد العثماني إلى أواخر السبعينيات في القرن العشرين مؤّراً بالنشاط والحياة والحراك الاقتصادي والاجتماعي، فيما يضمُّ على جانبي رواقه الممتدَّ الطويل / وما يتصل به في الأزقة المجاورة والفنادق القديمة من دكاكين التجار والحرفيين والمقاهي، مع ما يطلُّ عليه أو يقرب منه من الجوامع والمساجد التاريخية القديمة، وقد كان التجار والزبائن يفتدون إليه من مختلف أنحاء المدينة والضواحي والبلدات والمدن الأخرى المجاورة على امتداد السنة، في حين يبلغ الزحام أشدَّه، والدوام الليلي الطويل ذروته - على وجه الخصوص - في شهر رمضان الكريم مع اقتراب عيد الفطر المبارك، واستعداد الأسر لاستقباله بما تقتنيه منه، ومن سوق الرباع المجاور، من جديد اللباس الشائع بصنفيه العربي التقليدي الموروث / والغربي الحديث الوافد، ولذلك يمكن القول إنَّ سوق الترك كان (السوق الشعبي العتيق العريق

⁽¹⁾ المهندس علي الميلودي عمورة، طرابلس: المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، طرابلس:

دار الفرجاني، 1993، ص 314، 319

الذي يحتفظ بطابعه المميّز وبهجته الخاصة) كغيره من أسواق المدن العربية القديمة في المغرب والمشرق.

وقد غدت (مكتبة النجاح) المعاصرة الناشئة جزءاً من نشاطه وحراكه، بل هي أبرز معلم ثقافي فيه، ويطيب للعديد من القراء والطلاب والمثقفين متابعة اهتماماتهم واقتناء اختياراتهم من رفوفها المكتظة بالمطبوعات الوافدة ومنشوراتها الخاصة المحدودة المتصلة ببعض كتب التراث، على وجه الخصوص، إلى أن حلّ بسوق الترك ما حلّ بليبيا كلها منذ أواخر السبعينيات من الضمور التجاري والخواء الاقتصادي بالتوجّه الرسمي الجديد الأرعن الذي جعل عقد الثمانينيات التالي كالحاً كثيباً؛ لا يزال الناس يذكرون بشاعته وشدة معاناته. ومع هذا التحول البائس الكئيب تمّ الاستيلاء على مكتبة النجاح وتوقّف صاحبها عن نشاطه الثقافي المعهود، كما سيلي في ترجمته الموجزة المحكمة أدناه. ويمكن القول في هذا السياق أيضاً إنّ ما شهدته سوق الترك من تقلّص النشاط التجاري وضمور حراكه، كان بداية لخراب المدينة القديمة، وما شهدته في العقود اللاحقة من (النزيف المعماري) الذي ذهب بالكثير من حيويتها وحضورها الاجتماعي إلى اليوم...



سوق الترك عن: الأسواق بالمدينة القديمة إطرابلس: دراسة تاريخية اقتصادية، مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة، 2001، ص 69.

(3)

ترجمة موجزة مركزة

من المعتاد كما هو معروف أن تُعدّ لمثل هذه الأمسية الثقافية (أمسية الوفاء لتأبين فقيه) وغيرها من الندوات والمؤتمرات العلمية (مطوية) موجزة للتعريف بموضوع المناسبة، وقد صدرت عشرات أو مئات المطويات من هذا القبيل في مختلف اللقاءات الثقافية والعلمية المماثلة التي شهدتها بلادنا عبر السنين، وكثيراً ما كنت أستشعر في المركز البحثي الذي أعمل به ذهاب العديد من المطويات التي يصدرها بعد انقضاء مناسباتها، وكنت أحياناً أحدث نفسي بأنها جديرةٌ بضمّها في كتابٍ جامع، إشباعاً لنزعةٍ توثيقية غامرة؛ فهي ستغدو لا محالة مع مرور الزمن مؤشرات ثقافية دالة، مع إيجازها وبساطتها أحياناً.

ولكنّ مثل هذه المطوية تُعدّ في الندوات العلمية الجادة - على وجه الخصوص - جزءاً من بنيتها، وينبغي أن تُنشر في صدارة أعمالها على أنّها (إطارٌ نظري / ووثيقة إجرائية) لأعمال الندوة ⁽¹⁾. لذا آثرتُ في هذا المقام التوثيقي لإضاءة من تاريخنا الثقافي المعاصر إدراج نصّ المطوية التي أُعدّت عن الفقيه، وقد جاءت الترجمة محكمةً موجزةً وافيةً لمثل هذا السياق، والفضل لمن حرّرتها ⁽²⁾، خاصّةً وأنني لم أكن على صلةٍ مباشرةً بالفقيه الراحل - رحمه الله تعالى - ولم يتيسّر لي الوقوف على شيء يُذكر من سيرته وتكوينه وتجربته الثقافية الخاصة.

(1) وهذا ما التزمْتُ به - على سبيل المثال - عند تحرير ندوة (المؤرخ أحمد النائب الأنصاري) التي صدرت في كتاب ضمن منشورات المركز سنة (2008)، وندوة (المؤرخ محمد مصطفى بازامة) التي صدرت في كتاب أيضاً في تلك السنة 2013
(2) المطوية من تحرير ابنته الفاضلة الدكتورة فوزية محمد بريون (إفادة هاتفية من أخيها محمد الصيد بريون، صباح الخميس 14 - 2 - 2013).

(نص المطوية)
من رواد الثقافة الليبية
المربي الشيخ محمد بريون
(1925 – 2013)

[بقلم ابنته الدكتورة فوزية محمد بريون]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب (23) صدق الله العظيم.

- ولد في المدينة القديمة، وفيها تلقى تعليمه فحفظ أغلب القرآن على يد الشيخ مختار حورية، وختمه على يد الشيخ علي الزرقاني بكُتّاب حومة غريان.

- التحق بالمعهد الديني التابع لجامع أحمد باشا، فدرس على يد المشايخ محمد المصري، وعلي الغرياني، وعمر الجنزوري، وأبوبكر بالطيف، وأحمد الأزمرلي، علوم العربية والفقه والشريعة والتربية الإسلامية.

- التحق بالدورة المكثفة لإعداد المعلمين في عهد الإدارة البريطانية ضمن كوكبة من شباب جيله، وأجيز للتدريس في المدارس النظامية المستحدثة آنذاك.

- درّس في عهد الاستقلال بمدرسة المدينة القديمة والمدرسة المركزية، فتعلّم على يديه جيل من شباب المرحلة.

- واصل أثناء شبابه تحصيل العلم والقراءة والجلوس للدرس على مشايخ عصره داخل ليبيا وخارجها، ويُعتبر الشيخ عبد الله بن فضل الليبي، والشيخ صالح الجعفري المصري من أهم مشايخه الذين أخذ عنهم العلم والتربية.

- انتُخب لرئاسة اللجنة الثقافية التابعة لنقابة المعلمين في منتصف الخمسينيات، وترأس هيئة تحرير مجلتها الشهرية (صوت المربي) التي كان لها دور في الحياة الثقافية والأدبية.
- أسّس مع الشيخ عبد السلام خليل (النادي الثقافي) الكائن بقوس الصراري، وشارك في محاضراته وندواته.
- عمل في هيئة المطبوعات والنشر في أواخر الخمسينيات، وتولى رئاسة تحرير مجلة (هنا طرابلس الغرب)، ودبّج الكثير من افتتاحياتها ومقالاتها.
- بدأ عام 1954 مشروعه الثقافي، فأسس النواة الأولى لـ (مكتبة النجاح) في محل صغير بسوق المشير بالقرب من كلية أحمد باشا، وكان يعمل بها بعد الانتهاء من العمل الحكومي.
- نقل للعمل بوزارة الأشغال العامة، اختار بعدها التقاعد والتفرغ للعمل الحر، فانتقل بالمكتبة إلى عنوانها المعروف بسوق الترك، وألحق بها في الستينيات بيتاً من دورين اكتظت قاعاته السبعة بالكتب لتصبح من أكبر المكتبات في طرابلس، بل في شمال أفريقيا.
- حرص على نشر الكتب الإسلامية والتراثية، وزوّد مكتبات جامعة محمد بن علي السنوسي، وكلية المعلمين العليا بأهم المصادر والمراجع وأمّهات الكتب العلمية.
- كانت (مكتبة النجاح) المصدر الذي يمدُّ بالكتب عشرات المكتبات التي فُتحت بتشجيع من الشيخ وبتسهيلات مالية كبيرة بغية نشر العلم.

- في أواخر عام 1979 استولى نظام الطاغية على (مكتبة النجاح)، وصادر كل محتوياتها بعد أن تبين له موقف صاحبها من النظام ورفضه بيع الكتاب الأخضر.

- لم يتوقف الشيخ عن أداء رسالته التربوية فحوّل نشاطه إلى تعليم القرآن وعلومه في جامع بن ناجي القريب من مسكنه، وواظب على إمامة الصلاة فيه وإلقاء خطب الجمعة، وعقد الدروس فيه، معروضاً بالنظام كلما سنحت الفرصة، وذلك تطوعاً منه إذ رفض الانضمام لهيئة الأوقاف حتى لا تكون له بالنظام صلة.

- انتخب عام 1970 رئيساً لمؤتمر الأدباء والكتاب الليبيين الأول.

- منح عام 2007 وسام (مادح الرسول) صلى الله عليه وسلم، في مهرجان طرابلس الدولي للمديح النبوي.

- كانت له عدّة علاقات علمية وروحية بعددٍ من المشايخ والعلماء مثل الدكتور عبد الحليم محمود، والشيخ رشيد الراشدي، والشيخ صالح الجعفري.

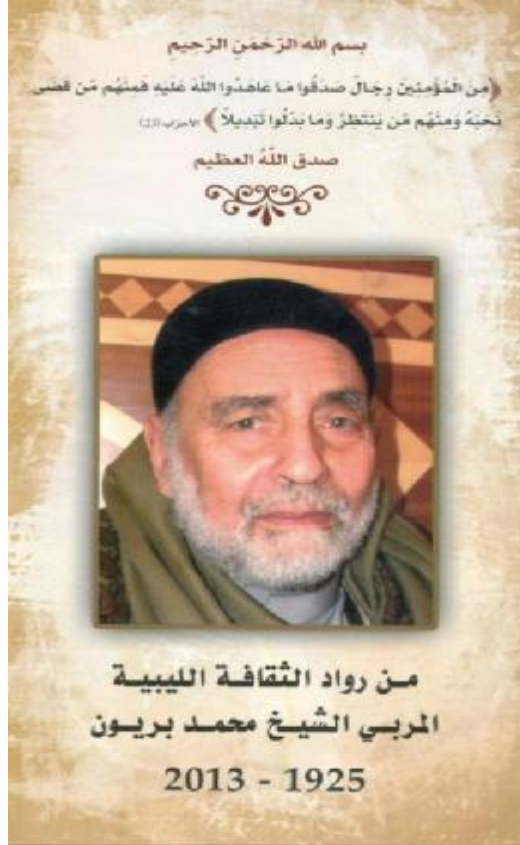
- أسهم بكتابة عدة مواضيع في مجلة (الأسوة الحسنة) أنكر فيها ظاهرة الغلو والتكفير وبين فيها أضرار الأحكام المتنّعة التي تضرّ بوحدة الأمة.

- حافظ حتى آخر حياته على الذكر وتلاوة القرآن وتدريس أحكام تجويده، وكان كثير التأمل في معانيه ومتذوقاً لبلاغته.

من شعره:

كوّن لنفسك مركزاً ومكانةً	واملاً حياتك عزّة وجلالا
واضرب على وتر الرجولة والعلا	نغماً يحركّ للنهوض رجالا

وارفع مكانتك العظيمة للسماء
ودع الخمول ولا تكن متكاسلاً
عملاً وكن به بين الرجال مثلاً
وأربأ بنفسك أن تُرى مختلاً
أمّا العلوم فلا يحيدك نبعها
فاسهر لها الليل الطويل تعمّقاً
فهي الشراب إذا أردت زلالاً
فيها لكيما تبلغ الآمالاً



المطوية

(4)

أَبَوَّةٌ حَانِيَّةٌ - وَبَرٌّ كَرِيمٌ

حين وقفت على الصفحات الأولى من تلك الرسالة الأبوية الرقيقة المطوّلة التي بعث بها الأستاذ الشيخ المربّي إلى ابنته النجبية في دار غربتها البعيدة (الدكتورة فوزية بريون)، سرعان ما شدّني حقّاً وصدقاً علو عباراتها الحانية، وآثرت أن أجمع في هذا السياق التوثيقي بينها - وبين رسالة الابنة السيدة الفاضلة (إلى كاتب هذه السطور) التي أشارت فيها إلى بداية رحلتها الطويلة، وطرفٍ من معاناتها بدار الغربة، كما قدّمت بعض الإضاءات الكاشقة عن تجربة والدها - رحمه الله تعالى - ومجمل حراكه الإرشادي الدعوي هناك في أمريكا خلال رحلته إليها. ومن الجليّ أنّ هذين النصّين المزيدين سيزيدان (المساهمة) اتساقاً وضبطاً.

(1 / 4)

الرسالة الأبوية للشيخ المربي (1986)

[ص 1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد⁽¹⁾ لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، على جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، عدد خلقه كلهم ما علمنا منهم وما لم نعلم... والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيّدنا ونبيّنا وشفيعنا وقدوتنا ورائدنا

⁽¹⁾ أفادتني السيدة الفاضلة بأنّ هذه الرسالة الأبوية مؤرخة في (18 - 6 - 1986).

وقائدنا ومثلنا الأعلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم، مفتاح كل خير، ورحمة الله لكل الخلق، الصبور الشكور الفاتح الخاتم... صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأنصاره وأصهاره وتابعيه وأمته في كل لمحّة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

من عبد الله، المتوكل على الله، الواثق بالله، الراجي عفو الله، الآمل في الله، محمد بريون: إلى ابنته وعزيزته وصديقتها فوزية محمد بريون، وصهره الكريم وأولادهم ومن يلوذ بهم - حفظ الله الجميع، ووفق الله الجميع، وكان في عون الجميع على ما يحبُّ ويرضى... السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

أتيتها الفوز العظيم، والقلب الكبير، والعقل الرصين.. رداً على خطابك الجليل الجميل، المشرق الأنيق، الذي يفيض شكراً وشكوى، ويطفح شوقاً وحباً، فكل ما فيه راقني وغداني، وأسعدني بما فيه وأبكاني، فكان جامعاً بين الكفاح والبشرى، مجدداً للصباغة والذكرى، فرأيتُ من الواجب أن أردّ عليه، وأشارك حلوه ومرة.. متوكلاً على الله، مستعيناً به سبحانه...

بدأت بقلب الغربة التي (لا ترحم)⁽¹⁾ ... وقلت لو خبرها عليّ لرضي عن الفقر وعفا عنه، ولأمسك بتلابيبها وأوسعها ضرباً وطعناً، وعليّ - كرم الله وجهه - قال فيه سيّد الوجود صلى الله عليه وسلم، أنا مدينة العلم وعليّ بابها... فهو بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلم خلق الله على الإطلاق.. وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا وقع في مداهم يقول: "قضية ولا أبا

(1) في الأصل: التي يرحم.

حسن⁽¹⁾ لها". وعبقريته - كرم الله وجهه - في جميع المشاكل والمعضلات، وفي إدراك جميع الأبعاد والأعماق عديمة النظير ... ورجل هذه بعض صفاته كيف لا يخبر الغربة .. وهو في كل حياته غريب الغرباء.. إنَّه يخبرها يا فوز .. وذاق من مراراتها ومرارات غيرها فوق ما ذاق كل غريب وأريب... إنَّه عاش طول عمره في صراع وكفاح، متغلباً على كل غربة وكربة، يصارع كل الشدائد والأهوال، لا توهنه الصعاب، ولا تفتت في عضده البلايا، (متمثلاً)⁽²⁾ قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ .. إنَّه خبر الغربة وعرفها .. ولكنه أعرض عنها، ومسك بتلابيب الفقر وأوسع ضرباً وطعناً، الفقر الذي هو أمر غربة حتى في الوطن .. وعكسه وطن حتى في الغربة ... لا يوجد أشد من الحاجة الماسة على ذي عيال ... إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت ... فوضعه بين شرّ ما في الدنيا وهو الكفر.. لأنَّه عمى وشقاء وتيه وظلام ... وبين عذاب القبر الذي هو بداية شر الآخرة ... كما كان يقول بعض العارفين: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفُضِيحَتَيْنِ الْفَقْرَ وَالذَّيْنَ... بينما الغربة على كربتتها ومرارتها كان صلى الله عليه وسلم يقول فيها: "طوبى للغرباء" ... لأنَّه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بواطن الأمور وعواقبها .. فكأنَّه صلى الله عليه وسلم كان يغبطهم على ما لهم عند الله بما أصابهم من جرّائها... فالله يقول: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ

(1) في الأصل: ولا أبا الحسن لها.

(2) في الأصل: ممثلاً.

(3) الآية 139 من سورة آل عمران.

أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ⁽¹⁾ . ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾ .
 و(هل)⁽³⁾ هناك صبرٌ بدون ابتلاء ؟

[ص 2]

ومع ما في الغربة والبعد عن الأهل والوطن من عذابٍ وألم، فإنَّها لا تخلو من مزايا وخصائص ونعم .. فهي والله — عندي — خلوةٌ مع الله ونجاةٌ من دوامة الخلق والعادات والمجاملات وسرقة الأوقات التي هي أثنى ما في الحياة ... إنَّها أنسُ بالله عجيب .. إنَّه قد يجد فيها المنحاش لله حقاً فوق ما يجده مع أخص الأقارب وأقرب الناس وأحبَّ الأحباب... إنَّها غنيمةٌ، بل غنائم، فيها والله من الخيرات والتجليات والفوائد والعوائد والمعارف ما لا يوجد في الأوطان ... (فقط)⁽⁴⁾ يكون العبد مع الله.. هذه المعية الدائمة التي لا (تنقطع)⁽⁵⁾ ، والتي لا يحسُّ بها إلا من أنعم الله (بها عليه)⁽⁶⁾ بدوام ذكره وشكره، والتملُّ في خلقه وأمره، والتدبُّر في ملكه وملكوته. هذه المعية .. فيها من الأنس والسرور

(1) من الآية 10 من سورة الزمر.

(2) من الآية 146 من سورة آل عمران.

(3) في الأصل: وهو (سهواً).

(4) كأنَّها في الأصل: (بس)، ويبدو أنَّه أثر استخدام هذه اللفظة الشائعة في اللهجة.

(5) في الأصل: لا ينقطع.

(6) في الأصل: به عليها (سهواً).

وعظيم المناجاة⁽¹⁾ وتغذية الباطن.. ما يغني كل الغنا، وينعم⁽²⁾ كل النعيم... إنها تجعل العبد (راضياً)⁽³⁾ عن الله كل الرضى، (متقبلاً)⁽⁴⁾ منه كل ما يفعل به بكل صبر وشكر، (مستبشراً)⁽⁵⁾ بتيسيره واختياره، (موقناً)⁽⁶⁾ أنّه لا يختار لعبده المؤمن إلا ما هو خيرٌ له وأنفع وأجدى في الدنيا والآخرة من جميع الوجوه... وكان بعض العارفين، وهو سيدي ابن عطاء الله الإسكندري⁽⁷⁾ يقول.. اللَّهُمَّ اجعل ما تختاره لنا أحبَّ إلينا مما نختاره لأنفسنا"، والله يقول: "وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"⁽⁸⁾، فكأنَّ في الاختيار رائحة الشرك.. وذلك بالاقتراح والتفضيل، وهي كُلُّهَا (أمان)⁽⁹⁾ وشهوات وتعلقات بأوهام فانية.. والله أعلم بما هو خير لعبده.. ولا يختار لمن

(1) في الأصل: المناجات. (ويبدو أنّه تأثر ومجارة للرسم القرآني).

(2) قراءة مرجّحة من السيدة الفاضلة لهذه الكلمة.

(3) في الأصل: راض.

(4) في الأصل: متقبل.

(5) في الأصل: مستبشر.

(6) في الأصل: موقن.

(7) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله الإسكندري (ت 709هـ / 1309م)، متصوّف شاذلي، من العلماء، من تصانيفه (الحكم العطائية) في التصوف... الخ. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 4 بيروت: دار العلم للملايين، 1979، ج 1 ص 221 - 222.

(8) الآية 68 من سورة القصص.

(9) في الأصل: أمان.

يفوّض إليه أمره ويتوكّل عليه إلا ما هو خير، ولذلك كان العارفون بالله على أتم الرضى والالتجا.. وعلى كامل التفويض والتوكّل والتسليم ...

والحقيقة أنّ كل إنسان لا بدّ وأن (يتقلّب)⁽¹⁾ في جميع أحيانه وأحواله بين السراء والضراء والشدة والرخاء.. فالمؤمن يقابل كلّ حالة بما يناسبها وبما يرضي الله فيها .. فهو دائماً بين صبرٍ وشكر.. لأنّ الإيمان كما قال الرسول نصّف صبرٌ ونصّف شكر، فعلى قدر الصبر والشكر يعظم الإيمان بالله سبحانه وبقضائه وقدره ... للعلم أنّ الأمر كلّّه لله... والله سبحانه وتعالى قال لحبيبه: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا"⁽²⁾، أي لا علينا ... لأننا بصبرنا وجهادنا وتقبّلنا لحكمه ورضانا نكسب أعظم الكسب دنيا وأخرى ... فالعواقب كما وعد الله هي لنا وعلى أعداء الله وأعدائنا .. وأنّ النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب ... وأنّ مع العسر يسراً ...

إنّ الله جعل الخير كلّّه في الإيمان ... وجعل مدده بالنبي والقرآن.. فبمعرفة النبي وكثرة الصلاة والسلام عليه، وبتلاوة القرآن وتدبّره والرجوع إليه كل يوم .. وبالرضى والصبر والشكر والعمل الصالح⁽³⁾ واتّباع النبي صلى الله عليه وسلم يفيض ينبوع الإيمان الذي لا يغيض.

[ص 3]

ورجعة إلى الغربة والفقر... فليس الفقر في حقيقته إلا الجفاف في الدين والعقل والعاطفة ... وليس الغنى إلا في القناعة مع السبب والرضى بما قسم

(1) في الأصل: تتقلب.

(2) من الآية 51 من سورة التوبة.

(3) في الأصل: والصالح (بزيادة الواو سهواً وسبق قلم).

الله ... فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس الغنى عن كثرة العرض .. وإنما الغنى غنى النفس" .. ويقول الشاعر:
غِنَى بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

.. وما الفقر في حقيقته إلا الحرمان من القناعة، وعدم الشكر والرضى على ما أنعم وأعطى ... وما أكثر ما أنعم وأعطى ... وليست السعادة بالمال ... بل بالعكس ... فأشقى الناس وأتعسهم هم الأغنياء ... يقول الشاعر:
لَا تَغْتَرَّرْ بِنَعِيمِهِمْ فَجَسُومُهُمْ فِي جَنَّةٍ .. وَقُلُوبُهُمْ فِي نَارٍ

ويقول الله في المنافقين: "فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ" (1) . وقد يكون ساكن الكوخ أسعد وأهنأ وأرضى من ساكن القصر الذي لا يرى إلا من هو أغنى منه، ولا يسعى إلا في المزيد ... ثم يخرج منها فقيراً لم يقدم إلى غده إلا السيئات. إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الرِّزْقَ وَلَمْ يَنْسَ أَحَدًا⁽²⁾ ... ولكل يوم رزقه ما دام المرء حياً .. ومن ربح دينه فقد ربح دنياه وآخرته .. ومن خسره فقد خسر كل شيء، وهو أتعس التعساء في الدنيا والآخرة ... العبرة بالعواقب ... والعاقبة للمتقوى .. والآخرة خير وأبقى ..

(1) الآية 55 من سورة التوبة.

(2) في الأصل: احد.

بالنسبة لكفاحك وجهادك واستغراق غالب أوقاتك في الأولاد ولوازمهم، فإنه جهاد عظيم عند الله أجره وثوابه فوق ما تقدرين⁽¹⁾، إنه يفوق أجر مجاهد المعركة، كل ما في الأمر ألا يكون فيه (زعل)⁽²⁾ شديد ولعن ودعاء... أبداً يا فوز (اجعلي)⁽³⁾ من صدرك كوناً فسيحاً، ومحيطاً عميقاً لا يكدره شيء... استعيني بالله واصبري .. واشكري على صبرك وجهادك واجعليه لله خالصاً.. وساعديهم بجدية، واجعلي من كل فرد منهم كبيراً عاقلاً عضواً مهماً في الأسرة يتحمل نصيبه في خدمة نفسه بنفسه أولاً وفي مساهمته في خدمة الآخرين بحسب استطاعته.. وكل ذلك بإشرافك وتنظيمك أولاً حتى يأخذ مجراه كل شيء، ويصبح كل فرد (قائماً)⁽⁴⁾ بأمر نفسه و(عضواً عاملاً)⁽⁵⁾ في بناء الأسرة بحيث يصبح - إن شاء [الله] - كل شيء في غاية النظام، وبدون جلبة، وبمشاركة الكل .. بل تصبح (المباراة)⁽⁶⁾ بين الجميع دائمة في بلوغ الغاية (المتوخاة)⁽⁷⁾، وستجدين طي الرسالة (مقالاً)⁽⁸⁾ من مجلة المختار بعنوان "كيف نربي طفلاً سعيداً"، واعتقد أنك محتاجة لتطبيقه بحكمة وسيفيدكم جميعاً - بإذن الله.

(1) هذه أقرب قراءة للكلمة، وقد يكون مراده: تتصورين.

(2) كأنها في الأصل: رغل (سهواً)، والتصويب أعلاه قراءة مقترحة يقبلها السياق.

(3) قراءة مرجحة من السيدة الفاضلة لهذه الكلمة، على قراءتي لها أولاً: اعطي.

(4) في الأصل: قائم.

(5) في الأصل: عضو عامل.

(6) في الأصل: المبارات.

(7) في الأصل: المتوخات.

(8) في الأصل: مقال.

وأنت قد حدّثتني على كل ولد بِجُمْلٍ غاية في التعريف والوصف، وأضيفت على باقتك ما تستحق من التعريف، وقد حرّكت فيّ شعوراً بأن أكتب لك أنا كذلك عن باقي وأولادي... وسأمرُّ على كل فرد منهم بما أعرفه فيه وما لديه عندي من تعريف.. وأرجو ألا تؤاخذيني ولا تضحكي على عقليتي.. فإنني هكذا عندي كل فرد منهم.. بل أبلغ وأكبر وأعظم.. والحمد لله على جزيل عطاياه..

[ص 4]

أما الفوز فلا حاجة لأن أخبرك عنها بشيء.. كان الله في عونها وعنايتها، وبلغها من جميع مننه ونعمه فوق آمالها، وما يخطر ببالها.. فهي بضعتي وفلذة كبدي؛ يسرُّني ما يسرُّها ويضيرني ما يضيرها، وإني مشاركتها بكلي، وأشعر بكل حال هي فيه رغم بعد الديار.. وهي في الحقيقة تحمل رسالتي وتكمل مسيرتي، سدّد الله خطاها، وجعلها وباقتها ومحمودها⁽¹⁾ من أسعد السعداء في الدنيا والآخرة، فلتثق بالله الثقة كلها، ولتشتغل بذكره وشكره وطاعته وحسن (عبادته)⁽²⁾، ولتكن دائماً على صلة مكيّنة به.. فهو سبحانه أقرب إليها منها، وأرأف بها من نفسها... فهي في مننه ونعمه في كل ما تحب وما لا تحب، ولتعلم أنّ الله مدبرها من حيث تعلم ولا تعلم، وسيتمُّ عليها بفضله وجوده وكرمه وإحسانه وعلى الجميع - جزيل نعمه فوق ما تأمل.. ولترض عن الله كل الرضا في كل ما يفعل بها، حتى تفوز بحبه ورضاه، ولا⁽³⁾ لها - بإذن الله - إلا كل خير⁽⁴⁾.

(1) يعني زوجها السيد الفاضل الدكتور محمود تارسين.

(2) في الأصل: عباده (سهواً).

(3) لعل مراده: وليس.

(4) هنا يقف النص الأبوي الكريم في الصفحات التي أذنت لي السيدة الفاضلة الدكتورة فوزية بريون بنشرها من رسالة والدها الجليل - رحمه الله تعالى.

(الصفحة الأولى من الرسالة الأبوية)

(2 / 4)

رسالة الدكتوراة فوزية بريون (2018)
عن غربتها - وعن رحلة أبيها إلى أمريكا
(ستة أشهر بين سنتي 1981 - 1982)

(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الفاضل عمار جحيدر.
السلام عليكم ورحمة الله.
أدعو⁽¹⁾ الله أن تصلك هذه السطور وأنت والعائلة في أحسن حال وأنعم بال،
وأن يكون قد جعل لوطننا المنكوب فرجاً ومخرجاً في هذه الظروف الحرجة
المعقدة.

(1) ينبغي أولاً إبداء الملاحظات التالية:

1 - حرّرت هذه الرسالة في صياغتها الأولى في أواخر سنة 2016، وبلغتني نسخة منها
بمعوة أخي الفاضل الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، صباح الاثنين (20 فبراير
2017).

2 - ثم أضافت إليها بعض الزيادات المهمة عن تجربة أبيها - تلبية لطلبي، ولها الشكر
الجزيل - في صياغتها الثانية التي استلمتها بتاريخ (26 - 6 - 2018)، لذا آثرتها بالنشر.

3 - وقد اغتنمت فرصة وجود الدكتوراة فوزية بريون بطرابلس خلال هذه الفترة،
فتفصّلت بتنقيح رسالتها مرّة أخرى في نسختها الورقية / كما أمدّتي أيضاً، في النسخة
نفسها، ببعض الاضاعات المفيدة التي أدرجتها في الحواشي التالية عقب استلامها .

4 - وأخيراً؛ عند قيامها (بالمراجعة الثانية) للرسالة خلال إقامتها القصيرة بطرابلس،
رأيتُ أيضاً توزيع النص إلى (فقرات بأرقام بارزة)، حرصاً مني على مزيد من إحكامه وضبطه
عند النشر، وقد غدا أكثر انساقاً بتعدّد إفاداته / وتسلسلها الزمني الجليّ، من خلال سنواته
المبثوثة بين سطره، وقد امتدّت أربعين عاماً (1974 - 2014)، وكأنّها (صوى) على طريق
طويل.

أقدم أولاً اعتذاري عن التأخير في الإجابة عن أسئلتك التي أعلمني بها الدكتور عبد الحميد الهرامة، وأغبطك على جهودك في التاريخ الثقافي لشخصيات مغمورة لم يعرف قدرها إلا عند القلة من المهتمين والمتابعين، ومن ضمن هؤلاء المغمورين والذي الزاهد العابد، تقبله الله برحمته وعفوه⁽¹⁾.

(2)

بالنسبة لتاريخ هجرتي من ليبيا، فقد وصلت إلى أمريكا مبتعثاً مع زوجي د. محمود تارسين⁽²⁾ في شهر ديسمبر من عام 1974، وانخرطت مباشرة في تعلم اللغة الإنجليزية في بداية العام التالي، ثم تحصلت على قبول لدراسة الدكتوراه في جامعة متشجن⁽³⁾. وقد حدث أن زرت ليبيا أكثر من مرة أثناء دراستي، وكان آخرها عام 1978، حيث نشطت بعد ذلك الحركة الطلابية المعارضة للنظام في

(1) لم يكن السيد الوالد المربي الفاضل - رحمه الله تعالى - من المغمورين، بل كان - مع تواضعه وزهده وتصفّوه الجليّ - أحد أبرز رجال الكتاب، وخدمة المعرفة في تاريخنا الثقافي المعاصر.

(2) الدكتور محمود تارسين، ولد بمدينة طرابلس عام 1941، وأتمّ تخصصه الدقيق في الطب، في (جراحة المسالك البولية وزراعة الكلى) من جامعة تيولين بولاية لوزيانا عام 1981، ثم تحصل على درجة الزمالة من جامعة وين ستيت بولاية متشجن.

(3) أتمت الدكتوراة فوزية بربون تخصصها الدقيق في الأدب العربي الحديث في مرحلة الماجستير برسالتها عن (القصة القصيرة في ليبيا) من جامعة القاهرة عام 1974، ثم في تاريخ الفكر العربي في مرحلة الدكتوراه بأطروحتها: (مالك بن نبي: حياته ونظريته في الحضارة)، من جامعة متشجن عام 1988؛ وقد نشرتها في أصلها الإنجليزي عام 1993 بماليزيا، وفي ترجمتها العربية المنقحة عن دار الفكر بدمشق عام 2010.

أمريكا، وانتشرت أخبار أحداث السابع من أبريل، سيئة الذكر، وأصبحت عيون القذافي من الطلبة "الثوريين" المقربين من السفارة تترصدني وزوجي وتتشكك في ولائنا، وأصبح القسم الثقافي يستحثني لإكمال الدراسة ويراسل المشرف الأكاديمي، الذي علم من خلال التحدث مع مسؤولين جاءوا للجامعة مشجعين لإقامة ندوة تعريفية بالكتاب الأخضر عام 79، بأن اسمي مدرج في القائمة السوداء"، وأن شهادته بتقدمي الدراسي لن تنفع. وبالفعل تلقيت في مطلع عام 80 رسالة من السفارة تعلمني بقطع البعثة وتطلب مني "التوجه إلى الجماهيرية"! ولكنني لم أعد.

(3)

وقد تمكّن والداي [بعد] ذلك من زيارتي بأمريكا متفرقين، فجاء الوالد إلينا من السعودية في شهر نوفمبر من عام 81⁽¹⁾، وبقي معنا في الربوع الأمريكية لمدة ستة أشهر. وكانت البلاد آنئذٍ تعاني التضيق والغبن، وكانت المكالمات تأتينا من الأسرة توصي، بالإشارة والرمز، بإطالة إقامة الوالد عندنا، وذلك بسبب تردد

(1) في الصياغة السابقة: عام 82. ثم صوّبتها أخيراً إلى 81، وأضافت إزاء سني العنوان السابق أعلاه التعليق التالي: (وصل في شهر ديسمبر، وغادر في مايو أو يونيه).
* [على المستوى الشخصي: لا أزال أذكر أنني وجدت الأستاذ المري / الكتبي الفاضل محمد بريون - رحمه الله تعالى - سنة (1979 / أو 1981) مرتدياً (جُبَّته الليبية) المألوفة - إن لم تخنّي الذاكرة - جالساً يحدث أحد أصدقائه من الكتبيين السوريين، إزاء كشكه القائم بين صفٍّ من (أكشاك الكتب) بمدينة دمشق، وأنا في طريقي إلى (سوق الحميدية) التاريخي الشهير، وربما كان في تلك الجلسة قدر من الحنين إلى حراكه الحميم (بمكتبة النجاح) الذي انقطع عنه مكرهاً بسبب التوجهات السياسية الجديدة التي طغت على تلك الفترة، كما تقدمت الإشارة إليها أعلاه. فهل كان آنذاك في طريق رحلته إلى أمريكا؟

أشخاص مجهولين على البيت يسألون عنه، وعن البلاد التي سافر إليها وعن موعد عودته. وأثناء تلك الفترة كان الوالد يصلي الاستخارة باستمرار في أمر العودة للبلاد، فلا يجد في قلبه ميلاً لذلك.

(4)

وشاء الله أن رتّبنا لرحلةٍ برّيةٍ طويلة قطعنا فيها القارة الأمريكية من وسطها إلى أقصى غربها، وكنا نقف في بعض الولايات فندعى من قبل الليبيين الذين كانوا يشكلون جالية كبيرة منتشرة، فيحتفون بالوالد ويناقشون معه وضع البلاد، وبعض قضايا المسلمين في الغرب؛ فكان يدلي بآرائه وأفكاره بكل راحةٍ وجرأة. وقد دُعي أكثر من مرّة من بعض الطلبة الليبيين القاطنين في نيويورك وشيكاغو وأوهايو وبنسلفينيا، فكان يذهب إليهم ويحاضر عليهم ويقوم بينهم إماماً وناصحاً. وأذكر أنّه قد دُعي من قبل الأستاذ حسن نشنوش⁽¹⁾ الذي كان يقيم في مدينة بتسبرج بولاية بنسلفينيا، فزاره وأقام عنده أسبوعاً أو أكثر واجتمع بزملائه الطلبة هناك وكانت له أنشطة ثقافية ودعوية بينهم. وله مع الأستاذ نشنوش صلة رحم ونسب، فهو ابن عم لأولاد عمتي، وله مع والده وأعمامه صلات، ولذلك كان يَكُنُّ للوالد كل تقدير، حتى أنّ الوالد قد تأثر كثيراً عندما أودع الأستاذ حسن السجن بعد عودته إلى ليبيا لأكثر من 18 عاماً.

(1) الأستاذ حسن يوسف نشنوش، ولد بمدينة طرابلس عام 1953، وحصل على درجة الماجستير في علم الإحصاء من جامعة بتسبرج عام 1983، وقد حال سجنه دون إتمام دراسته للحصول على درجة الدكتوراه، ويعمل الآن أستاذاً بكلية العلوم بجامعة طرابلس.

(5)

حرص الوالد أثناء إقامته معنا على اصطحاب ابنيّ الأكبرين⁽¹⁾ معه إلى المركز الإسلامي في آن آربر حيث كنا نقيم، وكان يعلم أبناء الجالية السور القصار من القرآن الكريم، ويدربهم على النطق الصحيح، مع التركيز على مخارج الحروف وأصول التجويد، ولم يكن ينوي في ذلك إلا وجه الله، حتى إنّه سخر من منح المركز له شهادة تقدير على جهوده تلك، ورفض تسلمها !

(6)

في هذه الفترة تعرّف الوالد على كثير من رجالات المعارضة الليبية التي ازدهرت في أوائل الثمانينات، وحضر بعض اللقاءات معهم رفقة زوجي، الذي كان قد انتخب رئيساً للمجلس الوطني في الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا؛ وذلك قبل خروجنا منها في منتصف الثمانينات. كما اطلع على أدبياتهم وتقدم إليهم بالأفكار والمقترحات. وكانت التقارير بلا شك ترسل من هناك⁽²⁾ إلى أجهزة النظام، الذي عمل على اختراق صفوف المعارضة بالخارج وتوصل إلى معلومات وافية عنها. وقد كانت هذه الأجهزة من قبل حريصة على استدعائه بين الفينة والفينة للسؤال عني وعن زوجي، وكذلك عن أخويه، فوزي وعادل، الناشطين

(1) أنس (من مواليد 1973)، وأيمن (من مواليد 1975).

(2) في الصياغة السابقة للرسالة: (من هنا)؛ بالنظر إلى كتابتها أولاً بأمريكا / غير أنّها صوّبتها في تنقيحها الأخير إلى: (من هناك)؛ ويبدو جلياً أنّها انسأقت إلى ذلك لإحساسها بوجودها اليوم بمدينتها طرابلس. (والخلاصة: أنّ الرسالة كُتبت بأمريكا في صياغتين متفاوتتين خلال سنتي 2016 / 2018، كما تقدّم، ثم نُقّحت "مرتين" بخطها، في نسختها الورقية بطرابلس).

في صفوف المعارضة في مصر وأمريكا. ولذلك فقد استمر استدعاؤه، بعد عودته على الخصوص، وأحياناً استدعاء أحد الأشقاء لنفس الأسباب.

(7)

طوال⁽¹⁾ العقود الثلاثة أو أكثر، التي حرمت فيها من العودة إلى الوطن، كنت ألتقي بالوالدين وبمن يتيسر له الخروج من البلاد من الأشقاء والشقيقات، إمّا في القاهرة أو تونس أو مالطا. ثم عندما انتقلت للعمل بجامعة الملك سعود في الرياض عام 1994 تمكّنت من دعوة الوالدين لزيارتي أكثر من مرّة، وقد حباني الله بالعمرة والزيارة معهما - ولله الحمد. وكان الوالد أثناء زيارته تلك مهتماً بتغيب أبنائي وخاصة الأصغرين منهم، أسعد وأحمد⁽²⁾، في الصلاة وحفظ القرآن ومحبة النبي، صلى الله عليه وسلم.

⁽¹⁾ هذه الفقرة كانت تلي الفقرة الثانية في الصياغة الأصلية للرسالة، غير أنّني رجّحت زحزحتها أخيراً إلى هذا الموضوع؛ حرصاً على التسلسل الزمني لفقراتها المؤرّخة - دون تغيير في العبارة.

⁽²⁾ د. أسعد تارسين (من مواليد 1980)، تخرّج من جامعة متشجن طبيباً، ويعمل الآن في ولاية كليفورنيا، وهو عضو عامل في المؤسسات الإسلامية التي قامت بفضل جهود الداعية الأمريكي حمزة يوسف، أحد مؤسسي (كلية الزيتونة)، وهي أول كلية إسلامية معترف بها أكاديمياً في تلك البلاد. صدر للدكتور أسعد كتاب في مجال الدعوة وتثقيف معتنقي الإسلام الجدد بعنوان: (أن تكون مسلماً Being Muslim)، أهده إلى جدّه الشيخ محمد بريون الذي تلقّى عنه بوادرتوجهه الديني والروحي.

أمّا أحمد (من مواليد 1984) فقد تخرّج أيضاً من جامعة متشجن، ثم درس بدار المصطفى بتريم، وحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة هارتفورد بولاية كونتيكت، وله عدة برامج ودروس دعوية في كندا وأمريكا، ويعمل مشرفاً على شؤون الطلاب المسلمين بجامعة تورنتو بكندا. (تمّ التعريف بالسبطين الشاين نقلاً عن السيدة الوالدة).

(8)

أمّا بالنسبة إلى عودتي إلى ليبيا فقد كانت - لأول مرة بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من المنفى - بعد انتفاضة فبراير، حيث هرعت مع زوجي وآخرين إلى مدينة بنغازي لتأييد الثورة والمجلس الانتقالي والتعبير عن موقف المنطقة الغربية المؤيد، في شهر مايو 2011، وذلك بعد اختيار زوجي متحدثاً رسمياً لمجلس طرابلس المحلي الذي تأسس سرّاً إبان وجود القذافي في طرابلس وإحكام قبضته على المدينة.

(9)

أمّا عودتي لمدينتي طرابلس فكانت في اليوم الأول من شهر سبتمبر من نفس العام بناءً على إلحاح الوالد - رحمه الله، وكنت عندها أستاذة بجامعة مشجن ومرتبطة بالتدريس فيها، فلم أبقَ إلا عشرة أيام شحيحة، عدت بعدها لمواصلة التدريس للفصل الدراسي الأخير لذلك العام، لأعود مرة أخرى في شهر ديسمبر، يحدوني أمل في خدمة ليبيا فيما بقي لي من عمر وقدرة .. ولكن...

(10)

وبين (سنة النفي / وسنة العودة) تاريخ من المكابدة والمعارضة والكتابة باسمي الصريح حيناً وبأسماء مستعارة أحياناً، والمشاركة في ندوات ومؤتمرات سياسية تهدف إلى الوقوف في وجه الحاكم المستبدّ، أدعو الله أن يوفقني لتسجيلها في مذكرات موثقة.

(11)

أما سؤالك عن كتاب الأدوية⁽¹⁾، فأثني للأسف لم أعلم به إلا بعد وفاة الوالد، ولذلك فقد فاتني التأكد من وجوده من عدمه، وسأعمل على البحث في

(1) القصد إلى تلك المخطوطة العربية الطبّية القيّمة التي اكتُشِفَتْ بمدينة طرابلس في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، وهي نسخة جيّدة من (كتاب الأدوية المفردة) للطبيب العربي الأندلسي أبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي (القرن 6هـ / 12م)، وقد عثر عليها هنا آنذاك الباحث الإيطالي الدكتور تومّازو سارنيلي (Tommaso Sarnelli): (أستاذ علم حفظ الصحة للمناطق الحارة بالمعهد الشرقي بنابولي، والسكرتير العام لأكاديمية تاريخ الطبّ بروما)، وكان الاعتقاد سائداً منذ قرون بضياع هذا الأثر الثمين. ونشرت مقالة بصحيفة طرابلس الغرب، (العدد 2898 / 18 يناير 1953) عن هذا الأثر الطبي الذي وجد لدى أسرة بريون بطرابلس (التي تعرف باسمها زنقة بريون، في محلة كوشة الصفار)، كما ظهر في هذه الأسرة بعض المعنيين القدامى بالطب الشعبي وآثار الطب العربية، ومن أبنائها أيضاً أحد رواد الطب الحديث في ليبيا، وهو الدكتور محمد عاكف بريون الذي ولد بطرابلس سنة (1289هـ / 1874م)، ودرس الطب باستانبول في أواخر العهد العثماني، وقُدِّرَ له - بعد أن عاد طبيباً إلى طرابلس - أن يقضي أواخر عمره باستانبول إلى وفاته هناك في أواخر الثلاثينات (أو بعدها) من القرن العشرين. وقد غني الأستاذ الجليل علي الصادق حُسنين - رحمه الله تعالى - بإعادة الكتابة أيضاً عن هذه المخطوطة الطبية، والتنويه بها، في مساهمة بعنوان: "اكتشاف أثر طبي عربي في طرابلس سنة 1953"، قُدِّمَتْ إلى الندوة التي نظمتها الإيسيسكو (بمدينة طرابلس: 13 - 15 / 11 / 2006) عن: المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية.

انظر أيضاً:

- سيّد حسين نصر، العلوم في الإسلام (دراسة مصورة)، نقله إلى العربية مختار الجوهري، حقق النص العربي وضبط الألفاظ العلمية والفنية الدكتور محمد السويدي، الصور: رولان ميشو، ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، 1398هـ / 1978م، ص 162. جاء فيه: "شهد

مكتبة الوالد وبقايا كتب المكتبة وفي الصناديق المكدسة في أكثر من مكان. وقد حال خروجي غير المخطط من البلاد، قبيل تفجير المطار في رمضان 2014 (دون) القيام بهذه المهمة، بل لقد تركت ورائي أشياء كثيرة كان يجب أن أحملها معي لو كنت أعلم الغيب !
لكن قدّر الله وما شاء فعل.

القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد ظهور (كتاب الأدوية المفردة) لأبي جعفر الغافقي، الفريد في دقة وصفه وغزارة معلوماته، ويعده الكثيرون أعظم الكتب الإسلامية عن الأدوية المفردة، وخاصة فيما يخص الأعشاب، وقد ترك هذا المؤلف أثراً عميقاً في كتابات ابن البيطار أبرز علماء النبات في الإسلام.

- د. عبد الكريم أبوشويرب، أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، طرابلس: الجمعية الليبية لتاريخ العلوم الطبية، 2005، ص 98 - 119. ضمّ إليه مقالته عن طبيب الأسرة الذي يرد لديه باسم: (الطبيب محمد عاكف محمد أبوريون) كذا.

- عمار محمد جحيدر، "المخطوطات العربية في ليبيا: بين المصادر الوصفية - والنصوص التوثيقية - والوضعية الحالية"، ضمن: معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، عمل جماعي أصدرته اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم (احتفاء بطرابلس عاصمة الثقافة الإسلامية، 2007)، الفصل السابع، ص 325 - 428، وخاصة ص 386 - 387.

- علي الصادق حسنين، "شارع كوشة الصفار بين ذاكرتين - القسم الثالث: أزقة الجانب الغربي"، مجلة تراث الشعب، العدد 69 - 70، السنتان 37 - 38 (1438 - 1439 هـ/ 2017 - 2018 م)، ص 142 - 166. [صدرت من هذا العدد نسخ محدودة جداً في طبعة خاصة]. وجاء فيه: "رنقة بريون - (أو المجر أو المرباط) التي تقع على ناصية مسجد بن نور، إنَّها زقاق لا طم [أي: غير نافذ] وطويل نوعاً ما، وبه منحنيان. يجد الداخل إليها على يمينه باباً ثانياً للمسجد المذكور".

(12)

أرفق لك صورة للوالد في مدخل مكتبة النجاح، صحبة العارف بالله الشيخ صالح الجعفري⁽¹⁾، الذي زار ليبيا أكثر من مرة لارتباطه بالطريقة الإدريسية التي تفرّعت عنها السنوسية، وأظنُّ أنَّه قد قام بتحقيق بعض الأوراد السنوسية في فترة الستينيات. وكان هذا الشيخ صديق والدي وشيخه وقد ربطتهما علاقة قوية، حتى أنَّه كان يدعو لوالدي باسمه في خاتمة دروسه وصلواته بالجامع الأزهر، كما أخبر بذلك بعض من أقاموا بمصر أثناء قطع العلاقات الليبية المصرية في السبعينيات. وتجد مرفقاً صورة من خط الوالد كما طلبت⁽²⁾.

* * *

أكّرر اعتذاري عن التأخير، وتقبّل وافر تحياتي وتقديري، وكذلك تحيات زوجي د. محمود تارسين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

فوزية بريون⁽³⁾.

(1) صالح الجعفري المالكي (1328 - 1398هـ / 1909 - 1978م): عارف شهير. صوفي "إدريسي الطريقة". كان مدرساً بالجامع الأزهر. وكانت له حلقة بعد صلاة الجمعة. دخلت إليه الوفود، ووقفت ببابه العلماء، صنّف وأفاد. له ديوان شعر ضخّم يقع في أكثر من 10 أجزاء" عن: محمد خير رمضان يوسف، المستدرك على تتمة الأعلام للزركلي (الأول والثاني)، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ / 2002م، ص 177.

(2) لم أكتف بهذا النموذج الخطي، وإنما نشرت النص المتاح من الرسالة أعلاه.

(3) استلمت بتاريخ (26 - 6 - 2018).

اكتشاف أثر طبي عربي ثمين بطرابلس

اقبل غينا لمدينة طرابلس ، التي عرفت كبر ، تحتفظ به من دون البلدان العريقة الأخرى ، وقد استنحت بذلك لا باعتزاز العالم العربي فحسب ، بل وباعتراف عالم الثقافة ، الذي لا يعرفه حدودا جغرافية أو سياسية . ولم تكن أعمال هذه الأبحاث جديدة على البروفسور سارنيللي . فقد اختارته اللجنة الدولية لليدي (هولندا) العمل والتعاون في ميبل تاريخ الطب العربي للطبعة الثانية من موسوعة الاسلام .

ولاشك في مؤلفات دوليصة للدراسات ، وفي باريس سنة ١٩٤٨ عرف بؤلف ليبي مجيد بروج عزمه الى سنة ١٣٠٠ م . وقد عثر عليها في اليمن . وفي استانبول يمين الطريق الأتليوباتريك للبحث عن تاريخ الطب العربي . وانظر عزمه على إصدار مجلة عليية حول الادوية الشرقية تحتل اسم « ابن سينا » . والبروفسور سارنيللي صاحب

انقضا ويزدانة بساء الذهب ، يحمل على الظن بان المجلد تسد اخذ من امبانيا . وهو يحتوي على النص بكامله مع ذكر اسماء الادوية وموضوعة على ترتيب الابدع الغربي والذي يتنزي بحرف الشين . الا أنه خال من المقدمة ومن ١٤ فصلا بين مئات المائتين النصول من الكتاب بكامله ، لولا أنه لحسن الحفظ بقيت المقدمة والـ ١٤ قصة محفوظة بالكفـسـدا .

ويرجع عهد ابحاث الدكتور سبور سارنيللي الى زمن قديم كذا قلنا . فقد جمع لديه العلام الاول عن وجود هذا الكتاب في طرابلس سنة ١٩٣٢ ، اي لمدة ثنت سنوات قبل ان يظهر الفصل الاول منه بدولتريال بالقاهرة .

ويدل على ذلك موضوع المذكرة التوضيلية التي وضعها ونشرها في مذكرات اكااديمية التاريخ والفن الصحي بروما ، وتم اكتوبر ١٩٤٧ وي عنوان « اكتشاف » . ومرد كتاب الادوية بطرابلس

حل فينا بين طرنا لينا منذ شيرين الدكتور توماس سارنيللي ، استساذ علم حفظ الصحة للمائتين انحصارة بالعلم الشرقي بناولي ، والسكرتير العام لأكاديمية تاريخ الفلب بروما . وقد عثر اخيرا بطرابلس على انفسر طبي عربي تاريخي ، ويرجع بحسبه عنه الى سنة ١٩٣٢ . وكان الاعتقاد سائدا منذ قرون على ضياع هذا الاثر الشين . وهو نسخة من « كتاب الادوية المفردة »



صحيفة طرابلس الغرب (18 يناير 1953)



(الوالد بمدخل المكتبة صحبة صديقه الشيخ صالح الجعفري)

(5)

الكُتبي المعاصر بالمدينة القديمة

(الكُتبي) ؟ لم أقف على هذا الاشتقاق المتعلق بخدمة الكتاب في معاجم العربية الفصحى القديمة والمعاصرة، غير أنّ العلامة أحمد تيمور أورده في (معجمه الكبير في الألفاظ العامية)، ضمن ما يُنسبُ إلى الجمع نحو: "قولهم عمياني، وفلاحي، وجنايني، وورد لدى الجبرتي: الكُتبي، وتسمّى بالكُتبي الوطواط وصاحب فوات الوفيات"⁽¹⁾. كما استهلّ به المؤرخ العلامة خير الدين الزركلي ترجمة ذلك الناشر الشامي الشهير، نزيل القاهرة: "محمد أمين الخانجي (1282 - 1358هـ / 1865 - 1939م): كُتبي، عالمٌ بالمخطوطات وأماكن وجودها، نشر 378 كتاباً، ولد في حلب ... وتوفي بالقاهرة الخ"⁽²⁾. وقد حلّاه بهذه الصفة أيضاً شيخ العربية العلامة محمود أحمد شاكر بقوله: "ذلك أمين الخانجي، الكُتبي الذي أحبّ الكتاب العربي، كأثّة تراث أبيه وأمه"⁽³⁾. وتدُلّ هذه المعطيات على أنّ هذا المصطلح الثقافي اللطيف يدلُّ بشكل جلي على ذلك الرجل المشارك بطرفٍ من فنون العلم، المعنيّ، الحفيّ، بخدمة الكتاب بيعاً واقتناءً وترويجاً ونشراً، مع قدر ظاهر من المحبّة والاضطلاع أو الإحساس بالرسالة الثقافية وصدق الإخلاص للمهنة.

(1) أحمد تيمور، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، تحقيق الدكتور حسين نصار، ط 2 القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 1423هـ / 2002، ج 1 ص 133.

(2) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 4 بيروت: دار العلم للملايين، 1979، ج 6 ص 44.

(3) الدكتور محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي - مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1405هـ / 1984م، ص 59 - 60.

وقد دار بخلدي وأنا أستمع إلى كلمات السادة الأفاضل المشاركين في حفل التأبين أنّ أبرز سؤال يطرحه هذا السياق: ما موقع الفقيه الراحل الأستاذ الشيخ محمد بريون في تاريخنا الثقافي المعاصر؟

ويبدو جلياً أنّ مصطلح (الكُتبي) المخلص يظلُّ أصدق توصيف لشخصيته، وأكثرها دلالة على لبّ حراكه الثقافي، فقد عمل بالتدريس، وشارك في النشاط الثقافي وتحرير بعض المطبوعات الدورية، وربما اقترب من الإدارة، وعمل أخيراً بالخطابة الجمعية، ومال إلى التصوف وكان له عددٌ من التلاميذ والمريدين، ولكنّ منجزه أو (مشروعه الثقافي) المتميّز الذي ظهر به اسمه في حياتنا الثقافية المعاصرة قد تحقّق من خلال مكتبته التي ساهمت بشكل جليّ في خدمة المعرفة وتوفير الكتاب، ونشر بعض الآثار القديمة.

وقد نشرت الدكتوراة فوزية محمد بريون منذ بضع سنوات (2008) في أحد المواقع الالكترونية مقالة حارّة عن مكتبة أبيها، وكانت آنذاك في رحلتها الطويلة بالمهجر، إذ غادرت البلاد منذ أواخر (1974)، وتجمع المقالة بين الإفادة التوثيقية القيمة، والمشاعر الفيّاضة بالأسى والألم لما حلّ بالمكتبة من شتاتٍ عندما تمّ الاستيلاء عليها، وما قاساه والدها - رحمه الله تعالى - من المعاناة، وسأكتفي في هذا المقام باقتباس بعض فقراتها، مع يسر العودة إليها كاملة لمن يشاء، إذ تقول: "عرف مثقفو الخمسينيات والستينيات والسبعينيات وكتابها وأساتذتها وطلابها، مكتبة النجاح بمقرها بسوق الترك بمدينة طرابلس، مركزاً يزوّد محبّي العلم والمعرفة بأمّهات الكتب، وزبدة المصادر،

وآخر ما كانت تصدره دور النشر في القاهرة وببيروت ودمشق وحلب في العلوم الإسلامية على تنوعها، وفي الأدب والنقد والتاريخ، وفي مختلف فروع الفكر. وكانت مع مكتبة الفرجاني، ومن بعدها مكتبة الفكر أشهر مكتبات مدينة طرابلس، وأحرصها على نشر الثقافة وتوزيع الكتاب، بل ونشره⁽¹⁾.

ومما يؤكد هذا الهاجس أيضاً، أنَّ نشاطه لم يقتصر على مكتبته الخاصة، وإنَّما كان حريصاً كذلك على توسيع دائرة حراكه بالتعاون المثمر مع الآخرين، وهو ما نقف عليه عياناً من خلال الإفادة التالية من أقرب الناس إليه؛ في مقالة ابنته الكريمة: "وقد شجّع والدي بعضاً ممن يعرفهم من زليطن والخمس ومصراته وسبها وغيرها بأن ينشئوا مكتبات في مدنهم، حيث يمكنه أن يزودهم بما يحتاجونه بأسعار الجملة وبالتفصيل وبما يمكن من تسهيلات.. قاصداً بذلك خدمة العلم ونشر الكتاب والثقافة في أرجاء الوطن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً... وبالفعل تحقّق كثيرٌ من هذا، وكان حينئذ قد دخل إلى عالم النشر...، وهكذا ازدهرت مكتبة النجاح، وأقبل عليها كثير من محبي المعرفة من داخل طرابلس وخارجها على السواء .. بل من داخل ليبيا ومن خارجها، حيث كان

(1) د. فوزية بريون، مقالاتها الإلكترونية، المشار إليها أعلاه، وقد أفادتني ابنته الأخرى السيدة وداد محمد بريون، شفويّاً في ندوة الكتبيين: (7 - 5 - 2018) بأنَّ السيد الوالد خصص حجرة جلوس بمكتبة النجاح لروادها وأصدقائه من المثقفين، كما أكّد لي هذه الإفادة أيضاً أبرز تلاميذه من المثقفين الدكتور محمد مسعود جبران، بمجمع اللغة العربية (الخميس 31 - 5 - 2018).

يتردد عليها العديد من أصحاب المكتبات في المغرب العربي، الذين اعتبروها أقرب مصدر للكتاب المشرقي من مكتبات العواصم الأخرى، كما عرفها وراسلها مهتمون بنشر العلم في مالي والسنغال وغيرها⁽¹⁾.

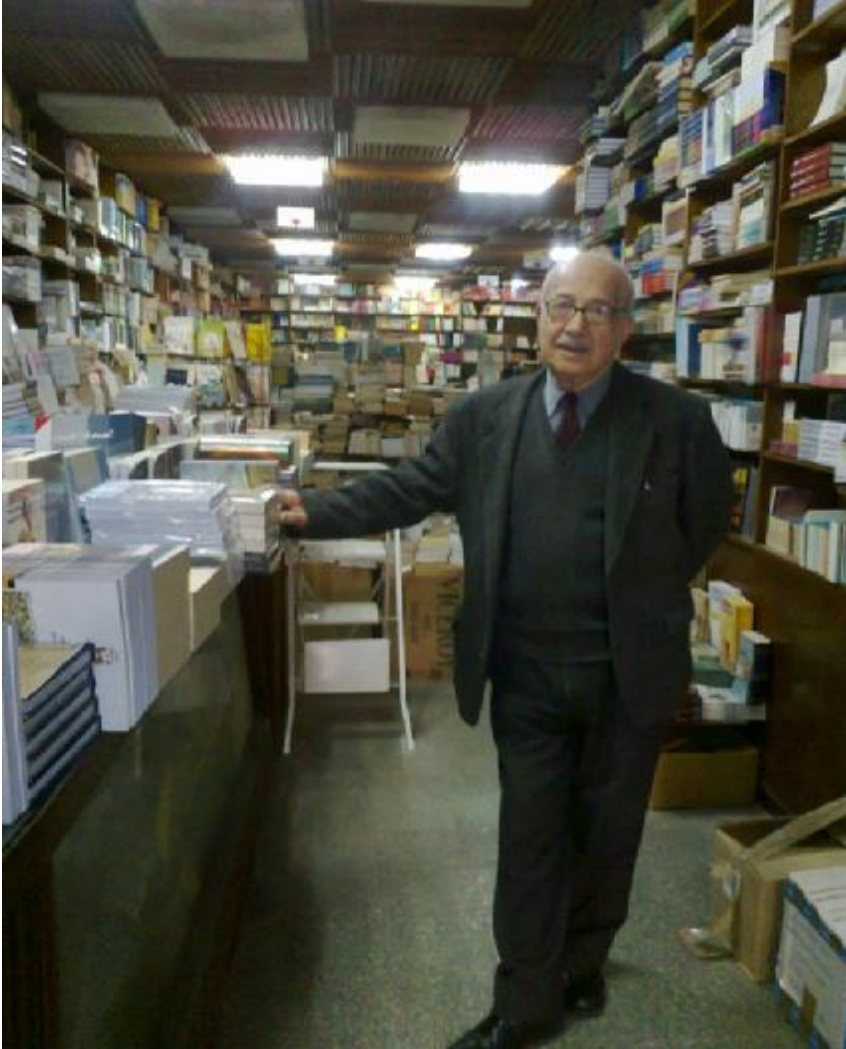
غير أنّ الكُتُبِيّ الولوع الأستاذ الشيخ محمد بريون قد اضطر - مع بالغ الأسف - إلى التوقف عن ذلك الحراك الكثيف مع اكتمال نضجه، وفي أوج عطائه، بعد أن أكمل ربع قرن (1954 - 1979) في تجربته الحفّية بخدمة الكتاب، ولو قدّر له الاستمرار في هذه التجربة الثرية لكان له المزيد من العطاء والحراك والأثر. ومع ذلك يمكن القول إنّ مشروعه الثقافي المهني (بمكتبة النجاح) كان امتداداً لبيباً معاصراً في (مدينة طرابلس القديمة) لتلك المكتبات والمطابع الأهلية العتيقة في مدن المشرق والمغرب، ومنها - على سبيل المثال: (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) بجوار الأزهر الشريف، و(المكتبة العتيقة) قرب جامع الزيتونة بتونس، و(مكتبة الطالب) الصغيرة المتميّزة بالرباط. "وقد تجد في مثل هذه المكتبات من نواذر المطبوعات ما لا تجده في المكتبات الحديثة ذات الواجهات الزجاجية والفضاء المتسع ... أنّها المهنة إذن، وهؤلاء الكُتُبِيّون القدماء، في الرباط وفي تونس وطرابلس والقاهرة ودمشق ... الخ يحسنون ما يصنعون بحق"⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه .

(2) عمار محمد جحيدر، يوميات مغربية 1989: (يوميات رحلة بحثية في الخزائن العلمية بالمغرب الشقيق) طرابلس: منشورات مجلة شؤون ثقافية، 1910، ص 32 - 33.

ولئن كان الكاتب المعروف مصطفى خوجه الذي عاش خلال العهد القرمانلي أبرز ناسخ أو ناشر تقليدي للمعرفة في تاريخنا الثقافي الحديث (في حقل المخطوطات قبل انتشار الطباعة) ⁽¹⁾، فإنَّ الفقيه الراحل الأستاذ الشيخ محمد بريون مع مَنْ عاصره من الكُتبيين والناشرين كالأستاذ محمد الفرجاني صاحب الدار الشهيرة، والأستاذ صالح الشريف صاحب (مكتبة الفكر) بمدينة طرابلس، والأستاذ عبد المولى لنقي صاحب (مكتبة قورينا) بمدينة بنغازي - على سبيل المثال الدال لا الحصر الدقيق، وكل ناشر منهم حريٌّ أيضاً بدراسةٍ مستقلة - كانوا دون شك في طليعة المخلصين المعاصرين في التعلُّق بحبِّ الكتاب وخدمة المعرفة، وقد جمعوا - على قدر من الاختلاف والتفاوت - بين توريد الكتاب من مختلف الآفاق وإتاحته للقراء والدارسين، والاضطلاع برسالة النشر الأصيل والمصوّر.

⁽¹⁾ عن مصطفى خوجه ومجمل نشاطه الثقافي انظر: عمار جحيدر، "الكاتب الوزير الليبي مصطفى خوجه أكبر ناشر للمعرفة في العهد القرمانلي"، دراسة نشرت على خمس حلقات بصحيفة الدعوة الإسلامية، العدد 1426 (الأربعاء 13 جمادى الآخرة 1436هـ/1 أبريل 2015م)، والأعداد الأربعة التالية .



الأستاذ عبد المولى لنقي في مكتبته الحديثة بمدينة بنغازي
(زيارة عفوية عابرة، ولقطة بالهاتف النقال - مارس 2013)

(6)

شهادة أحد مريديه: مقالة قصيرة

للكاتب محمد طرنيش (1952 - 2011)

كان للكاتب الصحفي والناشط الحقوقي الفقيه الأستاذ محمد طرنيش (1952 - 2011) - رحمه الله تعالى - عموداً قصيراً بصحيفة (الشط) باسم (جنان النوار)، وكان خلال النصف الأول من سنة (2010) ينشر مقالات موجزة في ذلك العمود تحت عنوان (حكايات طرابلسية)، سرعان ما جذبت في الحلقة الثالثة منها شجون الثقافة والكتاب، فكانت هذه الحلقة نفسها بعنوان فرعي مزيد: (المكتبات التجارية)⁽¹⁾، وقد استهلّه بالإشارة إلى تلك المبادرة المبكرة للأستاذ الهادي المشيرقي الذي أسّس خلال عهد الاحتلال الإيطالي أول مكتبة تجارية لبيع المطبوعات العربية سنة (1936)، وكانت على شكل دكان بشارع قوس الصرارعي في المدينة القديمة. وكانت الحلقة التالية عن (مكتبة التاجوري)⁽²⁾ بسوق الترك أيضاً لصاحبها الحاج شعبان التاجوري الذي كان كفيف البصر (!) وهذا من عجائب القدر، وقد شاهدته فيها لمأماً. في حين تلتتهما مقالة أطول نسبياً في حلقتين متتاليتين عن (مكتبة النجاح)⁽³⁾. وقد عدتُ إلى الحكايات الطرابلسية قبيل الفراغ من هذه المساهمة البحثية التي بين يديك، ونسختُ ما كتبه الفقيه الراحل عن مكتبة النجاح،

(1) صحيفة الشط (طرابلس) العدد (974) الصادر بتاريخ (6 - 4 - 2010).

(2) المصدر نفسه، ع (975) بتاريخ (13 - 4 - 2010).

(3) المصدر نفسه، ع (976) بتاريخ (20 - 4 - 2010) ؛ ع (977) بتاريخ (27 - 4 - 2010).

مستهدفاً في بادئ الأمر أن أكتفي باقتباس بعض الفقرات منه في مواضع متفرقة، غير أنني آثرت أخيراً الاحتفاظ ببنية المقالة كاملة، وزيادة هذا (العنوان الفرعي) في السياق؛ لإثبات نصّها في (شهادة قيمة) لأحد أبناء جيلي من مريدي الأستاذ الكُتبي المربي محمد بريون، وأثر مكتبته البالغ في التزويد المعرفي والتكوين الثقافي للعديد من القراء من أكثر من جيل، خاصّة وأنها تشير بإيجازها المحكم إلى عدّة جوانب من تجربة هذه المؤسسة الأهلية الثرية، ورسالتها الثقافية، وإشعاعها الحلي في الداخل والخارج.

مكتبة النجاح

[بقلم محمد طرنيش]

"قبل البدء في سرد قصة نجاح مكتبة النجاح استأذنكم في رواية حكاية وقعت معي منذ أسبوعين فقط، وهي ضمن عدة حكايات كنتُ شاهداً على سماعها من أصحابها أو ساهمت في أحداثها قدراً دون تدبير مني. كنت في مدينة حلب بسوريا الشقيقة للإشراف على طباعة كتاب عن العلاقات الليبية التركية تقوم بطابعته مطبعة الأخ العزيز محمد غزوان، وفي إحدى زياراتي لمكتبه وجدت والده⁽¹⁾ في الثمانين من عمره صحبة عددٍ من أصدقائه ومعارفه، كان الرجل مريضاً - شفاه الله - لا يستطيع الحديث بطلاقة، ولكنه يتحرّك

(1) السيّد الفاضل عبد السميع عفش (1931 - 2010) كان - رحمه الله تعالى - من كبار الناشرين في المشرق العربي، وتوسّع نشاطه بين حلب وبيروت، بمكتبة الشهباء، ودار الشرق، ومطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، وكان حركياً نشيطاً، كريماً لطيفاً بشوشاً، وقد عرفته منذ سنين عديدة هنا وهناك، وقضيت أسابيع طيبة بمكتبته ومطبعته عند الإشراف على طباعة الجزء الأول من (اليوميات الليبية) سنة 1981، ثم الجزء الثاني سنة 2001.

ببطءٍ شديدٍ ويعرف من حوله ويدرك بهم. تبادلنا أطراف الحديث في شؤون الثقافة والأدب، وهم جميعاً من المثقفين وأصحاب دور النشر ومن المشهورين بالمدينة، فسألني أحدهم عن المكتبات في ليبيا، وبدأتُ الحديث عنها وعن تاريخها وانتشار الكتاب وبداية تداوله في بلادنا، وعندما وصلت بالحديث إلى مكتبة النجاح توقفتُ فجأة على صوت بكاء والد صديقنا الأستاذ غزوان، ووسط دهشتي وأمام توسُّلات أصدقائه بالكفِّ عن البكاء والصبر والتحمل، علمتُ بأنَّ الرجل له ذكريات طيبة في طرابلس في بداية السبعينات عندما كان يورِّد المطبوعات المدرسية لوزارة التربية في تلك الفترة، وكانت مكتبة النجاح هي ملاذه ومقر تواجده وتردده وجلوسه، وله مع صاحبها المربي الفاضل الشيخ محمد بريون (متَّعه الله بالصحة والعافية) ذكريات جميلة وعشرة طيبة كما حدَّثني فيما بعد، وقد تذكَّر تلك الأيام التي كان فيها نشطاً حركياً لا يهدأ ولا يستقرُّ، وهو الذي قام منذ نصف قرن بتأسيس دكان لبيع القرطاسية لتصبح الآن واحدة من كبريات دور النشر في الوطن العربي.

ومنذ عدَّة سنوات التقيتُ برجل يعمل مستشاراً بوزارة الخارجية في موريتانيا، فحدَّثني عن مدينة طرابلس وعن مكتبة النجاح، وعندما سألتُه عن السنة التي زار فيها ليبيا فاجأني بأنَّه لم يسبق له زيارتها، وإنَّما كان ذلك سماعاً من والده الذي كان طالباً في الجامع الأزهر، فكان عند عودته إلى بلاده عن طريق البر يمرُّ بمكتبة النجاح، ويحمل قدر ما يستطيع من كتب لمكتبته [التي] أصبحت فيما بعد من كبريات المكتبات الخاصة في موريتانيا، وهناك عديد المكتبات التجارية التي تأسَّست في بلاد المغرب العربي كانت نواتها الأولى من مكتبة النجاح.

وتحضرني بهذه المناسبة حكاية أخرى جرت أحداثها معي في عام 1970، حيث التقيت رجلاً من قطر مغاربي تقاعد من العمل الحكومي في بلده، وجاء إلى طرابلس يبحث عن مساعدة في افتتاح مكتبة بمدينة، فقامت بتعريفه بعدد من أصحاب المكتبات ومن بينها مكتبة النجاح، فرحبوا به وقدموا له كل المساعدات والتسهيلات، وانطلق الرجل في تجارة الكتب ليكون بعد سنوات من كبار الناشرين العرب في المغرب العربي، وبعد ربع قرن وفي إحدى دورات معرض الكتاب في ليبيا التقيته فلم يعرفني واعتذر عن التذكر بأنه كان يوماً في طرابلس يبحث عن مساعدة، فعدت فوراً إلى البيت ووجدت قصاصة كتبها بخط يده بها عنوانه ورقم هاتفه، عارضاً خدماته في مقابل الجهد الذي بذلته في تأسيس مكتبته، وعندما واجهته بها انتفض معانقاً ومسلماً ومعتذراً متحججاً بكبر السن والتقدم في العمر.

"في العدد الماضي تناولت ذكريات بعض الإخوة العرب مع هذه المكتبة، ورغم عمر تأسيسها القصير غير أنها اكتسبت شهرة محلية وعربية رائعة والتي تعود لأسباب كثيرة؛ منها موقعها المهم في وسط سوق الترك الذي كان من أهم أسواق ليبيا، ومن مساحة حجمها الذي يحتل بيت من دورين كاملين ولا يوجد فيهما موضع قدم خالياً من أرفف وصناديق للكتب المنتشرة على كافة الجدران والممرات، ولا أعتقد بأن هناك مكتبة تجارية في الدول العربية في حجمها ومساحتها في ذلك الزمن على الأقل، فلم تكن مكتبة تجارية لبيع الكتب بل

كانت معرض دائم للكتاب. ثم لهذا التنوع العجيب في نوعية الكتاب، فلن يخرج منها زائرها إلا وقد وجد ضالته وما يبحث عنه. أمّا السبب الرئيسي لشهرتها فهو لمؤسسها المربي الفاضل والشيخ الجليل الأستاذ محمد بريون الذي يضيف تواجده فيها جواً رحباً من المهابة والمحبة لما يتمتع به من خصال طيبة تجمع بين الأبوّة الحانية والأستاذية بمعناها التربوي الجميل. ومن أهم تلك الأسباب أنّ الهدف عند صاحبها نشر المعرفة بين الناس، أمّا الجانب المادي فلم يكن وارداً لديه على الإطلاق، بدليل أنّ الصراع التجاري كان على أشده في سوق الترك، فمن يجازف بمثل هذا الموقع ليكون للكتب بدلاً من الملابس والأحذية والأقمشة؟ سوى من يحمل رسالة يريد أن يؤديها لوطنه وأبناء وطنه بكل أمانة وإخلاص.

إنّ عدد من رواد هذه المكتبة يتذكرون كيف أنّ مساحتها وعدد غرفها وحجراتها المليئة بالكتب تجعل من الصعب على المشرف عليها أن يعرف من بداخلها، فيكتفي بالنداء في وسطها عن موعد قفلها ظهراً، ويذكر الكثير منهم أنّ الباب قد قُفل عليهم وهم بداخلها، فكانت فرصتهم في المزيد من القراءة والاطلاع في جو هادئ مريح، وهي فترة القيلولة إلى حين قدوم المشرف بعد صلاة العصر.

كان أستاذنا الجليل يوجّهنا لنوعية الكتب التي علينا قراءتها، وقد استفدنا من هذا التوجيه ونحن صغار، فكانت النقلة الأولى من عالم الروايات البوليسية إلى عالم الأدب والثقافة، كما كنا نفخر بأنّ نعرض عليه نشر محاولتنا الأولى

في الصحافة، فكان يشجعنا بكلمات المديح والإطراء، كان يرى فينا مشاريع المستقبل وكنا نشعر بأننا ثمار غرس طيبٍ لحيلٍ نعتزُّ بأننا نشأنا وتعلمنا على أيديهم الطيبة المباركة .. لم تكن لدينا مكنتات خاصة لعائلاتنا في بيوتنا فكانت المكنتات التجارية الخاصة بمثابة الملاذ والملجأ.

إنَّ الحديث عن مكتبة النجاح ودورها الريادي يحتاج إلى مساحةٍ واسعةٍ قد لا تتيحها هذه الزاوية، فتحية تقدير واحترام للجيل العصامي النادر الذي مهَّد لنا الطريق وأنار."

(7)

مكتبة النجاح وحركة النشر

فضلاً على ما اضطلعت به (مكتبة النجاح) من جهدٍ ملحوظٍ في توفير الكتاب العلمي والثقافي والمدرسي للقراء والطلاب والمثقفين، فقد ساهمت أيضاً بقدر محدود في النشر، وكان العديد من مطبوعاتها مصوراً عن نشراتٍ قديمة، وهي تضمُّ بعض الكتب والرسائل المتصلة بالتراث من آثار الفقه والتصوف والأدعية والصلوات وكتب المناقب وما إليها. ويمكن الاستئناس في هذا السياق أولاً بما ذكرته الدكتورة فوزية بريون عن هذا الجانب من نشاط أبيها في خدمة المعرفة والكتاب: "وكان حينئذ قد دخل إلى عالم النشر، فنشر عشرات الكتب القيِّمة أغلبها في مجال الدراسات الإسلامية، وبعضها مدرسي، يهدف إلى تبسيط المقررات المنهجية للمرحلتين الإعدادية والثانوية، وخاصة المواد العلمية منها وتلك المتعلقة بتعلم اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية

والفرنسية .. وقد عرفت المكتبة إقبالاً كبيراً على هذه الكتب وخاصة في مواسم الامتحانات" ⁽¹⁾ . كما نقفُ على صدى مساهمة المكتبة في حركة النشر في بعض أعداد (الببليوغرافية العربية الليبية) الرسمية الصادرة عن (دار الكتب) التي أدرجتها في (قائمة دور النشر التجارية). ولعله من المفيد- استكمالاً لهذا الجانب - أن يُشار أيضاً إلى عددٍ من منشوراتها في القائمة المحدودة التالية، لمقاربة توجُّهاتها واختياراتها التي قد لا يُقبلُ بعضها من هذا المنظور أو ذاك، ولكنّها تعبرُ عن تكوين صاحبها وميوله الذاتية من جهة، كما كانت تغدّي قطاعاً من القراء من جهةٍ أخرى (وهي طيف من أطراف التاريخ الثقافي - على أيّة حال). وقد يجد الباحثون اليوم في الكتب المصوّرة، عن طبعاٍ قديمةٍ نادرةٍ يُداني بعضها (حقل المخطوطات) فوائدها عديدة جمّة، إذا تمّ الحفاظ على سماتها وبياناتها وافية طبقاً لأصولها ⁽²⁾ .

وخلاصة القول إنّ هذه القائمة لا تمثّل ضبطاً دقيقاً لكل منشورات (مكتبة النجاح)، ومن الجليّ أيضاً أنّ جهدها في جلب الكتاب وخدمة القراء والدارسين، أكثرُ ظهوراً وأعمقُ تأثيراً من مساهمتها المحدودة في حركة النشر (والفارق جليٌّ بين مهمّتي التوزيع / والنشر)، وقد أدرجتُ في القائمة التالية أولاً ما وردت الإشارة إليه من منشوراتها (1 - 21) في الببليوغرافية الرسمية

(1) د. فوزية بريون، مقالاتها الإلكترونية، المشار إليها أعلاه .

(2) انظر: محمود محمد الطناحي "أوائل المطبوعات العربية في مصر"، ضمن: ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، أبوظبي: المجمع الثقافي، 1996، ص 353 - 438، وخاصة ص 422 - 424.

وفق تسلسل أعدادها. ويمكن الوقوف على بعض منشوراتها في المكتبات العامة هنا وهناك، كما أتاح لي الشاب الكريم محمد الصيد بريون (نجل الكُتبي الفقيه) - وله جزيل الشكر - أن أقف أيضاً على عَيِّنَةٍ أخرى من منشوراتها، وجلَّها في التصوف، فأدرجت بعضها فيما يلي من تتمة القائمة. وقد علمتُ منه خلال هذا اللقاء أيضاً بأنَّ مكتبة والده حاولت استئناف نشاطها بشكل خفيف خلال التسعينيات، كما سنرى في بعض العناوين التالية، غير أنَّها لم يُقدَّر لها أن تعود إلى ما كانت عليه⁽¹⁾:

1 - أبو عبد الرحمن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، طرابلس: مكتبة النجاح، 1967، 6 م. [ر.م 54].

2 - أبو عبد الله محمد بن يوسف العبدري، التاج والإكليل لمختصر خليل، طرابلس: مكتبة النجاح، 1967، 6 م. (الكتاب المذكور مطبوع في هامش كتاب "مواهب الجليل لشرح مختصر خليل" لأبي عبد الرحمن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب). [55].

⁽¹⁾ المنشورات (1 - 13) عن: الببليوغرافية الوطنية الليبية، الجزء الثاني: الكتب والتقارير والبحوث (1971 - 1951). طرابلس: إدارة المراكز الثقافية القومية - بوزارة الأعلام والثقافة، 1392هـ/ 1972م، وهو عدد افتتاحي لحصر ما تقدم من المنشورات خلال الفترة المذكورة، وقد أدرجت منشورات مكتبة النجاح أعلاه وفق السنوات، مع الإشارة في نهاية كل عنوان إلى رقمه المسلسل في الأصل. في حين أخذتُ ما يليها (14 - 21) عن أعداد السنوات اللاحقة من الببليوغرافية العربية الليبية. أمَّا بقية القائمة (22 - 30) فقد وقفتُ عليها عياناً وأخذتها مباشرة من كل كتاب.

- 3 - محمد عبد الرزاق مناع، الشامل في اللغة الإنجليزية، طرابلس: مكتبة النجاح، 1967، 160 ص. [ر.م 1653].
- 4 - أحمد عبد الرحمن الساعاتي، تنوير الأفتدة الذكية في أدلة أفكار الأدلة أفكار الطريقة الزُّروقيّة، طرابلس: مكتبة النجاح، 1968، 24 ص. [ر.م 81].
- 5 - علي أمين سيالة، عقيدة الأكابر المقتبسة من أحزاب وصلوات للشيخ عبد القادر الجيلاني، طرابلس: مكتبة النجاح، 1968، 15 ص [ر.م 83].
- 6 - إسحاق إبراهيم المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، طرابلس: مكتبة النجاح، 1969، 621 ص. [ر.م 1653].
- 7 - أحمد زُرُوق، حكم ابن عطاء الله، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، طرابلس: مكتبة النجاح، 1969، 476 ص. [ر.م 19].
- 8 - عثمان طاهر المصري، الإسلام عقيدة وسلوك، طرابلس: مكتبة النجاح، 1390هـ/ 1970م، 96 ص. [ر.م 29].
- 9 - منصور محمد محمد عويس، في الوعظ والتربية، طرابلس: مكتبة النجاح، 1970، 199 ص. [ر.م 34].
- 10 - عبد القادر زكي، النفحة العلية في أورد الشاذلية، ط 2 طرابلس: مكتبة النجاح، 1971، 264 ص. [ر.م 82].
- 11 - محمد عبد الرزاق مناع، الوسيط في اللغة الإنجليزية، ط 2 طرابلس: مكتبة النجاح، 1971، 172 ص. [ر.م 1660].

12 - محمد عبد الرزاق مناع، المرشد في تعليم اللغة الإنجليزية، د. ت،
118 ص. [ر.م 1656].

13 - محمد عبد الرزاق مناع، المفيد في اللغة الإنجليزية، ط 4 طرابلس:
مكتبة النجاح، د.ت، 159 ص. [1658].

* * *

14 - عبد الله أحمد السيد، الإمام مالك ابن أنس، طرابلس، مكتبة
النجاح، 1972، 46 ص.

15 - عبد الله أحمد السيد، فاتح إفريقية عقبة بن نافع، طرابلس، مكتبة
النجاح، 1972، 47 ص.

16 - علي أمين سيالة، الدروس الأساسية للناشئة الإسلامية. 3 ج،
طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 52 ص. [البليوغرافية 1974].

17 - أبو القاسم بن محمد بن أحمد التواتي، مرجع المشكلات في
الاعتقادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك، شرح عبد الله
العلوي المراكشي. ط 2. طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 180 ص.
[البليوغرافية 1975].

18 - محمد بن سليمان الجزولي، الحزب الكبير الموسوم، سبحان الدايم لا
يزول، أخذه عنه محمد بن عيسى، به شرح محمد بن إبراهيم المراكشي،
طرابلس، مكتبة النجاح، 1975، 94 ص.

19 - عبد اللطيف مفتاح سويدي، قواعد الإملاء العربية. طرابلس، مكتبة النجاح، 1975، 72 ص.

20 - زروق: أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الطرابلسي، المعروف بزروق (846 - 899هـ)، كتاب مختصر النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية. طرابلس، مكتبة النجاح، (د. ت) 86 ص. اختصر من نصيحته الكبرى لمن يريد العمل على خلاص نفسه دنيا وأخرى. [الببليوغرافية 1976].

21 - عبد السلام الأسمر: عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن محمد بن حميد بن عمران بن محيا بن سليمان بن سالم بن خليفة بن نبيل السعيد المغربي المخزومي القرشي، المعروف بعبد السلام الأسمر (880 - 981هـ). الوصية الكبرى. طرابلس، مكتبة النجاح، 1396هـ / 1976م. 135 ص، 24 سم.

* * *

22 - أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي [كذا على الغلاف - وفي المقدمة أحمد زروق]، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ضبط وتعليق إبراهيم اليعقوبي، طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 127 ص. [من القطع الصغير، وخاتمة الطبع سنة 1968. وعلى الغلاف: يُطلب من مكتبة النجاح. وفي آخره: التزم طبعه خادم العلم الشرعي الشريف خالد عبد الرحمن العك].

23 - محمد عlish، شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل،
وبهامشه حاشية المسماة تسهيل منح الجليل، طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت.
ج 1 (780 ص) ج 2 (753 ص) ج 3 (834 ص) ج 4 (771 ص). [مصورة
عن طبعة قديمة بالقاهرة سنة 1294هـ].

24 - يوسف بن إسماعيل النبھاني، سعادة الدارين في الصلاة على سيّد
الكونين، طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 720 ص. [مع ملحق مستدرك
بصفحات مستقلة - مصورة عن طبعة المؤلف سنة 1318هـ في عهد السلطان
عبد الحميد الثاني كما جاء في آخرها].

25 - عبد القادر زكي (المهندس الرياضي بنظارة الأشغال العمومية)،
النفحة العلية في أورد الشاذلية، الطبعة الثانية، طرابلس، مكتبة النجاح، د.
ت. 264 ص. [مصورة عن طبعة قديمة، 1322هـ. وفي الكتاب ترجمة للشيخ
محمد ظافر المدني المولود بمصراتة سنة 1244هـ والمتوفى باستانبول سنة
1321هـ، بقلم صديقه ومريده الشيخ محمد المكي نزيل استانبول آنذاك].

26 - إسماعيل المدني، أدل الخيرات في الصلاة والسلام على سيّد السادات،
طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 219 ص. [مصورة عن طبعة عتيقة غير
مؤرخة].

27 - عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، طرابلس، مكتبة النجاح،
د. ت. 381 ص.

[مصوّرة عن طبعةٍ عتيقة بالمطبعة التونسية الرسمية سنة 1304 - 1305هـ. والكتاب مجموع يضمُّ عدة شروح وتعليقات (على بعض نصوص عبد القادر الجيلاني) للشيخ محمد المنلا، والشيخ محمد الأمين الكيلاني، وعدة قصائد وأمداح قيلت فيه من بعض مريديه. وفي هذا الكتاب نصوص كثيرة من النظم الذي تتخلله مقطوعات عديدة من النظم الشعبي، ويُسبق كل مقطع منه بلفظة (عروبي)؛ ويبدو أنَّ القصد بها (ملحون) لتمييزه عن الفصح، وقد تفيد هذه النصوص دارسي الأدب الشعبي التونسي - على وجه الخصوص].

28 - جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي، مولد الإمام البرزنجي المسمى عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر، تعليق فتحي مختار بن عيسى، طرابلس، مكتبة النجاح، 1998، 31 ص.

29 - أحمد البهلول، ديوان البهلول المسمى: ديوان الدر الأصفى والزبرجد المصقّى في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، تقديم أحمد القطعاني، طرابلس، مكتبة النجاح، 1999، 117 ص.

30 - محمد بن محمد المبارك الفتحي المراكشي المالكي، الحبل المتين شرح ابن عاشر المسمى: بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين في مذهب الإمام مالك، طرابلس، مكتبة النجاح، د. ت. 170 ص. [من القطع الصغير، وفي آخره أنَّ مؤلفه: المؤقت بالمسجد الأعظم اليوسفي بمراكش، وكان الفراغ منه يوم الأربعاء 7 رمضان 1343هـ].

(8)

مكتبة النجاح وتاريخ ليبيا الثقافي

تستوقفنا في هذا السياق - على وجه الخصوص - بضعة أعمال من منشورات (مكتبة النجاح) تتصل بتاريخ ليبيا الثقافي، ويبدو أنّ الأستاذ الشيخ محمد بريون - رحمه الله تعالى - قد أراد إظهار المزيد من الحرص على الاضطلاع بالمساهمة الممكنة في خدمة تراث بلاده، من خلال إعادة نشرها بالتصوير أو في طبعة أخرى وإتاحتها للقراء والدارسين. وقد وقفت في هذه الأعمال على بعض الملاحظات النقدية التي ينبغي إدراجها في الفقرات / العناوين التالية، حرصاً على مزيد من الضبط والتوثيق لمعطيات تاريخنا الثقافي، دون أدنى توجّه للمساس بشخصه الكريم أو التقليل من جهده وصدق عطائه.

(1-8)

مواهب الجليل لشرح مختصر خليل

لأسرة الخطاب العلمية الأندلسية مهجران متتاليان في المغرب (طرابلس / تاجوراء)، والمشرق (مكة المكرمة)؛ وهو ما دفع إلى الخلط بينهما في تاريخنا الثقافي في بعض المصادر اللاحقة. وقد غدا محمد بن محمد الخطاب (952 - 954هـ) الذي لم يتجاوز (الثانية والخمسين) أحد أئمة المالكية بمكة المكرمة وأبرز علماء الأسرة، وتعدّدت آثاره في مختلف العلوم والفنون، ومن أبرزها شرحه الفقهي المشهور (مواهب الجليل لشرح مختصر خليل) الذي يقع في أربعة أجزاء. غير أنّه مع هذه المكانة العالية التي حظي بها بين أعلام المذهب

المالكي في العصر الحديث، لم تُضبط ترجمته بدقّة، وظلّت نسبته – منذ نهاية القرن التاسع عشر – موزّعة بين طرابلس الغرب ومكة المكرمة. وواقع الأمر أنّ المؤرخ أحمد النائب الأنصاري قد أقحمه في كتابه (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) الذي أصدره باستانبول سنة 1317هـ (1899م)، ضمن تراجم عديدة لعلماء آخرين لا صلة لهم بليبيا وتاريخها الثقافي. وقد تابع صنع الأنصاري في نسبة الشيخ الخطاب إلى طرابلس أيضاً إسماعيل باشا البغدادي في (هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، 1955)، وجدّد الأستاذ علي مصطفى المصراقي صياغة الترجمة، انسياقاً وراء الأنصاري كذلك، في كتابه المبكر (أعلام من طرابلس، 1956)، وشاعت نسبته إليها في الأعمال التالية لدى: الشيخ الطاهر أحمد الزاوي في (أعلام ليبيا، 1961)، والدكتور أحمد مختار عمر في (النشاط الثقافي في ليبيا، 1971)، وفي (دليل المؤلفين العرب الليبيين، 1977)، ولدى الأستاذ عبد السلام محمد الشريف في تحقيق كتاب (تحرير الكلام في مسائل الالتزام، 1984) للفقيه الخطاب نفسه. وقال بوفاته بطرابلس الغرب الزركلي في (الأعلام) أيضاً اعتماداً على المنهل العذب، وتابعه كحالة في (معجم المؤلفين).

وخلال هذه الفترة التي شاعت فيها نسبته إلى طرابلس بادرت (مكتبة النجاح) إلى العناية بإصدار طبعة مصوّرة [سنة 1967]⁽¹⁾ لكتابه (مواهب

⁽¹⁾ وفق الببليوغرافية الوطنية الليبية (1951 – 1971) كما تقدم بين منشورات المكتبة أعلاه.

الجليل لشرح مختصر خليل) انسياقاً وراء هذه النسبة غير المحققة، وجعلت اسمه على غلافها الجديد: (محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب). وقد ظللت سنوات عديدة (2003 - 2013) أتطلعُ بحرص إلى الوقوف على الطبعة الأصلية للكتاب المنجزة بالقاهرة قبل أكثر من قرن، مرجّحاً بثقةٍ استناداً إلى ما تجمّع لديّ من المعطيات والقرائن، أنّ نسبة (الطرابلسي) في اسم المؤلف على غلاف الطبعة المصوّرة لمكتبة النجاح (مقحمة) منها حديثاً، انسياقاً وراء ما شاع في الأعمال السابقة المشار إليها أعلاه، ويبعد - فيما أرى - أن تكون طبق الأصل، كما ساهمت هذه الطبعة المصوّرة نفسها في شيوع هذه النسبة لدى عامة القراء والدارسين.

وقد عُنيبت بتصحيح هذا الخطأ في تاريخنا الثقافي، في نبذة موجزة ضمن دراسة أعم عن الأستاذ (علي مصطفى المصراقي وتاريخ ليبيا الثقافي) سنة (1992)⁽¹⁾، كما عدتُ إليها بمقالة مستقلة عند انعقاد ندوة (مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية) خلال سنة (2003)⁽²⁾. وفي هذه المساهمة المتواضعة عن (الكتبي المعاصر محمد بريون ومكتبة النجاح) سنة (2013) أعود من جديد (للمرة الثالثة) إلى هذه المسألة / الإشكالية؛ لصلتها بتاريخ ليبيا الثقافي. وقد تحقق ما كنت أرجّحه إذ وقفتُ اليوم - بحمد الله تعالى - على

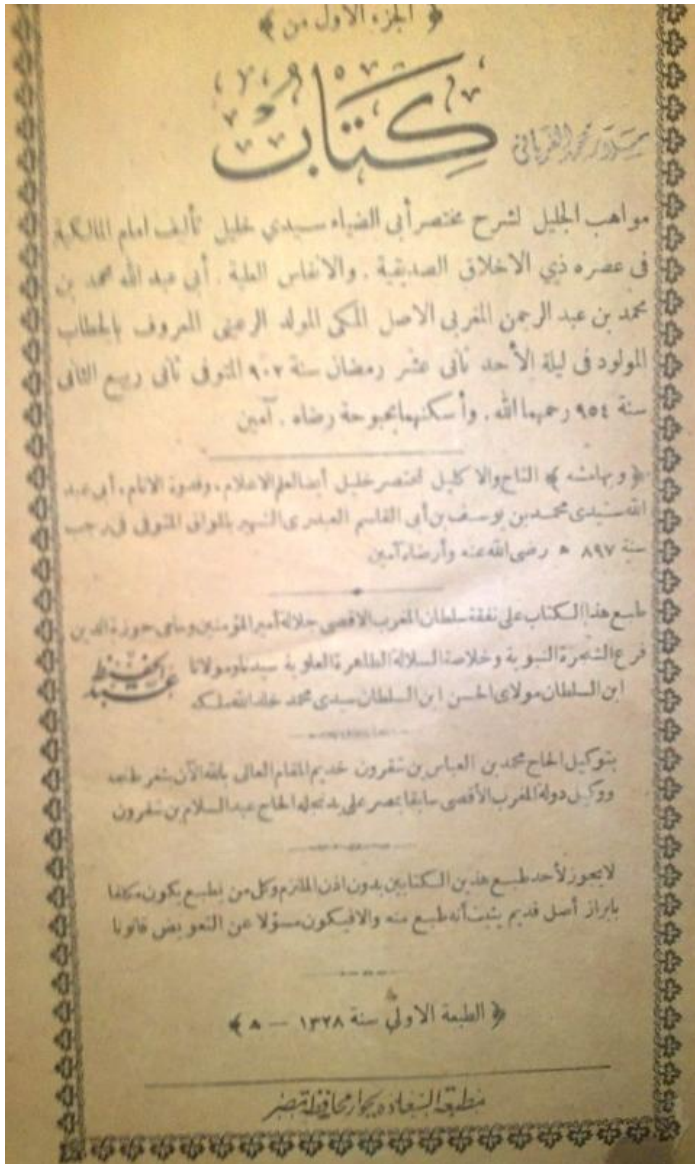
(1) عمار جحيدر، "علي مصطفى المصراقي وتاريخ ليبيا الثقافي: تحية وقراءة نقدية"، مجلة الفصول الأربعة (1992).

(2) عمار جحيدر، "الفقيه الميّي المالكي محمد بن محمد الحطاب 902 - 954هـ / 1497 - 1547م" ضمن ندوة: مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية: بحوث ودراسات، إعداد أ. د. أبو بكر أحمد باقادر، الرياض: وزارة الحج، 1424هـ / 2003، ص 475 - 488.

نسخة من تلك الطبعة الأصلية (القاهرة 1328 - 1329هـ)⁽¹⁾، وعلى صفحة غلافها بيانات مطوّلة على الطريقة السائدة في الطباعة القديمة⁽²⁾. وبالعودة إليها تبينّ جلياً أنّ مكتبة النجاح قد أقحمت على صفحة الغلاف الجديد في طبعتها المصوّرة - كما ترى - نسبته (الطرابلسي)، كما تلتها (المغربي) بإطلاق، بدلاً من (المغربي الأصل)، والدالتان مختلفتان - كما لا يخفى. وقد جاءت هذه المراجعات المتتالية، على مدى عشرين عاماً (1992 - 2013)؛ حرصاً على مزيدٍ من التوثيق النقدي لهذه المسألة، وتصحيحاً لنسبةٍ وهميةٍ شائعة، تطاول عليها الأمد، منذ أكثر من قرن، وينبغي أن تُرفع من الأذهان كما رُفعت تلك النسبة الوهمية الماثلة لابن منظور إلى طرابلس الغرب بعد أن طال الجدل حولها سنين عديدة.

(1) - وقفت على هذه النسخة لدى الأخ الفاضل الدكتور محمود سلامة الغرياني (مساء الأحد 3 - 3 - 2013)، وهي من مكتبة والده الشيخ الجليل سلامة محمد الغرياني (1932 - 2013) الذي انتقل إلى جوار ربه منذ بضعة أيام - تغمّده الله بواسع رحمته ورضوانه. وهو من خريجي الدفعة الأولى (1962) لكلية الشريعة - بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية بمدينة البيضاء. وعلى غلاف نسخته الداخلي الختم التالي: (المكتبة الطرابلسية لصاحبها محمد مختار شرف الدين بطرابلس الغرب زفّة الفريدة، ص ب 254. تلفون 2864)، وهي إحدى مكتبات مدينة طرابلس القديمة. وقد كنت أتطلع إلى الوقوف على هذه الطبعة في القاهرة أو تونس أو غيرهما من مظان الطباعات العتيقة، غير أنّ الأقدار ساقتها إليّ بعد هذا الانتظار الطويل - بحمد الله تعالى - في أقرب مكان، لا يبعد عن منزلي بتاجوراء سوى ألفي متر.

(2) - انظر اللوحة المرفقة (صفحة الغلاف)، وقد جاء عليها: (كتاب مواهب الجليل لشرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل ، تأليف إمام المالكية في عصره ذي الأخلاف الصديقية والأنفاس العلية أبي عبد الله محمد بن محمد عبد الرحمن ، المغربي الأصل ، المكي المولد، الرعيني المعروف بالخطاب، المولود في ليلة الأحد ثاني عشر رمضان سنة 902، المتوفى ثاني ربيع الثاني سنة 954 - رحمهما الله ، وأسكنهما محبوبحة رضا، أمين) .



غلاف الطبعة الأصلية، وعلى هذه النسخة ختم المرحوم الشيخ
سلامة محمد الغرياني



ختم المكتبة الطرابلسية

* * *

كما وقفتُ أخيراً في (الانترنت) عند انشغالي بإعداد هذه المساهمة، على مقالةٍ مركزةٍ للباحث المؤرخ الموريتاني الحسين بن محنّص، تحتفي بـ(صدور طبعةٍ جديدةٍ من مواهب الجليل بتحقيق علماء شناقطة) في أواخر سنة 2010، وسأكتفي هنا باقتباس إفادةٍ دالّةٍ من أولها تنويهاً بما بُذل من عنايةٍ جليّةٍ بهذا الكتاب الفقهي المالكي في أقصى بلاد المغرب العربي، وقد قُدّر

(لطبعة مكتبة النجاح المصورة) منه التي التقينا بها أعلاه، أن تكون أيضاً بين أصوله التي تَمَّت العودة إليها في هذه الطبعة العلمية المتقنة:

"صدرت هذه الأيام أول طبعة دولية مراجعة ومحققة ومصححة من كتاب الحطّاب (مواهب الجليل في شرح مختصر خليل) للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد الحطّاب (ت954هـ)، بجهود موريتانية مجتة، قامت بها دار الرضوان للطباعة والنشر لصاحبها رجل الأعمال أحمد سالك بن محمد الأمين بن أبوه الذي له يدٌ طولى في نشر العلم وذخائره، وأشرف على تصحيحها ومراجعتها علامة القطر وجهبهذه الشيخ محمد سالم بن الشيخ محمد عالي بن عدود - تغمّده الله برحمته... وتعتبر هذه الطبعة التي صدرت في سبع مجلدات فاخرة وأنيقة أول طبعة لهذا الكتاب الفريد، الذي لقي من احتفاء العلماء ما لم يلقه أيُّ شرح آخر لمختصر الشيخ خليل، تصدر محققة ومنقّحة وموثّقة على يد فريق من الباحثين والأعلام في مقدمتهم العالم الفقيه الأستاذ اليدالي ولد الحاج أحمد، ومقروءة ومراجعة ومصححة من قبل الشيخ محمد سالم ولد عدود في 20 شهراً خصّص فيها الشيخ 82 مجلساً مطوّلاً لهذا العمل، الذي كانت ثمرته تصحيح ما يقارب اثني عشر ألف خطأ (11846 تحديداً) في النسخ المتداولة، بعد الرجوع إلى مختلف الطباعات الموجودة (طبغات دار السعادة، ومكتبة النجاح، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية)، وبعد الرجوع إلى المصادر التي رجع إليها المؤلف، والاعتماد على أربع نسخ من طبعة دار السعادة التي طُبعت قبل قرن ونيف، بعناية من السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ، حصل عليها أربعة من كبار شيوخ البلاد وعكفوا عليها استدراكا وتصحيحا، وهم...، وعلى ست نسخ خطية... الخ" (1).

(1) الحسين بن محنض [موريتانيا]، مقالته الإلكترونية، المشار إليها أعلاه.

(2 - 8)

تنقيح روضة الأزهار

يُعَدُّ كتاب (روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع بعض مناقب صاحب الطار) أبرز كتب المناقب في المكتبة الليبية، والمصدر الأم الموسَّع لما كُتِبَ بعده عن الشيخ عبد السلام الأسمر وطريقته وأسرته وتلاميذه. وقد وضعه تلميذه كريم الدين البرموني الذي وفد والده من مصر واقترب بأمِّه من أسرة بن شتوان في مصراته، فولد المؤلف بها سنة (893هـ)، وكانت وفاته بعد الفراغ من (تأليف كتابه 1005هـ)، أي أنَّه يُعَدُّ كأستاذ عبد السلام الأسمر (880 - 981هـ) من رجال القرن (10هـ / 16م). وينبغي أن يقف القارئ الكريم أولاً على محتوى مخطوطة البرموني كما بيَّنه في أولها بقوله:

"وقد رتَّبت كتابي هذا على خمسة فصول وخاتمة ومقدمة:

المقدمة: في تسمية الكتاب وفي تعريف مذهب الشيخ واعتقاده وطريقته ونحو ذلك.

الفصل الأول: في نسبه وتعريف قبيلته وذكر شيء من أحوال والديه وصفته ولباسه.

الفصل الثاني: في تبشير الخواص من الأولياء به قبل ظهوره ومولده وابتداء أمره، وأخذه عن شيخه، وذكر بعض أحوال شيخه، وذكر بعض إخوان شيخه من الشيخ⁽¹⁾، ورحلته من البلد إلى الساحل، ثم إلى مدينة طرابلس، ثم إلى جبل

(1) هذه العبارة قد تكون ملتبسة الدلالة لدى بعض القراء، ويعنون بها - في خطابهم المناقب - أخوة التلمذة على شيخ واحد.

غريان، وفيما وقع له من الحسدة، ثم في انتقاله إلى القلعة ورجوعه منها إلى تاورغا، ثم إلى مصراته، ثم إلى زليتن ومكثه بها، وفيما وقع له مع الفقيه مبارك وابن عمه سالم الشهير بالمباركي (كذا)، وما يناسب ذلك من الدلائل والحكايات والأشعار والمقطّعات.

الفصل الثالث: في ذكر (شيء) من مناقبه ووفاته واستخلافه لسيدي عمر بن محمد بن حمودة الشهير بابن جحا، وشطحته ورويته (كذا) وما يناسب ذلك من الأدلة وكلام القوم.

الفصل الرابع: في ذكر البعض من نصائحه لأصحابه.

الفصل الخامس: في ذكر عدّة أولاد صلبه، وبعض من مات من أصحابه النقباء المنشدين لكلامه، وتعريف نسب أصحابه وأماكنهم وقبورهم وتاريخ موتهم، وفي ذكر شيء من أحوالهم - رضي الله عنهم ونفعنا الله بهم". وفي آخر المخطوطة: "خاتمة: وأسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة - أذكر فيها ابتداء أمرنا وبعض مشايخنا".

وخلاصة القول إنّ هذه المخطوطة المناقبية الشهيرة التي ضمت العديد من التراجم (وخاصة في الفصل الخامس) قد كانت مصدراً بارزاً لبعض الأعمال التالية في هذا السياق المناقبى من تاريخنا الثقافى؛ ومنها:

- مخطوطة (فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم) لحفيده الفقيه الصوفي المؤرخ عبد السلام بن عثمان التاجوري.
- ورحلة محمد ظافر المدني المفقودة.
- وكتاب (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) للمؤرخ أحمد النائب

الأنصاري.

ويأتي عمل الفقيه المؤرخ التونسي محمد مخلوف (نحو 1280 – 1360هـ/ 1864 – 1941م)⁽¹⁾ الأخير تقريباً بين القدامى المعنيين بكتاب (روضة الأزهار) للبرموني، والاستفادة منه مخطوطاً قبل أن ينشر، وقد عُني بتنقيحه واختصاره بعنوان (تنقيح روضة الأزهار...)، كما سَمَّى عمله هذا (مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم). ويبدو أنه لم يلتزم بالأصل التزاماً تاماً إذ جاء في أوله: "ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة، وفي المقدمة ثمانية مطالع لها تعلق بمقصد الكتاب، وفي المقصد خمسة وثلاثون من الأبواب في شأن أحوال الشيخ من بدايته إلى نهايته، وفي الخاتمة ترجمة بعض المشهورين من مشايخه وتلامذته"⁽²⁾. وقد شرع في تلخيصه سنة 1324هـ، وفرغ منه سنة 1332هـ⁽³⁾، وطبع الكتاب قديماً بتونس كما جاء في ترجمة المؤلف⁽⁴⁾.

وأودُّ أن أخصّه هنا بهذه اللوحة الموجزة لصلته بنشاط (مكتبة النجاح) الليبية التي بادرت إلى إعادة طبعه في القاهرة لحسابها، ومن الجلي أن هذه المبادرة تدرج أيضاً ضمن عناية المكتبة بتاريخ ليبيا الثقافي، ونشر بعض

(1) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1405هـ/ 1985م، ج 4 ص 257 – 262.

(2) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، ص 3.

(3) المصدر نفسه، ص 261.

(4) محمد محفوظ، نفس المصدر، ص 292.

نصوصه المتعلقة بالتراث الفقهي والصوفي المناقبي على وجه الخصوص، وكان تكوين صاحبها الأستاذ الشيخ محمد بريون وميوله الثقافية وراء هذا التوجه والاختيار. وقد اُخْتِمْ كتاب (الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية) لأبي زيد العياشي الذي أُلْحِقَ في هذه الطبعة نفسها لتنقيح روضة الأزهار، بالإفادة الختامية التالية التي يبدو أنها تتابع ما كان شائعاً في الطباعة القديمة:

"نَمَتْ هذه الطبعة "الطبعة الثانية" من شرح الوظيفة الزروقية المباركة هذه، ومن كتاب [تنقيح] روضة الأزهار المطبوع معها أولاً قبلها في المطبعة اليوسفية بالقاهرة على ذمة مكتبة النجاح بليبيا لصاحبها السيد المكرّم محمد بريوني [كذا] في شهر محرم من سنة 1386هـ/ 1966م، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نبينا المبعوث رحمة للعالمين كافة الخ"⁽¹⁾. في حين جاء على الغلاف أنَّ (الناشر: المكتبة الثقافية، في بيروت).

وينبغي التنبيه هنا أولاً إلى خطأ طباعي فادح جاء سهواً في هذه الطبعة الجامعة للكتابين المنفصلين في (مطبوع مجموع) تتصل أرقام صفحاته دون فصل بينها؛ فقد انزلت هنا سهواً - بسبب تشابه الأرقام - صفحتان من الكتاب أو النص الأول (تنقيح روضة الأزهار 237 - 238) إلى الموضع الذي يشبه رقميهما في الكتاب الثاني (شرح الوظيفة الزروقية 337 - 338)، في حين قُدمت هاتان الصفحتان من الكتاب الثاني إلى الكتاب الأول، فكأنَّه (سهوٌ مرگبٌ ! وجلٌ من لا يسهو سبحانه)، وبذلك اضطرب الكتابان معاً، واختلَّ

(1) تنقيح روضة الأزهار - ويليهِ الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية، ص 364.

سياق النص وانقطع في كليهما، وقد وقفتُ على هذا الخطأ أخيراً عند إعداد هذه الخلاصة عن طبعة مكتبة النجاح المشتركة للكتاب (المجموع).⁽¹⁾

وسأكتفي في هذه الخلاصة المحدودة بالإشارة إلى رؤوس التراجم الواردة في (تنقيح روضة الأزهار) من خلال الطبعة المنجزة على ذمة مكتبة النجاح كما تقدم في وصفها، وهذه التراجم مدرجةٌ فيه بتصرُّف واختصار، وتتوزَّع بين بعض شيوخ عبد السلام الأسمر، وبعض أولاده، وتلاميذه. وقد وقفتُ سنة (2006) على نسخةٍ مخطوطة مبتورة الوسط من (روضة الأزهار) للبرموني في مكتبة (مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية) بالدار البيضاء، وتعذر عليَّ آنذاك تصويرها، فاستخرجتُ منها في (الكُنَّاش المعتاد) المصاحب، قائمة لتراجم تلاميذه، وعدتُ إليها اليوم للمقارنة في القائمة المدرجة أدناه لهم من مختصر محمد مخلوف. واللافت للنظر في هذا المقام أنَّ بعض تراجم تلاميذه - وهم من رجال القرن (10هـ/ 16م) قد أدرجها المؤرخ أحمد النائب الأنصاري في نفحات النسرین والمنهل العذب، فغدت متداولة عن طريقهما عند القراء والدارسين.

(أ) - بعض شيوخ عبد السلام الأسمر⁽²⁾ :

(البعض بواسطة البعض بدونها): إذ أنَّ بعضهم سابق على عصره.

(1) الكتاب (المجموع) : الذي يضمُّ عدَّة عناوين أو أبحاث منفصلة، في حين ينصرف

الكتاب (المستقل) إلى معالجة موضوع واحد، وإن تعدَّدت فصوله .

(2) تنقيح روضة الأزهار، ص 234 - 246.

- 1 - أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ).
- 2 - أحمد بن عروس.
- 3 - عبد الواحد الدوكالي : (وهو من القرن التاسع وعاصر أهل القرن العاشر).
- 4 - فتح الله أبوراس القيرواني : "فرَّ هو وجماعته إلى طرابلس، ومات ببرنو من بلاد السودان".
- 5 - أحمد أبو تليس القيرواني : "وصل إلى بني وليد ومكث بها بضعة سنين ثم رجع إلى القيروان ومات هناك".
- 6 - أبوراوي الفحل : "توفي بسوسة 931هـ".
- 7 - أحمد زرُّوق : (846 - 899هـ).
- 8 - شمس الدين اللقاني : (857 - ...هـ).
- 9 - ناصر الدين اللقاني : (873 - 958هـ).
- (ب) - بعض أولاد عبد السلام الأسمر⁽¹⁾ :
(عن فتح العليم لعبد السلام بن عثمان التاجوري)
- 1 - عمران : "قتل في سوق بلد أولاد غيث سنة 995هـ، ودفن بالمقبرة التي هي قرب الزاوية المشهورة به الآن".
- 2 - أحمد بن عروس : "مات قبل والده وهو المقبور بعزيرة من بلد مصراتة".
- 3 - أبوفارس : "المقبور بساحل حامد قرب حسنون".

(1) المصدر نفسه، ص 231 - 233.

4 - عبد الحميد الصغير : "المقبور عند سيدي عمران جد مولانا عبد السلام".

5 - حمودة : "المقبور بمصراتة في موضع يعرف بالمسورة".

6 - أبو القاسم : "مات بعد والده ودفن بمقبرة أولاد سليمان بالقرب من قبر أخيه عبد الوهاب".

7 - عبد الوهاب : "جدُّ عبد السلام بن عثمان صاحب فتح العليم المنقول عنه، مات بالطاعون سنة 1030هـ".

(ج) - بعض تلاميذ عبد السلام الأسمر⁽¹⁾ :

1 - سالم السنهوري - المصري (ت 1015هـ): "ودفن بمقبرة المجاورين وعمره نحو السبعين". وفي مخطوطة الدار البيضاء: "فأولهم الشيخ عمر بن محمد بن حمودة" المذكور أدناه.

2 - عمر بن محمد بن حمودة الطرابلسي مولداً وداراً المخزومي نسباً المعروف بابن جحا (902 - 999هـ): "رحل إلى تونس ومات بها ودفن بموضع قريب من قرية تعرف بالداموس من حيز عمل المنستير".

3 - محمد بن عبد النبي الجبالي (ت 998هـ): "توفي بجبل أبي ماضي".

4 - صالح بن مبارك الغيثي (989هـ): "دفن بتنازفت".

5 - أبو حميدة ابن عبد الرحمن السقفي الشهير بالبعاج (903 - 999هـ): "توفي ببلاد القواسم".

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 246 - 260.

- 6 - أحمد ابن مدين السقفي الشهير بالترجمان ابن شعيب الشهير بالزين الخ (عاش 114 عاماً؟). وفي مخطوطة الدار البيضاء أنّ تاريخ وفاته (989هـ).
- 7 - علي بن محمد البشت (ت 997هـ): "دفن بالقرب من ضريح جده البشت".
- 8 - أحمد أبوقطاية - شقيق المذكور (ت 996هـ): "دفن بالرحاب الغربي بمسجد جده".
- 9 - خليفة بن عبد الله الشايبي ابن عبد العاطي (904 - 987هـ): "دفن بتليل قرب ضريح سيدي أبوعجيلة".
- 10 - عبد الحميد الشهير بضي الهلال ابن عبد الله الكمودي (905 - 991هـ): "دفن بإزاء مسجده الذي أسّسه في حيّ الزاوية الغربية".
- 11 - أحمد بن عبد الله الكمودي - شقيق المذكور (ت 984هـ): "دفن بالروضة مع أبويه قرب مسجد أبيه بالزاوية الغربية".
- 12 - عبد الرحمن بن علي المكي (ت 998هـ): "دفن بالبقيع".
- 13 - يوسف بن محفوظ بن عباس المليلي (ت 989هـ): "دفن ببلاد الطابية ما بين جنزور والزاوية الغربية". والاسم في مخطوطة الدار البيضاء: "علي بن يوسف المحفوظي".
- 14 - سالم بن طاهر يُدعى ابن نفسية الأنصاري (ت 999هـ): "دفن بزلتين".
- 15 - عمر بن عبد الرحمن الشهير بالقريوي المخزومي (906 - 999هـ): "دفن بالصابرية".

- 16 - محمد بن علي السملقي البرمكي نسبة (907 - 988هـ): "دفن بإزاء جامع بلوثة". وفي مخطوطة الدار البيضاء: "المقبور بالصابرية".
- 17 - سالم بن علي السملقي - شقيق المذكور (888 - 996هـ): "دفن بالحشان وهو أكبر سنّاً من أخيه المذكور". وفي مخطوطة الدار البيضاء أنّ وفاته سنة (999هـ).
- 18 - شعبان بن عثمان بن يوسف أبوغرة (903 - 997هـ): "ينتمي نسبه لسيدنا عمر - رضي الله عنه".
- 19 - محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب (904 - 954هـ): "دفن بمكة". صواب مولده (902هـ) كما تقدم أعلاه.
- 20 - استطرد إلى والده: محمد بن عبد الرحمن الرعيني الشهير بالخطاب الكبير الأندلسي أصلاً الطرابلسي مولداً (861 - 945هـ): "دفن بزاويته بتاجوراء". وصوابه أنّ دفن تاجوراء عمّه كما تقدم أعلاه.
- 21 - محمد أبوطبل (885 - 987هـ): "دفن بوادي بني وليد". وفي مخطوطة الدار البيضاء: "محمود أبوطبل".
- 22 - أحمد الشهير ببحر السماح ابن عبد الحميد بن إسماعيل بن قاسم بن عبد الحميد بن محمد يربوع (ت 979هـ): "دفن بجانب ديله من حيّ الزاوية الغربية".
- 23 - علي ابن أبي عجيلة (ت 989هـ): "دفن بتربة جدّه أبي عجيلة ببلد تليل".

- 24 - راشد ابن أبي زيد العجيلي (؟): "دفن بزاوية جدّه". وفي مخطوطة الدار البيضاء أنّه قتل سنة (987هـ).
- 25 - العاقب بن محمود بن أقيت الصنهاجي نسباً التنبكتي داراً أو قبراً (923 - 991هـ).
- 26 - إبراهيم بن علي العوسجي (914 - 998هـ): "دفن بعوسجة الجديدة التي هي من حيّ الزاوية الغربية". وفي مخطوطة الدار البيضاء أنّه ولد سنة (904هـ).
- 27 - عبد الحميد بن علي العوسجي - شقيق المذكور (914 - 979هـ): "دفن بالروضة المقبور بها والده". وفي مخطوطة الدار البيضاء أنّ وفاته سنة (999هـ).
- 28 - كريم الدين البرموني - صاحب الأصل: روضة الأزهار (893 - كان حياً بمكة سنة 998هـ): "ولد بمصراته ووالده عائشة بنت عبد الرحمن ابن شتوان". [فرغ من كتابه سنة 1005هـ].
- 29 - واستطرد المؤلف محمد مخلوف أيضاً إلى ترجمة عبد السلام بن عثمان [التاجوري]: "صاحب فتح العليم حيث كثر النقل عنه أثناء هذا الكتاب".
- وقد وُجّه الكثير من النقد إلى ما نقف عليه من ضروب التهافت في روضة الأزهار وغيره من كتب المناقب العديدة التي شاعت وتعدّدت مع انتشار (التصوف الطريقي) في القرون الأخيرة التي تسفّ نصوصها أحياناً إلى (وهدة الخرافة). ولكنّ هذا الضعف الظاهر لا يعني خلو كتب المناقب من عناصر

متعددة من مادة التاريخ الثقافي التي تأتي في مقدمتها التراجم العديدة المتنوعة المتفاوتة حجماً وعمقاً، كما تُعدُّ كتب المناقب مع غيرها من النصوص الشعبية الماثلة من المصادر المفيدة أيضاً في دراسة اللهجة، إذ يعتمد واضعوها أحياناً إلى تبسيط العبارة، حرصاً على الدائرة الواسعة من المريدين والأتباع.

وقد عُني الأخ الفاضل العالم الأديب الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة أخيراً بتحقيق روضة الأزهار وإصدارها في نشرة علمية جادة، غير أنَّ هذه النشرة القيّمة قد غابت عنها رسائل الشيخ الأسمر إلى مريديه (الفصل الرابع)، إذ بادر الأخ الفاضل الدكتور مصطفى رابعة إلى العناية بها ودراستها في عمل مستقل⁽¹⁾. كما ترك الدكتور الهرامة (الفصل الخامس) من مخطوطة روضة الأزهار، وهو الذي يضمُّ مجموعة التراجم، واكتفى - في هذه الفرصة - بتحقيق المقدمة والفصول الثلاثة الأولى، مع مقدمة دراسية ضافية، ذكر فيها النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، ومنها نسختان في ليبيا ونسخة في المغرب⁽²⁾.

(1) انظر: د. مصطفى عمران رابعة، رسائل الأسمر: عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مُريديه، (جمع وتحقيق ودراسة)، بيروت: دار المدار الإسلامي، (2003).

(2) انظر: كريم الدين البرموني، روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع بعض مناقب صاحب الطار [النص الكامل ما عدا رسائل الشيخ الأسمر إلى مريديه]، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1430هـ/ 2009م (احتفاءً بطرابلس الغرب عاصمة للثقافة الإسلامية 2007)، 832 ص.



(3 - 8)

الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات

يبدو جلياً أنّ تلك المعطيات المناقبية البارزة في (روضة الأزهار - 1005هـ) للبرموني، مع ما يظهر فيها أيضاً من الإشارات المكانية للوفيات والقبور والمدافن وما إليها، قد كانت منطلقاً موضوعياً للعمل (المناقبى / الطريقي) اللاحق لها بعد نحو قرن: (الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات) الذي أنجزه مؤلفه عبد السلام بن عثمان التاجوري في بضعة أيام سنة (1096هـ) مستخلصاً مادته الموجزة جداً من عمله المناقبى الآخر المطوّل (فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم) الذي شرع فيه قبل كتاب الإشارات، ولكنه ظلّ يعمل به بعده بضع سنوات إلى أن فرغ منه سنة (1100هـ)⁽¹⁾.

وقد عُني الدارسون الإيطاليون، خلال الفترة الاستعمارية بكتاب الإشارات مع غيره من الآثار المحلية المخطوطة الماثلة؛ للاستفادة منها في دراسة المجتمع الليبي، لمزيد من التوغّل في نسيجه الاجتماعي، أسوةً بما قام به الآخرون في مستعمراتهم المجاورة، وهو الجهد الذي اضطلع به (مكتب الدراسات) في حكومة المستعمرة. ويمكن أن نقف على عنايتهم بكتاب الإشارات - على وجه الخصوص - من خلال الخطوات التالية:

(1) انظر: عمار محمد جحيدر، "الحياة الثقافية في ليبيا - في العهد العثماني الأول: عبد السلام بن عثمان التاجوري (1058 - 1139هـ / 1648 - 1727م) وتراجم شيوخه نموذجاً"، حولية مجمع اللغة العربية (طرابلس)، العدد الرابع (2006).

(أ) - فقد عاد إليه أولاً الباحث إنريكو دي أغسطيني مخطوطاً، مع غيره من المصادر المحلية المشار إليها في الجزء الأول من كتابه (سكان ليبيا) الصادر سنة 1917⁽¹⁾.

(ب) - وعمد باحثٌ إيطالي آخر إلى نشره بعد بضع سنوات؛ إذ جاء على غلاف (الطبعة الأصلية) للكتاب: (نقله من المخطوط الطرابلسي واعتنى بمقابلته ونشره الفقير إلى رحمة ربّه الدكتور روفائيل رابكس⁽²⁾)، طبع بمطبعة الولاية على نفقة الحكومة الإيطالية في مدينة طرابلس الغرب عام 1921).

(ج) - وعُني باحثٌ ثالث، وهو أنطونيو تشيزارو، بكتاب الإشارات، وخصّه بمجهدٍ أكبر فنقله إلى الإيطالية، اعتماداً على النص المنشور، مع التقديم له، وتذييل صفحاته بالجُمّ الكثير من الحواشي المزیدة التي بلغت (569) حاشية، والفهارس المتعددة، وصدرت ترجمة الكتاب ضمن المطبوعات الرسمية أيضاً عن (مكتب الدراسات التابع لحكومة القطر الطرابلسي، العدد 2 - يناير 1933)⁽²⁾.

(1) انظر: [إنريكو] دي أغسطيني، سكان ليبيا: القسم الخاص بطرابلس الغرب، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، ط 2 ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، 1398هـ/ 1978م، ص 16، 149، 197، 412.

(2) في (دليل المؤلفين العرب الليبيين) الصادر عن دار الكتب بتقديم طاهر محمد الشويهي سنة (1397هـ/ 1977م) وهو (حصر للمؤلفين الليبيين القدامى والمعاصرين الذين توفرت معلومات عنهم، منذ الفتح الإسلامي لليبيا حتى سنة 1396هـ/ 1976م): ورد اسم الناشر الإيطالي مصحّفاً إلى "روفائيل ريكسن"، وقد أثبت الاسم في الغلاف الخلفي للكتاب بالإيطالية على النحو التالي: Dott. RAFFAELE RAPEX، ص 211.

(2) عمار جحيدر، نفس المصدر (حولية المجمع).

وقد أعانني الأستاذ الجليل علي الصادق حُسْنين، بلطفه المعهود المَظْرَد، على العودة إلى الترجمة الإيطالية والاستفادة منها في المساهمة البحثية السابقة، كما أفادني لاحقاً - وله مجدداً فائق الشكر والتقدير - بالنبذة المدوّنة التالية عن هذا الناشر المستشرق الإيطالي:

"كان الدكتور روفائيل رابكس من خريجي (المعهد الشرقي بنابولي) حيث درس اللغة العربية، أسوة بالدكتور تشيزارو [المذكور أعلاه] وشاءت الأقدار أن يلتقي الرجلان في العمل - مترجمين - بأحد دواوين حكومة ولاية طرابلس الغرب إبّان عهد الاستعمار الإيطالي في عشرينات القرن العشرين. وحيث أنّ شهادة المعهد المذكور لم تكن تؤهّل حاملها للعمل في دواوين الحكومة؛ ظلّ ذلك الشغل الشاغل للدكتور رابكس الذي كان طموحاً إلى شغل وظيفة بإحدى الوزارات؛ فقرّر في نهاية الأمر الاستقالة والعودة إلى إيطاليا حيث انتسب إلى كلية الحقوق بجامعة روما لدراسة القانون، وبعد تخرجه استطاع أن يحقق طموحه إذ تمّ توظيفه في وزارة الشؤون الخارجية، كما تمّ تعيينه قنصلاً / قاضياً بمدينة شنغهاي في الصين".

وقد بادرت (مكتبة النجاح) خلال عقد السبعينيات في سياق عنايتها بكتب المناقب ومصادر التصوف، بإصدار طبعة مصوّرة لكتاب الإشارات

(دون تاريخ)⁽¹⁾ عن الطبعة الأصلية التي نشرها الباحث الإيطالي المذكور، غير أنَّ مكتبة النجاح اكتفت في غلاف طبعتها بالعنوان واسم المؤلف، وقامت - دون موجبٍ - بحذف بقية البيانات الببليوغرافية المتعلقة بالناشر المحقق، والمطبعة، وتاريخ النشر، المدرجة على غلاف الطبعة الأصلية، وهذه الطبعة المصوّرة على النحو المذكور هي المتداولة اليوم بين القراء والدارسين. وقد وقفتُ على نسخةٍ من الطبعة الأصلية بمكتب أستاذي المؤرخ الراحل محمد الأسطى - رحمه الله تعالى - عند ترددي عليه في دار المحفوظات التاريخية، في أواخر السبعينيات (1978 - 1980) فبادرت إلى نقل بياناتها الغائبة عن الطبعة المصوّرة، وحرصت على إثباتها عند إدراج الكتاب ضمن مصادر التحقيق في الجزء الأول من (اليوميات الليبية) الصادر سنة (1984).

(1) في (دليل المؤلفين العرب الليبيين) الإفادة الجيدة التالية التي تشير إلى سنة النشر: "أصدرت مكتبة النجاح بطرابلس طبعة مصورة منه عام 1975م". ولكنَّ هذه الإشارة لم ترد في (الببليوغرافية العربية الليبية) الصادرة في تلك السنة (1975) عن الجهة العلمية نفسها (دار الكتب) ؟

ومن الأخطاء الفادحة في هذا العمل التوثيقي الرسمي أنَّهم شطروا المؤلف نفسه إلى شخصين، وجعلوا له ترجمتين متتاليتين قسموا بينهما آثاره المعروفة من المخطوطات والمطبوعات: أولاهما باسم (عبد السلام بن عثمان التاجوري) ص 210، والثانية باسم (عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام الأسمر الفيتوري، أبو محمد) ص 211. وقد وجدت في نسختي من الكتاب بهذا الموضوع ملاحظتين مدونتين منذ سنين عديدة:

أ - "هما رجل واحد ؟ 17 - 8 - 1988".

ب - "هما شخص واحد ؟! كما ذكرت أدناه، وهذا عجيب. 15 - 12 - 1989".

وتنبغي الإشارة في هذا السياق أيضاً إلى أنَّ هذه الطبعة لكتاب الإشارات غدت، في واقع الأمر، كالنسخة المخطوطة النادرة، والأصل الوحيد الذي يحفظ هذا النص المناقبي / والدليل الموجز في المكتبة الليبية، إذ لم تظهر له - فيما أعلم - أية نسخة مخطوطة بين مجموعات المخطوطات الليبية في الداخل والخارج، ويبدو أنَّ (الخطوط - أي الأصول - الطرابلسية) التي يشير إليها الناشر الإيطالي على غلاف نشرته الأصلية للكتاب قد ظلت لديه، أو ضاعت، أو آلت إلى إحدى المكتبات في بلاده (٩).

الصفحة الغائبة عن النشرة المصورة لكتاب الإشارات:

ظللتُ سنواتٍ عديدة، دون مبالغة، أطلع حقاً وصدقاً إلى الوقوف ثانيةً على نسخةٍ من تلك الطبعة الأصلية لكتاب الإشارات التي فاتني أن أصور غلافها عندما سحت الفرصة بمكتب أستاذي الكريم. وكنت خلال ذلك أتابع النظر في الطبعة المصورة المتاحة وأستفيد من معطياتها، ضمن عنايتي بمؤلفها الفقيه الصوفي المؤرخ عبد السلام بن عثمان التاجوري. وقد شدت انتباهي - على وجه الخصوص - تلك الصفحة (26) من الكتاب التي تبدو مكررة في الطبعة المصورة المتداولة، وهاتان ملاحظتان قديمتان تفصل بينهما سنوات عديدة - كما ترى - وقد دَوَّنْتُهما على النسخة التي بين يدي في هذا الموضع من الكتاب:

أ - "الصفحة مكررة ظهرها كوجهها. 4 - 11 - 1991".

ب - "مع تكرار هذه الصفحة يبدو جلياً أنَّ السياق غير متصل بما يلي في الصفحة التالية، وربما سقطت صفحة أخرى [كانت] مكان هذه الصفحة، ولعل بها شيئاً آخر. صباح الاثنين 3 - 11 - 2008".

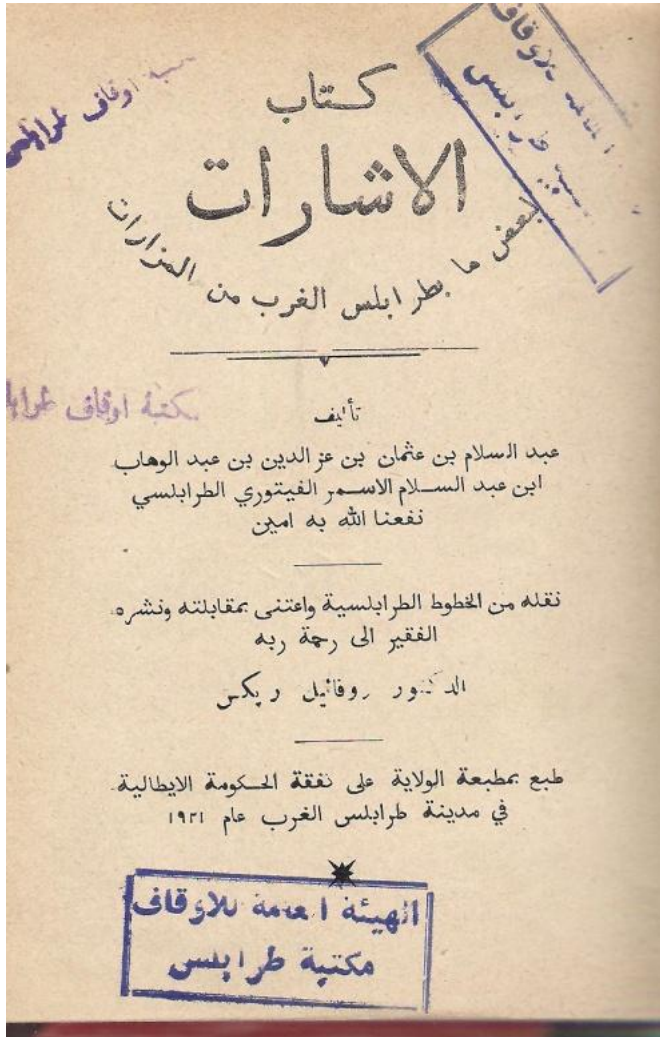
ج - ويليهما أيضاً هذا التساؤل بحرقه: "أين ذهب الأصل المخطوط؟". وقد تحقق أخيراً ما ذكرته في الملاحظتين أعلاه؛ إذ وقفتُ صباح (الثلاثاء 13 - 3 - 2012) بحمد الله تعالى - في (مكتبة الأوقاف) بمقرها الجديد الذي نُقِلَتْ إليه أخيراً، على تلك النسخة المؤمَّلة من الطبعة الأصلية للكتاب، بعد أن ألححتُ في البحث والسؤال عنها منذ بضع سنوات. وحرصت على إثباتها في هذا السياق؛ تميماً لنسخ الطبعة المصوّرة المتداولة اليوم بين القراء والدارسين. نصُّ الصفحة الغائبة:

"[ص 26] وبالقرب منه بإزاء الجامع الأعظم قبر مراد آغا، وهو أول أمراء الترك في طرابلس، وهو الذي بنى الجامع الكبير والمدرسة التي يازائه، وهي منذ أسَّسها مأوى للصالحين واحداً بعد واحد، وكان سيدي عبد الرحمن النعّاس يدرّس بها وبعده ذريته إلى الآن، وأوقف عليها أوقافاً، ولولاها لربما انقطع اسم العلم بتاجوراء لكثرة فتنها وجور الظلمة عليها، وجامعه لم يُبْنَ بطرابلس مثله، رفع أساسه على جبل قرب الماء وكذلك أعمدته، ولم يَبْنِه - فيما يذكر - إلا بالحلال من غنيمة غنمها المسلمون من النصارى، وهو الذي تسبَّب في فتح مدينة طرابلس وافتكاكها من الإفرنج، وتذكر عنه حُكْم وأمر تدلُّ على صلاحه، وهو أحسن من تولَّى البلد من أمراء الترك، وكان في زمن

الشيخ سيدي عبد السلام، وقصد الشيخ وزاره بسبب كرامة ظهرت له من الشيخ ذكرناها في غير هذا ⁽¹⁾، ومنذ عزم على زيارة الشيخ دخل الشيخ الحلوة مكاشفاً بمجيئه واحتجب عن الناس، ثم قدم على الزاوية وأقام سبعة أيام لم يقدر أحد أن يدخل على الشيخ ويعلمه بمجيئه [ص 27] ثم دخل في حكاية يطول جلبها هنا وذكرناها في غير هذا...الخ".

وقد استوقفتني في الصفحة (الغائبة / العائدة) هذه الإشارة المعمارية عن بناء الجامع الكبير بتاجوراء - على وجه الخصوص - : "رفع أساسه على جبل قرب الماء وكذلك أعمدته". ويبدو أنَّ مراده: على قطعة صخرية مختارة من الأرض. وهو ما يمكن أن يتحقَّق منه الإخوة الدارسون المعمارىون الأفاضل المعنيون بدراسة هذا الأثر التاريخي العتيق.

⁽¹⁾ القصد إلى كتابه الآخر (فتح العليم).



الطبعة الأصلية لكتاب الإشارات، مطبعة الولاية 1921.

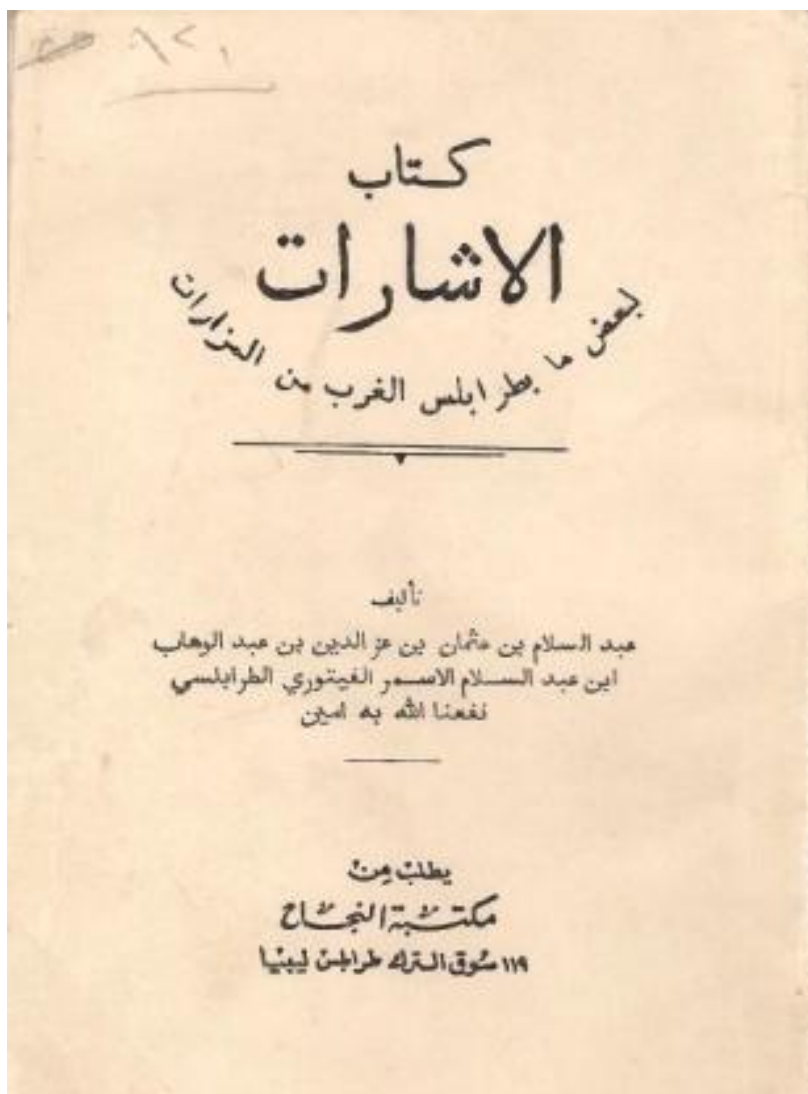
وبالتقرب منه بازاء الجامع الاعظم قبر مراد آغا
وهو اول أمراء التـرك في طرابلس وهو
الذي بنى الجامع الكبير والمدرسة التي بازائه
وهي منذ اسسها مأوى للصالحين واحدا بعد
واحد وكان سيدي عبد الرحمن النعاس يدرس
بها وبعده ذريته الى الان وأوقف عليها اوقافا
ولو لاهما لربما انقطع اسم العلم بتاجوراء لكثرة
فتنها وجور الظلمة عليها وجامعه لم يبن
بطرابلس مثله رفع اساسه على جبل قرب الماء
وكذلك اعمدته ولم يبنه فيما يذكر الا بلحال
من غنيمة غنمها المسلمون من النصارى وهو
الذي تسبب في فتح مدينة طرابلس وافتكاها
من الافرنج وتذكر عنه حكم وامور تدل على
صلاحه وهو احسن من تولى البلد من امراء
التـرك وكان في زمن الشيخ سيدي عبد السلام
وقصد الشيخ وزاره بسبب كرامة ظهرت له من
الشيخ ذكرناها في غير هذا ومنذ عزم على زيارة
الشيخ دخل الشيخ الخلوة مكاشفا بمجيئه واحتجب
عن الناس ثم قدم على الزاوية واقام سبعة ايام لم
يقدر احد ان يدخل على الشيخ ويعلمه بمجيئه

٢٦

الصفحة 26 الغائبة من الطبعة الجديدة المصورة
لكتاب الإشارات، وقد كُرت بموضعها الصفحة 25 سهواً.



الغلاف الأخير / الخلفي بالإيطالية في الطبعة الأصلية
لكتاب الإشارات، طرابلس 1921.



الطبعة المصورة لكتاب الإشارات، مكتبة النجاح، دون تاريخ

من خلافيات المجمعين وأخطائهم

(1) تعدية الفعل (استند) بـ(على)

أ.مفتاح بريك الغرياني

عضو المجمع المشارك

يؤخذ على بعض المجمعين تعدية الفعل (استند) بـ(على) وهذا التركيب مخالف للفصيح المشهور في معاجم اللغة ، وكتب التراث ؛ فالفعل (استند) يتعدى بـ(إلى) خلافا لما ورد في بعض مجلات مجمع اللغة العربية في كل من بغداد، والقاهرة ، وطرابلس ، مع الاعتراف بعدم الاستقصاء التام لكل ما ورد في التراث المجمعى العربي ، وسندي في هذه التصحيحات التعويل على الشواهد، لأنها روح اللغة .

أولا : مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد :

- 1- (تستند على أسس ثابتة) : عبارة محمود شيت الخطاب (عضو المجمع العلمي بالعراق.مج30:129.س:15.سنة 1979.
- 2- (استناداً على هذا الشعر) : عبارة (محمود شيت خطاب) أيضاً. مج 30: 123 . س : 20 . سنة 1979
- 3- (يستند على ما حققه): عبارة (محمود شيت خطاب) أيضاً. مج 38 : 3: 16.س:10 آذار سنة 1987

- 4- (مستنداً على عوامل): عبارة الدكتور صالح أحمد العلي (رئيس المجمع) مج 31 ج 32: 1. س: 6. كانون الثاني سنة 1980
- ثانياً: مجلات مجمع اللغة العربية بالقاهرة :
- (مستندين في هذا التوحيد على وظيفتها): عبارة الدكتور صادق عبد الله - (عضو المجمع المراسل) من فلسطين. العدد : 104. ص: 30 س: 9. ع: 1. نوفمبر 2004.
- (استناداً على أن ما جرى على الفعل): عبارة محمد علي النجار (عضو المجمع) محاضر جلسات الدورة (24) ص : 127. س: 27 سنة 82⁽¹⁾.
- (استناداً على حجة هؤلاء النقاد أنفسهم): القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب . ص: 71. س: 7. أعدها وراجعها: محمد شوقي أمين (عضو المجمع) ، وإبراهيم التريزي (رئيس قطاع المجمع). منشورات المجمع ط (1) سنة 1989.⁽²⁾
- ثالثاً: مجمع اللغة العربية بطرابلس:
- (تستند على أساس ركين): عبارة الدكتور صالح بلعيد (عضو المجمع) بحوث جمعية ج 1 : 210. س: 3. سنة 2010.

(1) ومن عجب أن يستدرك مثل هذا الخطأ على هذا اللغوي العالم الثبت .

(2) (محمد شوقي أمين) من نقدة اللغة المبرزين، وله تحريجات عالية، ونظرات دقيقة، ولكنه يميل إلى تسويغ ما تجري به أقلام الكتاب المحدثين في استعمالاتهم العصرية، وقد اضطرب في تعدية هذا الفعل؛ فجاء متعدياً بـ(إلى)، كما في الألفاظ والأساليب ج 2: 23. س: 5، وفي أصول اللغة ج 2: 193. س: 16، ص 198 س: 6. 19.

الشواهد على تعدية (استند) بـ (إلى) :

- 1- جاء في معجم (الصحاح) لإسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفي عام 393هـ، وقيل وقبل عام 398هـ ما نصّه : (وسندت إلى الشيء أسند سنوداً ، واستندت بمعنى ، وتساندت إليه استندت) .
- 2- وقال عليّ بن إسماعيل بن سيده المتوفي عام 458هـ في معجم (المحكم والمحيط الأعظم) : (وقد سند إلى الشيء يسند سنوداً ، واستند ، وأسند) مادة : (سند) .
- 3- وجاء في (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفي عام 370هـ : (أبوعبيد عن الأصمعي): سندت إلى الشيء أسند سنوداً ، إذا استندت إليه، مادة : (سند).
- 4- وقال (الأزهري) أيضاً في نفس المادة : وما يستند إليه يسمّى : مسنداً ، ومُسنداً.
- 5- وقال جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ المتوفي عام 538هـ في معجم (أساس البلاغة) : (ومن المجاز: أسندت إليه أمري ، وهو سندي ، ومستندي) مادة: (سند) .
- 6- وقال (الزمخشريّ) أيضاً في تفسير (الكشاف): (غير مستندين إلى علم) ج3: 484، س: 10
- 7- وقال أحمد بن محمد بن علي المقري الفيوميّ المتوفي عام 770هـ في معجم (المصباح المنير) ما نصّه : و(السند) : بفتحتين : ما استندت إليه من حائط ، وغيره .

- 8- و(أسند) من باب (تعب) لغة ، و(استندت) إليه بمعنى ، ويعدّي بالهمزة ، فيقال : أسندته إلى الشيء ، فسند هو ، وما يستند إليه : (مسند) ، وأسندت الحديث إلى قائله: رفعته إليه بذكر قائله . مادة:(سند) .
- 9- وجاء في معجم (جمهرة اللغة) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى عام 321هـ ما نصّه : (المسند) : كل ما استندت إليه من شيء مادة: (سند) ج2: 649.
- 10- وقال أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا المتوفى عام 395هـ في معجم (مقاييس اللغة) : (السين ، والنون ، والدال أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، يقال : أسندت إلى الشيء أسند سنوداً، واستندت استناداً، والإسناد في حديث: أن يسند إلى قائله) مادة: (سند) .
- 11- وفي (المحيط في اللغة) للصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى عام 385هـ: (وكل شيء أسندت إليه ؛ فهو مستند) مادة: (سند) .
- 12- وقال الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى عام 666هـ في (مختار الصحاح): وسند إلى الشيء ، واستندت إليه بمعنى مادة: (سند) .
- 13- وجاء في معجم (لسان العرب) لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن عليّ بن منظور المتوفى عام 711هـ ما يلي: وقد سند إلى الشيء يسند سنوداً، واستند، وتساندت إليه: استندت ، وفي حديث عبدالله بن أنيس : (ثم أسندوا إليه في مشربه) مادة: (سند) .
- 14- وفي (تكملة الصحاح) للحسن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى عام 650هـ ما نصّه : وقال (الخليل) : الكلام مسند ، ومسند إليه . مادة: (سند).

- 15- وجاء في (القاموس المحيط) للفيروزآبادي الشيرازي المتوفى عام 816هـ،
أو 817هـ ما نصّه: (وسند إليه سنوداً، وتساند: استند) مادة: (سند) .
- 16- وجاء في (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير المتوفى عام
606هـ ما نصّه: ومنه حديث عبدالله بن أنيس: (ثم أسندوا إليه في مشربه)
مادة: (سند).
- 17- وفي (غراس الأساس) لابن حجر العسقلاني المتوفى عام 852هـ:
(وأسندت إليه أمري) مادة: (سند) .
- 18- وفي (تكملة القاموس) للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى
عام 1205هـ: وجمع (مسند) كمنبر: لما يسند إليه. مادة: (سند)
- 19- وقال أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى عام 350هـ في
(ديوان الأدب): (واستند إليه: التجأ) مادة: (سند).
- 20- وقال سيويه ت 180هـ ترجيحاً في (الكتاب):⁽¹⁾ (هذا باب المسند
والمسند إليه) .
- 21- (أي: بما أسندوا إليه من أمورهم): عبارة: يونس بن حبيب الضبيّ
النحويّ المتوفى عام 183هـ.⁽²⁾
- 22- (فإن كل الطرق تستند إليه): عبارة أبي البركات كمال الدين
عبدالرحمن بن محمد الأنباري المتوفى عام 577هـ في كتابه: (نزهة الألباء في
طبقات الأدباء).⁽³⁾

(1) ج 1: 23

(2) إنباه الرواة للقفطي ج 4: 75. س: 11.

(3) نزهة الألباء: 134. س:

- 23- وقال أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى عام 392هـ في كتابه: (الخصائص) : (ولم يسند أبو الزيد هذين البيتين إلى ابن أحمـر).⁽¹⁾
- 24- وجاء في حديث شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي المتوفى عام 77هـ ما نصّه: (وكنـت ألقاهم منقطعين عن مصر، ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون إليه).⁽²⁾
- 25- وقالت السيدة فاطمة -عليها السلام- : (وإن تعجب ، فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا ، وبأي عروة تمسكوا)⁽³⁾
- 26- وجاء في كتاب (إنباه الرواة) للقفطي المتوفى عام 624هـ ما يلي: (واجتاز الكسائي مجلقة يونس بالبصرة - وكان شخص مع المهدي إليها - فاستند إلى أسطوانة).⁽⁴⁾
- 27- (واستندوا إلى المحراب): عبارة على بن الحسن الباخرزي المتوفى عام 467هـ في كتابه: (دمية القصر)، وذلك في ترجمة أبي القاسم عبدالواحد بن الحسين برهان النحوي.⁽⁵⁾

(1) ج2 : 24.س : 3

(2) تاريخ الطبري ج6 : 261.س : 17. عبارة الطبري : (فلا أبالي كنت ألقاهم) ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج2: 88

(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج16: 234.ت. محمد أبو الفضل إبراهيم . الحلبي.القاهرة.

(4) ج2 : 265.س: 2

(5) ج3 : 1513 ، وإنباه الرواة للقفطي ج2 : 214.

- 28- (واستناداً إلى ما لا يجدي نفعا): عبارة عبد الحميد هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المتوفى عام 656هـ في شرحه على (نهج البلاغة).⁽¹⁾
- 29- وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى عام 276هـ في كتابه (تأويل مشكل القرآن): (ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير).⁽²⁾
- 30- وجاء في (كتاب الأفعال) لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي المتوفى بعد الأربع مئة ما نصّه: (وأُسندت إلى الله: لجأت).⁽³⁾
- 31- وفي (المعجم الوسيط) (ط2) من مادة: (سند): (سند الشيء سَنَدًا جعل له سِنادًا، أو عمادًا يستند إليه).
- 32- وجاء في (التعريفات) للجرجاني: (المسند من الحديث خلاف المرسل، وهو الذي اتصل إسناده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم).⁽⁴⁾
- 33- وقال عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام 471هـ أو 474هـ: (وأنّ ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت، مستند إليه).⁽⁵⁾

(1) شرح نهج البلاغة بتحقيق حسن تميم ج4: 871. دار الحياة. بيروت.

(2) ص: 23 س: 9

(3) ج3: 509، ع: 2

(4) ص: 144

(5) دلائل الإعجاز: 544، س: 8

(2) تعدية الفعل (أكد) بـ(على)

شاع في كتابات بعض المجمعين تعدية الفعل (أكد) بـ(على) غير أن هذا التعبير يخالف المأثور من استعمال الفصحاء في عهود العربية الأولى ، كما أن الاستقراء لا يؤيد هذا الاستعمال؛ لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه ، ومثله : (وكّده ، يوكدّه) ، وهو بالواو أفصح من المهموز.

وقد تعقب نقدة اللغة هذا الاستعمال منكرين تعدية الفعل (أكد) بـ(على)، ومن هؤلاء: الدكتور مصطفى جواد⁽¹⁾ وحسن الجافي⁽²⁾، وعباس أبو السعود⁽³⁾، والدكتور إبراهيم السمرائي⁽⁴⁾، ومحمد بهجة الأثري⁽⁵⁾ والدكتور محمد عبده فلفل⁽⁶⁾، وسعيد الأفغاني⁽⁷⁾ والدكتور عبدالعزيز مطر⁽⁸⁾

وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا التعبير⁽⁹⁾، والتمس له وجهها في العربية؛ حيث يضمن الفعل (أكد) معنى (نبّه) غير أنّ هذا القرار مدفوع بإجماع النصوص الماثورة الفصيحة ، وأعلاها ما جاء في التنزيل العزيز .

(1) انظر: قل ولا تقل: 55، وفي التراث اللغوي لمصطفى جواد: 4.

(2) مجلة الثقافة العربية . العدد السابع . يوليو سنة 77 . ص: 76 .

(3) شمس العرفان بلغة القرآن: 100

(4) مجلة مجمع اللغة العربية بعمان. العدد 31 : 24 سنة 86 ، والعدد 41 : 61 سنة 1991 .

(5) مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد مج 31 ج2 : 275 سنة 1980

(6) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد 59 : 174 . كانون الأول 2000

(7) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج 51 : 61 . مايو 1983

(8) تثقيف اللسان العربي: 229 . ط (1) القاهرة 1991

(9) الألفاظ والأساليب ج2 : 139- 140 .

ويؤخذ على المجمع اللغويّ بالقاهرة التّسمح في بعض الأصول اللغوية، وتسويغ بعض الاستعمالات العصرية، والترخص فيها .

وفيما يلي أخطاء المجمعين في تعدية (أكّد) بـ(على)؛ خلافا لما ورد في التنزيل العزيز ، وما نصّت عليه معاجم اللغة العربية ، وكتب التراث ، مع الاعتراف بعدم الاستقصاء التام لكل ما ورد في التراث المجمعيّ العربيّ للغة العربية .

أولا : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

- 1- (التأكيد على أنّ عملية بعث هذا التراث..): عبارة الدكتور عبد الهادي التازي (عضو المجمع) مج 75. ج 4: 826 . س: 15 سنة 2000
- 2- (وأكدت المادة(10) على استقلال القضاء): عبارة الدكتور عبد الوهاب حومد (عضو المجمع . مج 74 . ج 1 : 19 . س: 4 سنة 1999
- 3- (التأكيد على أن عملية ...): عبارة الدكتور عبد الكريم اليافي (عضو المجمع) مج 75 ج 4 : 826 س : 15.

ثانيا : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

- 4- (عاد إلى ما أكد عليه مبكراً) : عبارة كمال دسوقي (عضو المجمع) ج 109 ص 100. ع: 2. س: 22 . نوفمبر 2006
- 5- (وهذا ما أكد عليه نقيب الصحافة اللبنانية) : عبارة منير البعلبكي (عضو المجمع) ج 62 : 234 . ع : 2 . س ك 15 مايو سنة 1988
- 6- (وحول التأكيد على عدم انعكاف معاجمنا...): عبارة الدكتور عبد الهادي التازي (عضو المجمع) ج 98 : 52 . ع: 1. س : 12 مايو 2003

ثالثا: مجلة المجمع العلمي العربي ببغداد

7- (أكد على حرية الإنسان): عبارة الدكتور يوسف عزالدين (عضو

المجمع) مج 38 ج 1 : 177 . س : 1 . سنة 1987

8- (أكد على أهمية المعرفة) : عبارة الدكتور صالح أحمد العلي (رئيس

المجمع) مج 31 ج 1 : 12 . س : 10 ، ص : 17 : 24 ، ص : 266 . س : - : 13 ،
14 ، 16 ، 17 ، 21 كانون الثاني 1980 . س : 13 ، 14 ، 15 ، 19 .

9- (التأكيد على كرامة الإنسان) : عبارة مسارع الراوي (عضو المجمع)

مج 38 ج 1 . 199 . س : 12 آذار 1987

رابعا: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني بعمان والموسم الثقافي

10- (أكد المحاضر على أن قضية التعريب ...) عبارة الدكتور عدنان

الخطيب (عضو المجمع) مجلة ج 28/29 : 214 . س : 17 سنة 1985

11- (وكان المؤرخون يؤكدون على الأمانة ، والدقة في النقل) : عبارة

عبدالعزیز الدوري (عضو المجمع) الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية
الأردني سنة 1987 . ص : 76 . س : 5 ، ص 80 : س : 10 ، ص : 89 . س : 10

12- (فقد أكدت جميع الدراسات ، والأبحاث⁽¹⁾، والمؤتمرات العربية في

السنوات الأخيرة على أهمية تطوير التعليم) : عبارة الدكتور عبداللطيف
عربيات، الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني . الموسم الثقافي الرابع سنة
1986 . ص : 68 . س : 14 .

(1) أباح مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع (فَعَلَ) على (أَفْعَال) بغير استثناء انظر : مجموعة
القرارات العلمية في خمسين عاما : 73-75 ، ومعجم الأخطاء الشائعة للعدناني : 34/35 .

خامساً : حولة مجمع اللغة العربية بطرابلس وبحوث مجعية :

13- (بل نوّكد على شرعية النسب) : عبارة الدكتور مهدي إمبيرش

(عضو المجمع) بحوث مجعية . ج 1 . ص : 192 . س : 5 سنة 2010

14- (ويؤكد كما أشرنا على الاهتمام بالنسب) : عبارة الدكتور مهدي

إمبيرش : (المرجع السابق) ص : 192 . س : 18

15- (نوكد على أن الحلّى كان أوفر عبقرية) : عبارة الدكتور عماد حاتم

(عضو المجمع) حولة المجمع . العدد الرابع ص : 107 . س : 11 ، ص : 124 .

س : 2 ، ص : 129 . س : 20 ، ص : 138 . س : 20 سنة 2006 وبعد ؛ فقد

تتبّعنا المسموع من شواهد اللغة - وهي من فصيح الكلام- واحتجنا لصحة

تعديّة الفعل (أكّد) بنفسه ؛ بما وقفنا عليه من الشواهد الآتية :

الشواهد على تعديّة الفعل (أكّد) بنفسه

2/1 - قال تعالى - وهو أصدق القائلين - : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا ﴾ (النحل:91). (وكد): لغة في (أكّد)، بإبدال الهمزة واواً في لغة

(الحجاز). قال (ابن منظور): وبالواو أفصح ، وأضاف : (أكّد) العهد ، والعقد :

لغة في (وكدته) ، وقد (أكّد) الشيء ، و(كده) (عن ابن الأعرابي) ، وقال في

مادة : (وكد): وكّد العقد ، والعهد : أوثقه ، والهمز فيه لغة ، يقال : أوكدته ،

وأكدته ، وأكّده ، وآكدته ، إيكاداً . وقال في مادة : (سند) : (فإن أكّدت

ذلك) .

- 3- وجاء في (الصحاح المنير) من مادة (أكد): أكدته تأكيداً ، فتأكد ، ويقال على البذل : (وكد)
- 4- وجاء في (تهذيب اللغة) من مادة : (وكد): قال (الليث): (وكدت) العقد : أوثقته ، ويقال : (وكدت) اليمين ، والهمز في العقد أجود ، وتقول : إذا عقدت فأكد ، وإذا حلفت فوكد .
- 5- وقال صاحب (القاموس المحيط): و(أكده) تأكيداً : وكده مادة (أكد) وقال في مادة (وكد) : (وكد) العقد : أوثقه ، كأكده ، و(التوكيد) أفصح من التأکید.
- 6- وقال صاحب(الصحاح): وقد (أكدت الشيء ، ووكدته. مادة: (أكد) وقال في مادة : (وكد) : وكدت العهد ، والسرّج توكيداً ، وأكدته تأكيداً بمعنى ، وبالواو أفصح.
- 7- وقال (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى عام 395) في معجم (مقاييس اللغة) : الهمزة ، والكاف ، والدال ليست أصلاً ؛ لأن الهمزة مبدلة من واو، يقال : (وكدت) العقد . مادة (أكد) ، وقال في مادة : (وكد) : الواو، والكاف ، والدال : كلمة تدل على شدّ .
- 8- وقال(أبوبكر بن محمد بن الحسن بن دريد المتوفى عام 321هـ) في (جمهرة اللغة) من مادة : (وكد): و(وكدت العهد، والعقد توكيداً ، إذا أحكمته ، وكل شيء أحكمته ، فقد وكدته.

- 9- وجاء في (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير المتوفى عام 606هـ ما نصّه : يقال : أوكدت الشيء ، ووكدّته ، وأكّدتّه.
- 10- وفي معجم (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده المتوفى عام 458هـ : (أكّد) العهدن والعقد : لغة في (وكّده) : أوثقه ، والهمز فيه لغة : (وكد)
- 11- وقال (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى عام 350هـ في ديوان الأدب): (أكّده) ، و(وكّده) بمعنى (فعل) ج3 : 272 ، ج4 : 228 .
- 12- وجاء في معجم (المحيط في اللغة) للصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى عام 385هـ ما نصّه : (وكّدت) العهد : وثقته ، وكذلك (أكّدتّه) مادة (وكد) ج1 : 303.
- 13- وقال (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت المتوفى عام 244هـ) في كتابه (إصلاح المنطق) ما نصّه : ومما يقال بالهمز مرة ، وبالواو أخرى : (وكّدت) العهد ، والسرّج توكيداً ، وأكّدتّه تأكيداً ، وفي القرآن بالواو.⁽¹⁾
- 14- وجاء في (المعجم الكبير) من مادة : (أكد) : (أكّد) العقدة ، ونحوها : أكّدها ، ويقال : أكّد العهد ، وأكّد اليمين . (حرف الهمزة) .
- 15- وجاء في (المعجم الوسيط) : أكّده تأكيداً . أكده مادة : (أكد) وقال في مادة : (وكد) : (وكّد) السرّج ، والعهد : أوكدهما ، ويقال (أكّدهما) على البذل .

(1) ص : 159

16- رُوى عن عبدالله بن المبارك أن عمر- رضى الله عنه - لما أطلق الحظيئة أراد أن يؤكّد عليه الحجة ، فاشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم.⁽¹⁾

17- (ولم يُخلّهم بعد أن قبضه ، مما يؤكّد عليهم حجة ربوبيته) : عبارة الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽²⁾.

18- (لأن الانطلاق لا يوضح أنه زيد ، ولا يؤكّده) : عبارة سيبويه في (الكتاب)⁽³⁾

19- (لما أرادوا تشديد أمره ، وتأكيده) : عبارة أبي على الفارسي في (المسائل العضديات)⁽⁴⁾

20- وقال (ابن مالك) في ألفيته : (الحال)

وإن تؤكّد جملةً فمضر

عاملها ، ولفظها يؤخّر⁽⁵⁾

21- وقال (ابن مالك) أيضا في ألفيته : (التوكيد)⁽⁶⁾

(1) الأغاني بتحقيق إبراهيم الأبياري ج2 : 207 . س : 13

(2) نهج البلاغة ، وهو ما اختاره الشريف الرضي ، وشرحه الإمام محمد عبده

(3) ج2 : 79 . س : 5 (باب ما ينتصب ؛ لأنه خبر للمعروف المبني على ما (هو) قبله من الأسماء المبهمة .

(4) ص ك 251 . س : 1

(5) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج1 : 653

(6) المصدر السابق ج1 : 212

وإن تؤكّد الضمير المتصل

بالنفس، والعين، فبعد المنفصل

22- (وهى ما أكّدت مضمون الجملة) : عبارة (ابن عقيل) في شرحه على الألفية.⁽¹⁾

23- وقال (ابن عقيل) أيضا في شرحه على ألفية ابن مالك من درس (التوكيد) : (فإن أكّده بغير النفس، والعين لم يلزم ذلك).⁽²⁾

24- وقال (ابن يعيش) في شرحه على كتاب (المفصل) للزمخشري ما نصه: (فلذلك أكّدت بها معنى الأبوة).⁽³⁾ (من مبحث الحال)

وقال أيضا : (أكّد الجملة الخبرية بتكريرها).⁽⁴⁾ (من مبحث التوكيد)

25- وقال (الرضي) في شرحه على (الكافية) من مبحث (الحال) : (التقرير مضمون الخبر، وتأكيده).⁽⁵⁾

26- وقال (الرضي) في المصدر نفسه : من مبحث (التوكيد) : (كما أجازوا تأكيده بالمنصوب).⁽⁶⁾

وأضاف (الرضي) قائلا في المصدر نفسه : من مبحث (التوكيد) : (وهو جواز تأكيدها ؛ إذا كانت النكرة حكما، لا محكوما عليه).⁽⁷⁾

(1) المصدر السابق ج1 : 653 . س : 11

(2) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج2 : 213 . س : 5

(3) شرح المفصل لابن يعيش ج2 : 64 . س : 23

(4) المصدر السابق ج3 : 40 . س : 1

(5) شرح الرضي على الكافية ج2 : 50 . س : 9

(6) المصدر السابق ج2 : 365 . س : 7

(7) المصدر السابق ج2 : 372 . س : 18

27- (لتأكيد الدلالة على المساواة) : عبارة أبي الحسن على بن عيسى الرّماني المتوفى سنة 386هـ.⁽¹⁾

28- قال الإمام أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البستي المتوفى سنة 388هـ: (فأما سائر ما تكلمنا عليه ، مما استدركناه بمبلغ أفهامنا ، وأخذناه عن أمثالنا؛ فإنّا أحقّاء بالأّ نزكيه ، والأّ نوّكد الثقة به)⁽²⁾

29- وقال عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ المتوفى سنة 761هـ في كتابه (مغنى اللبيب) : (فالحرف الزائد يؤكّد ذلك)⁽³⁾ ، وأضاف في المصدر نفسه :

30- وأكّده ؛ لما لحظوا فيه المعنى .⁽⁴⁾

31- وقال (الزمخشريّ) في تفسير سورة (العنكبوت) : (أنّ) صلة أكّدت وجودا الفعلين.⁽⁵⁾

32- وقال كعب بن مالك الأنصاريّ ، وهو شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد توفى في خلافة على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - :

⁽¹⁾ النكت في إعجاز القرآن للرّماني : ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . ت. د. محمد

زغللول سلام: 99. س: 9

⁽²⁾ غريب الحديث للخطّابي ج1 : 49.

⁽³⁾ ص : 53 . س : 2

⁽⁴⁾ ص : 889 . س : 4

⁽⁵⁾ تفسير الكشف ج3 : 205

أنسيتم عهد النبي إليكم ،
ولقد أَلْظَّ ، وأكّد الأيماناً⁽¹⁾
33- وقال عمر ابن أبي ربيعة المخزومي⁽²⁾ :
بفرسلت أن لا أستطيع ، بفرسلت
تؤكد أيمانَ الحبيب المؤتب⁽³⁾

¹ - (اللسان) : (آخر) ، و(الأغاني) بتحقيق إبراهيم الأبياري ج17 : 6033 ، (طبعة دار الشعب) ، وبتحقيق أحمد عبدالستار فراج ج16 : 167 (طبعة دار الثقافة) ، وديوان كعب بن مالك : 289 . (أنط) : أَلَحَّ ، ويروى : (ووكّد).

² - لم تحذف ألف (ابن) ؛ لأنه لم يضاف إلى أبيه ، ولأن (ربيعة) جدّه ، انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف ، والتحريف للصفدي : 71 .

³ - ديوانه : 426 ، والمعجم الكبير : (أكّد) . (أن لا استطيع) : أي : لا أستطيع ، و(أن) : مفسرة يرفع المضارع بعدها. (الحبيب المؤتب) : الذي طبع على تأنيب محبّه ، و(التأنيب) : اللوم ، والتعنيف

المصادر والمراجع

- 1- أساس البلاغة، محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتب، ط (2) القاهرة 1973/1972
- 2- إصلاح المنطق لابن السكيت، ت. عبدالسلام محمد هارون وأحمد محمد شاكر دار المعارف، ط (4)، القاهرة 1987
- 3- الأغاني للأصبهاني ج2، ت. إبراهيم الأبياري، دار الشعب ط (1) القاهرة 1969، وطبعة دار الثقافة بيروت، ت. عبدالستار أحمد فراج.
- 4- إنباه الرواة على أنباه النجاة، على بن يوسف القفطي جت2، جت4، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط (1)، القاهرة، 1986.
- 5- بحوث مجمعية، مجمع اللغة العربية بطنابلس، العدد الأول 2010
- 6- تاريخ الطبري، ج6، دار المعارف، ط (4)، القاهرة 1969
- 7- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ت. السيد أحمد صقر، دار التراث، ط (2) القاهرة 1973.
- 8- تثقيف اللسان العربي، د. عبدالعزيز مطر، توزيع دار المعارف، ط (1) القاهرة 1991.
- 9- ترتيب القاموس المحيط، طاهر أحمد الزاوي، دار العربية للكتاب، ط (3) سنة 1980
- 10- تكملة القاموس المحيط للزبيدي، ت. مصطفى حجازي وضاحي عبدالباقي منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط (1) القاهرة 1986_1991

- 11- تكملة الصحاح للصاغانيّ .ت. عبدالعليم الطحاوي وإبراهيم الأبياري ومحمد أبو الفضل إبراهيم .دار الكتب .ط (1) القاهرة 1970_1979
- 12- تفسير الكشاف للزمخشريّ . دار الفكر العربيّ . بيروت.
- 13- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري بتحقيق بعض المحققين من ج1-16 الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ودار الكاتب العربيّ ، والهيئة المصرية العامة للكتاب.ط (1) 1964_1975 . القاهرة
- 14- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد الحسن بن دريد .ت.د. رمزي منير البعلبكيّ دار العلم للملايين .ط (1) بيروت 1987/1988 .
- 15- حولية مجمع اللغة العربية بطرابلس .العدد التاسع 2006
- 16- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنيّ ج2 .ت. محمد علي النجار. دار الهدى للنشر .ط (2) .بيروت .
- 17- ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق إبراهيم الفارابيّ ج3 .ت. د.أحمد مختار عمر. منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة .ط (1)
- 18- دلائل الإعجاز . عبدالقاهر الجرجانيّ .قرأه وشرحه محمود محمد شاكر. الخانجي ط (2) القاهرة 1989 .
- 19- ديوان كعب بن مالك الأنصاريّ .ت. سامي العاني. مكتبة النهضة ببغداد سنة 1966
- 20- شرح ابن عقيل .ت. محمد محي الدين عبدالحميد.المكتبة التجارية .ط (14) القاهرة.

- 21- شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة . تأليف محمد محي الدين عبد الحميد
المدني . القاهرة
- 22- شرح الرضّى على الكافية . ت. يوسف حسن عمر . ج (2) . جامعة
قاربونس . ط (1) سنة 1987.
- 23- شمس العرفان بلغة القرآن . عباس أبو السعود . دار المعارف . ط (1)
القاهرة 1980
- 24- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للصفدي . ت. السيد
الشرقاوي . الخانجي ط (1) 1987.
- 25- شرح المفصل لابن يعيش ج2 . عالم الكتب . القاهرة - بيروت.
- 26- الصحاح . إسماعيل بن حمّاد الجوهري . ت. أحمد عبدالغفور عطار دار
العلم للملايين . ط (3) . بيروت . 1984
- 27- غراس الأساس لابن حجر العسقلاني . تحقيق وتعليق : د. توفيق محمد
شاهين . مكتبة وهبة . ط (1) القاهرة 1990
- 28- غريب الحديث للخطّابي ج1 . ت. عبدالكريم العزباوي . خرّج
أحاديثه : عبدالقيوم عبد رب المنبي . مركز البحث العلمي . جامعة أم القرى
بمكة المكرمة 1402هـ = 1982م
- 29- في التراث العربي لمصطفى جواد . حققه ، وقدم له ، وأخرجه ونصصه د.
محمد عبدالمطلب البكاء . دار الشؤون الثقافية العامة . ط (1) بغداد 1988م

30-القرارات الجمعية في الألفاظ والأساليب من سنة 34_87 . أعدها
وراجعها : محمد شوقي أمين ، وإبراهيم ، الترزي . منشورات مجمع اللغة العربية
بالقاهرة . ط(1) 1989.

31-قل ولا تقل . مصطفى جواد . مكتبة النهضة العربية . ط(1) بغداد
1988

32-كتاب الألفاظ والأساليب ج2 . أعد المادة والتعليق عليها : محمد
شوقي أمين . منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط(1) 1985.

33-كتاب الأفعال للسرقسطي . ت. د. حسين محمد شرف . ج3 .
منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط(1) 1987.

34-كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح . عبدالله بن برّي . ت.
مصطفى حجازي ، وعبدالعليم الطحاوي ، ورجب عبدالجواد ، وعبدالصمد
محروس ، وإقبال زكي، وعبد الوهاب عوض الله من ج1 - ج6 . ط(1) من سنة
1980_2010. منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

35-كتاب في أصول اللغة ج2 . أخرجها ، وضبطها ، وعلق عليها : محمد
شوقي أمين، ومصطفى حجازي . منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط(1)
1975

36-الكتاب لسيبويه . ت. عبدالسلام محمد هارون . ج1. دار القلم .
ط(1) . القاهرة 1966 ، ج2 . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة
1968

- 37- لسان العرب لابن منظور. ت. عبدالله الكبير ومحمد أحمد حسب الله
وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف. ط (1). القاهرة. 1979.
- 38- مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ بعمان العدد 29/28. 1985
- 39- مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ بعمان العدد 31. 1986
- 40- مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ بعمان العدد 41. 1991
- 41- مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ بعمان العدد 51. 2000
- 42- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج 75 ج 4. 2000
- 43- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج 74 ج 1. 1999
- 44- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: 51. 1983
- 45- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: 62. مايو 1988
- 46- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: 98. مايو 2003
- 47- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: 104. نوفمبر 2004
- 48- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. العدد: 109. نوفمبر 2006
- 49- مجلة المجمع العلمي العراقيّ ببغداد مج 31. ج 1. كانون الثاني 1980
- 50- مجلة المجمع العلمي العراقيّ ببغداد مج 31. ج 2. نيسان 1980
- 51- مجلة المجمع العلمي العراقيّ ببغداد مج 38. ج 1. 1987
- 52- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما. أخرجها، وراجعها: محمد
شوقي أمين، وإبراهيم الترزي. منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط (1)
1984.

- 53- محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدورة (24)
- 54- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده. طبعة محققة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة في المدة من سنة 1958 - 1999.
- 55- المحيط في اللغة للصاحب إسماعيل بن عباد .ت. محمد حسن آل ياسين عالم الكتب . ط(1) بيروت 1994
- 56- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . عن بترتيبه : محمود خاطر . دار المعارف بمصر 1973
- 57- المسائل العضديات لأبي علي الفارسي . وزارة الثقافة بدمشق ط(1) 1986.
- 58- المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي .ت.د. عبدالعظيم الشناوي دار المعارف . ط(1) القاهرة 1977
- 59- معجم الأخطاء الشائعة. محمد العدناني . مكتبة لبنان . ط(2) بيروت . 1980
- 60- معجم مقاييس اللغة . أحمد بن فارس .ت. عبدالسلام محمد هارون . الحلبي ط(2) القاهرة 1969- 1972 .
- 61- المعجم الكبير . حرف الهمزة . أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة . دار الكتب . ط(2) 1970
- 62- المعجم الوسيط . ج 1/2 . أخرجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة . دار المعارف بالقاهرة . ط(2) 1972/ 1973 .
- 63- الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني بعمان 1986

- 64- الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني بعمان 1987
- 65- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري. ت. محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر. القاهرة.
- 66- النكت في إعجاز القرآن للرّماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ت. د. محمد زغلول سلام. دار المعارف. ط(2) القاهرة. 1968
- 67- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ت. طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. الحلبي. ط(1) القاهرة
- 68- نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد ج4. ت. حسن تميم. مكتبة الحياة. بيروت 1964 وشرح محمد عبده وتحقيق محمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا. دار الشعب. القاهرة كما حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ج16. الحلبي. القاهرة.

(حرف التاء)

بين البسط والقبض في القرآن الكريم

أ.د. موسى محمد زنين^(*)

التاء حرف من حروف اللغة العربية، وهو الثالث في الترتيب الهجائي، وقيمته في حساب الجُمَّل - 400- والنسبة إليه تائيٌّ وتاويٌّ، فيقال مثلاً، قصيدة تائية وتاوية⁽¹⁾.

ومخرجه ما بين الأسنان العليا واللثة وأسلة اللسان. والتاء عند سيبويه حرف مهموس شديد⁽²⁾.

وفي اللسان "التاء من الحروف المهموسة، وهي من الحروف النطعية"⁽³⁾. وعند المحدثين: " فكل من هذه الأصوات، الباء، والdal، والتاء، والكاف... صوت شديد، والصفة التي تجمع بينها هي انحباس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباساً لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة ويحدث النفس صوتاً انفجارياً"⁽⁴⁾.

(*) كلية الآداب - الأصابع .

(1) المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، حرف التاء، ص 9.

(2) ينظر الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون 4/434.

(3) ابن منظور، حرف التاء 1/292.

(4) الأصوات اللغوية ، د.إبراهيم أنيس ص 23.

والتاء تكون مفتوحة ومربوطة، فالمفتوحة تسمى كذلك المبسوطة والطويلة، وهي حرف يلحق الأسماء والأفعال والحروف، وينطق تاء باستمرار في الوقف والوصل فهو أوسع استعمالاً.

أما التاء المربوطة، وتسمى كذلك المقبوضة والمقفلة، وتسمى كذلك هاء التأنيث، فلا تكون إلا في الأسماء ويكون ما قبلها مفتوحاً باستمرار. وتنطق تاء عند الوصل، وهاء عند الوقف، وتكون مربوطة ما لم تضاف لضمير، نحو: مدرستهم، سيارته، حقيبتها.

وتكون للتأنيث، نحو: قبيلة، فاطمة، وردة، وفي بعض صيغ المبالغة، نحو: علامة، نسابه، نابغة. وكذلك في المصادر الصناعية، نحو: قومية، عربية، وطنية. وفي الأجدية العربية لا يوجد حرف التاء المربوطة، فهي طائفة تتحول في الوقف إلى هاء، وهي امتداد إلى حرف التاء المفتوحة، التي هي الأصل في الحروف العربية "ومما يدل على أصالة المفتوحة في اللغة العربية أنها تعود للظهور مرة أخرى عند الاتصال بمضاف، فالتركيبة اللغوية تحتفظ بالعناصر اللغوية القديمة أو كما يقول النحويون: الإضافة ترد الأشياء إلى أصولها"⁽¹⁾.

غير أن الكوفيين يزعمون أن التاء المفتوحة أصلها هاء؛ لأن الوقف عليها هاء، يقول المالقي: "وليس ذلك بصحيح؛ لأن الوقف عارض، واللفظة تاء، وهو الأصل، فلا يعدل عن الأصل إلا بدليل قاطع"⁽²⁾.

⁽¹⁾ التأنيث في العربية، دكتورة رشيدة عبد الحميد اللقاني ص 107.

⁽²⁾ رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، ص 161.

والتاء بنوعيهما المبسوطة والمقبوضة يكتب كل منها وفق القواعد الاصطلاحية، التي اصطلح عليها العلماء، غير أن بعض الأسماء الواردة في القرآن الكريم، والتي حقها أن تكتب بالتاء المقبوضة، قد خالفت هذه القاعدة، وكتبت مفتوحة، والأصل في التاء الاسمية، والغالب في استعمالها أن ترسم بالتاء المربوطة، ويوقف عليها بالهاء، ومن أجل ذلك تسمى هاء التأنيث ولا فرق في ذلك بين رسم المصاحف العثمانية، ورسم الكتابة الإملائية غير أن هناك كلمات - كما قلت - خرجت عن الأصل الاصطلاحي في المصاحف العثمانية وكتبت بالتاء المبسوطة، وهي من الظواهر اللغوية الكتابية المحيرة في الرسم القرآني الشريف على خلاف القياس المتبع في الكتابة العربية، والتي تعد مهارة مهمة من مهارات اللغة العربية.

وليست هذه الظاهرة الوحيدة المخالفة للقياس المتبع في الكتابة العربية، وإنما توجد ظواهر أخرى كثيرة، يقول د. محمد صنكور: "فقد أبدل رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة طويلة في خمس عشرة كلمة وردت في القرآن الكريم بالروایتين المعروفتين - حفص وقالون - وكان أغلبها برواية حفص في الرسم العثماني الشريف"⁽¹⁾

وهذا البحث لا يدعو لإعادة كتابة الأسماء الواردة في القرآن الكريم، وإنما هو بحث لحصر هذه المواضع، والتعليل لذلك حسب رأى علماء السلف والخلف، يقول السيوطي فيما نقله عن البيهقي: "من يكتب مصحفا فينبغي أن

⁽¹⁾ من رسم التاء في القرآن الكريم، د. محمد صنكور، ص 228.

يحافظ على الهجاء الذي كتبوا بهذه المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير ما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نزن بأنفسنا استدراكاً عليهم⁽¹⁾.

وللعلماء في تعليل هذه الظاهرة آراء مختلفة، فمنهم من تناولها كلمة كلمة، ومنهم من تناولها بصفة عامة، وسنعرض أولاً الآيات التي تدخل ضمن هذا البحث، ورأى الزركشي في كل كلمة منها باعتباره يعلل لكل منها برأي خاص، ثم نتبعه بتعليل العلماء في ذلك.

أولاً: المواضع التي كُتبت فيها التاء مبسوبة بدل المفتوحة في القرآن، وتعليل الزركشي.

ابنة: وردت لفظة (ابنت) بالتاء المفتوحة بدل التاء المربوطة في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى (وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) التحريم: 12

يقول الزركشي: "مُدت التاء تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة⁽²⁾".

امرأة: وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في أربعة مواضع بالتاء المربوطة حسب القاعدة الإملائية، ووردت بإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة في سبعة مواضع هي: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا

(1) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق فواز أحمد زمرلي 403/2.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم 415/1.

فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) آل عمران: 35 (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ) يوسف: 30 (قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) يوسف: 51 (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ) القصص: 9 (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطِ) التحريم: 10 (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) التحريم: 11 يقول الزركشي "كلها ممدودة تنبئها على فعل التبعل والصحبة وشدة المواصللة والمخالفة والانتلاف في الموجود والمحسوس، فأربع منهم منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهم، وواحدة خاصة واصلت بعلها باطناً وظاهراً وهي امرأة عمران، فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين. وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله وتوكلاً عليه، وخوفاً منه، فنجأها وأكرمها وهي امرأة فرعون"⁽¹⁾.

رحمة: وردت كلمة رحمة بالتاء في تسعة وسبعين موضعاً على القياس باستثناء سبعة مواضع كتبت بالتاء المبسوطة، هي: (فَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) البقرة: 218 (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) الأعراف: 56 (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) هود: 73 (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) مريم: 2 (فانظر إلى آثار رحمت الله) الروم: 50 (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) الزخرف: 32 (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) الزخرف: 32.

⁽¹⁾ المصدر السابق 416/1.

وهي كما نرى رحمة مؤجلة ليست عاجلة فلا حدود لها وهي واسعة شاملة ومبذولة ومنتزلة فناسبها التاء المفتوحة⁽¹⁾.

سنة: وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً كتبت فيها بالتاء المقبوضة حسب قواعد الإملاء باستثناء ستة مواضع كتبت بالتاء المبسوطة.

(قَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) الأنفال: 38 (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) فاطر: 43 (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهُ) غافر: 85 (سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا) الإسراء: 77.

يقول الزركشي: يدل على أنها من الانتقام - أي المبسوطة - أما إذا كانت السنة بمعنى الشريعة والطريقة، فهي ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تأوّه كما في قوله تعالى (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) الأحزاب: 62 أي حكم الله وشرعه⁽²⁾.

اللغة: وردت في ثلاثة عشر موضعاً، منها أحد عشر موضعاً بالتاء المربوطة على القياس، وفي موضعين بالتاء المبسوطة، وهما: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) آل عمران: 61 (وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) النور: 7.

(1) المصدر السابق 414/1.

(2) المصدر السابق 413/1.

يقول الزركشي: "توقعها بمعنى الظاهر" (1).

جنة: وردت في ستة وستين موضعاً، كُتبت فيها بالتاء المربوطة على القياس، وكُتبت بالتاء المفتوحة مرة واحدة في قوله تعالى: (فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ) الواقعة: 89.

يقول الزركشي: "بمعنى التنعيم بالنعيم بدليل اقترانها بالروح والريحان" (2).
شجرة: وردت هذه الكلمة بالتاء المربوطة في عشرة مواضع حسب القياس، ووردت (شجرت) بالتاء المبسوطة في موضع واحد، هو قوله تعالى (إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ) الدخان: 43-44. "لأنها بمعنى الفعل اللازم، وهو تزقمها للأكل بدليل قوله (في البطون) (3).

كلمة: وردت في ستة وعشرين موضعاً كُتبت كلها على القياس إلا في موضعين كُتبت فيها (كلمت) بالتاء المبسوطة بدل التاء المقبوضة، وذلك في قوله تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الأنعام: 115، وقوله تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) الأعراف: 157.

هو ما تم لهم في الوجود الأخروي بالفعل الظاهر دليله في الملك وهو الاختلاف، وتامها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل فمدت التاء (4).

(1) المصدر السابق 414/1

(2) المصدر السابق 410/1

(3) المصدر السابق 413/1

(4) المصدر السابق 413-412/1.

بقية: وردت في موضعين بالتاء المربوطة، ووردت بالتاء المبسوطة في موضع واحد، وهو قوله تعالى (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) هود:86. "مدت تاؤه لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس، لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك"⁽¹⁾.

نعمة: وردت كلمة نِعْمَة في أربعة وثلاثين موضعاً بالتاء المقبوضة على القياس، وكتبت (نِعْمَة) بالتاء المبسوطة في أحد عشر موضعاً هي: (واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) البقرة: 231 وآل عمران: 103 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) المائدة: 11 (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا) إبراهيم: 28 (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) إبراهيم: 34 (وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) النحل: 72 (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) النحل: 83 (وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) النحل: 114 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ) لقمان: 31 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) فاطر: 3 (فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) الطور: 29.

والحكمة فيها...أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد، فهذه نعم متصلة بالظلم الكفار في تنزيلاً⁽²⁾.

قرة عين: وردت فيه مرة واحدة بإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة، قال تعالى (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) القصص: 9

⁽¹⁾ المصدر السابق 414/1.

⁽²⁾ البرهان : 413/1.

قال الزركشي: "مدت تاؤه لأنه بمعنى الفعل، إذ هو خبر عن موسى، وهو موجود حاضر في الملك، وهذا بخلاف (قرة أعين) الفرقان من 74- فإنه هنا بمعنى الاسم وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر"⁽¹⁾.

فطرة: وردت في موضع واحد حيث كتبت بالتاء المبسوطة بدل المقبوضة، وذلك في قوله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم:30

وصفها بأنها فطر الناس عليها، فهي فصل خطاب في الوجود⁽²⁾.

معصية: وردت في موضعين كتبت فيها (مَعْصِيَتِ) بالتاء المبسوطة، بدل التاء المقبوضة، وهما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) المجادلة:8 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) المجادلة:9

"مدت لأن معناها الفعل، والتقدير ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول، ونفس هذا التجو الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع الفعل عنه"⁽³⁾.

مرضاة: وردت في ثلاثة مواضع منها اثنان بالتاء المبسوطة بدل المقبوضة.

(1) المصدر السابق: 414/1.

(2) م. ن.

(3) م. ن.

قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: 114). (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) التحريم: 1.

جمالة: وردت في موضع واحد، كتبت فيه (جمالت) بالتاء المبسوطة في رواية حفص، وأما في رواية قالون فإنها قرئت بالجمع فلا إبدال فيها، قال تعالى (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) المرسلات: 32-33.

ثانياً: تعليل العلماء:

لقد اختلف علماء السلف والخلف في تعليل هذه الظاهرة، فعلماء السلف يرون كتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة، بأنه على مراد الوصل، بمعنى أن الكاتب إذا وصل الكلام كتب تاء، وإذا وقف كتب هاء⁽¹⁾.

ويرى أبو عمرو الداني أن ما رسم في المصاحف من هاءات التانيث بالتاء بأنه على الأصل، أو على مراد الوصل⁽²⁾.

وبعضهم يرى أن من وقف على تاء التانيث بالتاء، ورسمها كذلك تكون جارياً على لغة طائفة من العرب، أي على لهجة قبيلة عربية، يقول سيبويه: "وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف طلحت، كما قالوا في تاء الجميع قولاً واحداً في الوقف والوصل⁽³⁾".

(1) ينظر الكتاب، 167/4.

(2) ينظر المقنع، ص 77.

(3) الكتاب، 167/4.

ويظهر من نص سيبويه أن بعض العرب يقفون على التاء المفتوحة بدل التاء المربوطة، والتي تنطق في الوقف هاء.

يقول ابن جني "ولذلك لما شَبَّهوا - يقصد العرب - الوقف بالوصل، من نحو قولهم: عليه السلام والرحمت، وقوله بل جوز تيهاء كظهر الحجفت" (1).

وفي شرح المفصل "متى كان آخر الاسم تاء تأنيث من نحو: طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة، كان الوقف عليه بالهاء، فتقول هذا حمزه وهذا طلحه...، والذي يدل على أن الهاء بدل من التاء أنها تصير تاء في الوصل، والوصل مما ترجع فيه الأشياء إلى أصولها" (2).

ويعلل ابن يعيش هذه الظاهرة بقوله: "على أن من العرب يجري الوقف مجرى الوصل، فيقول في الوقف هذا طلحت، وهي لغة فاشية حكاها أبو الخطاب، ومنه قولهم: وعيك السلام والرحمت" (3).

والخوارزمي شارح المفصل، يقول: "من العرب إذا سكت على الهاء جعلها تاء، فقال هذا طلحت، وخبز الذرت" (4).

وفي حاشية الجار بردي لابن جماعة يقول عند شرحه لنص ابن الحاجب: "فيبدل هاء في الوقف" يستفاد منه أن التاء هي الأصل، وقوله (ومن العرب من

(1) الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار 304/1.

(2) شرح المفصل، ابن يعيش، 81/9.

(3) المصدر السابق والصفحة.

(4) التخمير، الخوارزمي، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، 236/4.

يقف عليها بالتاء) على هذه اللغة كتب في المصحف (إن شجرت الزقوم) (أهم
يقسمون رحمت ربك) وغيرهما⁽¹⁾.

ويقول الأشموني - "ومن إقرارها - يقصد التاء المربوطة - قول بعضهم : يا
أهل سورة البقرت، فقال مجيب: ما أحفظ منها ولا أيت ، وقوله:

الله أنجاك بكفي مسلمت

من بعد ما وبعد ما وبعد مت

كادت نفوس القوم عند الغلصمت

وكادت الحرة أن تدعى أمت

وعلى هذه اللغة بها كتب في المصحف (إن شجرت الزقوم) (وامرات نوح
وامرات لوط) وأشباه ذلك⁽²⁾.

وعلى رأي الأشموني فإن هذه الكلمات الواردة بالتاء المفتوحة بدل المربوطة
تكون على هذه اللغة.

والبيتان المذكوران من شواهد الخصائص، وابن يعيش، وابن هشام، وكل
محققي هذه الكتب تنسبهما إلى أبي النجم العجلي، ولكن الملاحظ أن هذين
البيتين اللذين ساقهما العلماء شاهداً على لغة طيء، إلا أن أبا النجم العجلي
ليس من طيء، وإنما هو من بكر بن وائل، فكيف يتكلم شاعر من قبيلة بلغة
قبيلة أخرى؟!

(1) مجموعة الشافية من علمي الصر والخط، 1/174.

(2) شرح الأشموني، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد 4/366-367.

ومن المعروف أن العرب تقف على الاسم المؤنث المفرد المختوم بالتاء على الهاء على سنة العرب في كلامها إلا قبيلة طيء فإنها تقف بالتاء، وهنا تكون هذه القبيلة لها خاصية في الوقف على التاء، ولعل هذا ما عناه سيبويه بقوله: "إن ناسا من العرب يقولون في الوقف طلحت".

جاء في دراسة اللهجات العربية القديمة: "فهم يقولون هذه جارية وهذا طلحة في الوقف، أما طيء فإنها تقف بالتاء، فتقول: جارىت وطلحت، وقد سمع بعضهم يقول: يا أهل سورة البقرة، فقال من سمعه: والله ما أحفظ منها أيت"⁽¹⁾.

يقول الدكتور حسام البهنساوي: "تعد ظاهرة الوقف على تاء التأنيث من الظواهر اللهجية الخاصة بقبيلة طيء من بين القبائل العربية، فمن المعلوم أن العربية تقف بالهاء في الأسماء المؤنثة، وتكون طيء قد وحدت حالة الوقف والوصل في صورة واحدة وهي التاء"⁽²⁾.

أما المحدثون فإنهم يرجعون هذه الظاهرة إلى العامل التاريخي، فيرون أن التأنيث في الساميات كلها لم تكن لها علامة سوى التاء، ولكن هذه العلامة خضعت للتطور على مر الأيام، ولعل الدليل على ذلك ما نراه في كتابة بعض الأسماء بالتاء، مثل: طلعت، نعمت، بهجت"⁽³⁾.

⁽¹⁾ دراسة اللهجات العربية القديمة - دكتور داود سلوم.

⁽²⁾ العربية الفصحى في لهجاتها ص 163؟

⁽³⁾ رسم المصحف إحصاء ودراسة، صالح محمد صالح عطية 173.

يقول غانم قدور: "فظلت تاء التأنيث ترسم تاء حتى في الوقف، لكنها على المدى الطويل بدأت تستجيب للظاهرة الجديدة، التي ربما بدأت تدخل مرحلة أخرى من التطور، وتعطينا الكتابة النبطية، والكتابة العربية القديمة مؤشرات لمراحل ذلك التطور فقد كانت الأسماء المؤنثة تكتب في النبطية بالتاء في معظم الأحوال، مثل: خلت (خالة) وملت (وائلة) غزلت (غزالة) ... وترينا بعض النقوش النبطية التي ترجع إلى القرن الثالث والرابع الميلاديين كلمة (سنة) مكتوبة بالتاء (سنت)"⁽¹⁾.

جاء في كتاب العربية الفصحى في لهجاتها فيما نقله عن الدكتور رمضان عبد التواب "إن الأعلام مثل: طلعت وعزت، وألفت، وحشمت، ونعمت، وحسنت، ومدحت، وعفت، وبهجت، وعصمت، وشوكت، ومرفت، وتروت، وغيرها، قد كتبها الأتراك بالتاء المفتوحة، وهي في الحقيقة ليست إلا الصورة التركية المكتوبة للمصادر والأسماء العربية طلعة وعزة..."⁽²⁾.

وفي الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، قدم الباحث عبد المجيد بن عثمان بن عيسى العرابي - الأردن - بحثاً لتعليل هذه الظاهرة بقوله: "التاء المقبوضة يدل قبضها على أن الشيء مجهول كله أو بعضه، ورسمها كالكيس مربوط إن عرفت بعض ما فيه فلا تعرف كل ما فيه.

⁽¹⁾ رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية - ص 273.

⁽²⁾ للدكتور حاسم البهنساوي، ص 165.

والتاء المبسوطة يدل بسطها على أن الشيء معلوم بين واضح غير مجهول، ورسمها كان كالصحن المكشوف لا يخفى ما يوضع فيه.

ويضع تعليلاً لكل كلمة واردة بالتاء المبسوطة بدل المقبوضة، فعلى سبيل المثال يقارن بين كلمتي (شجرة الزقوم) بالقبض و(شجرة الزقوم) بالفتح بقوله: جاءت تاء شجرة الزقوم مقبوضة فهي شجرة نكرة مجهولة حيث ذكرها في سورة الصافات في التخيير بينها وبين النعيم، قال تعالى (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) الصافات 68/67. أما في سورة الدخان ذكرت التاء في شجرة الزقوم مبسوطة للعنتها ومكانتها في جهنم، فبسطت تاؤه لاختلاف حالها في الآخرة عن حالها في الدنيا (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ * طَعَامٌ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) الدخان: 43.

ويمكن القول عن هذه الكلمات التي كتبت فيها التاء مبسوطة بدل المقبوضة هي التي تتطلب التعليل لمخالفتها القياس وكما هو معروف قداسة القرآن، وتواتره، وتوقيف رسمه، تركت الظاهرة على الشكل الذي رسمت به عند كتابتها، ونحن نعرف أن كل كلمة، أو كل حرف، أو كل حركة تؤدي معنى لا يمكن أن تؤديه مثيلتها.

جاء في كتاب دراسات جديدة في إعجاز القرآن: "توزيع مادة الكلمة الواحدة على منهج بديع فيستعمل بعض صورها في معنى لا يستعمل فيه صورة أخرى من صورها وكأن الكلمة الواحدة فيه كلمات بحسب ما تدل عليه وليست كلمة واحدة"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ دراسات جديدة في إعجاز القرآن، دكتور عبد العظيم المرطعي، ص 160.

ومن خلال تدبر ما قاله علماء السلف والخلف في تعليل هذه الظاهرة يمكن أن تقول إن حرف التاء المبسوطة الأصل والمربوطة فرع عليها، كما تقدم، وهذه التاء المبسوطة الأصلية تعطي معنى عكس الفرعية؛ لأن الأصل أبلغ في المعنى، وأعمق في التعبير، وأوضح في البيان، وأقوى في المعنى، يقول الدكتور عبدالغفار حامد هلال: "إن التاء أظهر من الهاء"⁽¹⁾. ويقول أحمد مختار عمر: "التاء من ضمن الحروف التي لها صفة واحدة قوية، وأما الهاء فهي من الأصوات الضعيفة"⁽²⁾.

ومن هذا استحقت الكلمة الواردة في القرآن أن تكتب بالتاء المبسوطة نظراً لما تتميز به هذه التاء، فعلى سبيل المثال عند قوله تعالى (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)، فإن هذه المرأة التي يملأ قلبها الإيمان في بيئة كلها كفر، وزوج طغي وتجبر، وقال أنا ربكم الأعلى، فإنها جديرة بالتاء المبسوطة، التي تعطيها المكانة التي وصلتها بإيمانها لتدعو الله أن يبني لها بيتاً في الجنة، وعكسها امرأة العزيز التي خانت زوجها جدياً، وحاولت مع يوسف عليه السلام ولكنه أبي ذلك عندها ادعت عليه ظلماً وبهتاناً كما هو معروف في القصة، فأصبح كيدها عظيم، فهذه تستحق التاء المفتوحة لتعبر عن خيانتها وكيدها.

وكذلك الحال في امرأة نوح وامرأة لوط، وامرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها، يقول القرطبي: "إن سبب قول امرأة عمران هذا أنها كانت كبيرة لا تلد،

(1) اللهجات العربية نشأة وتطوراً، ص 347.

(2) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص 32.

وكانوا أهل بيت من الله بمكان... ودعت ربها أن يهب لها ولداً، ونذرت إن ولدت ولدها محرراً، أي عتيقاً خالصاً لله تعالى"

وبهذه المكانة، وهذه الدرجة استحققت كتابتها بالتاء المفتوحة.

وكذلك مريم أبنت عمران وما وصلت إليه من العفة والطهارة، فهي أكثر امرأة نالت شهرة في الأرض، فكان حقها أن ترسم بالتاء المفتوحة لما تقدم والله أعلم.

وفي نهاية البحث نقول إن هذه الظاهرة تناولها علماء السلف والخلف، فعلماء السلف يرجعون ذلك إلى قبيلة طيء العربية، بينما معظم الدراسات الحديثة يرجعونها إلى التطور التاريخي لحرف التاء، مؤيدين رأيهم ببعض الحفريات والآثار التي لا زالت تحتفظ بشيء من ذلك. وبعضهم يعللها بأمر آخر، كما رأينا في البحث. والله أعلم

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1- الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي طبعة 1999م.
- 2- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية طبعة 1987م.
- 3- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العربية.
- 4- التأنيث في العربية، د. رشيدة عبد الحميد اللقاني، دار المودة الجامعية، طبعة 1990.
- 5- التخدير، الخوارزمي، تحقيق د. الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1990م.
- 6- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، طبعة 2.
- 7- دراسة اللهجات العربية القديمة، دكتور داود سلوم، مكتبة النهضة العربية، طبعة 1986م.
- 8- دراسات جديدة في إعجاز القرآن، الدكتور عبد العظيم إبراهيم المرطعي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 1998م.

- 9- دراسة لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، دكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى 2001م.
- 10- رسم المصحف إحصاء ودراسة، صالح محمد صالح عطية، جمعية الدعوة الإسلامية.
- 11- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، غانم قدور الحمد، الطبعة الأولى 1982م.
- 12- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مكتبة الثقافة الدينية.
- 13- شرح الأشموني، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث.
- 14- قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- 15- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، 1982م.
- 16- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.
- 17- اللهجات العربية نشأة وتطوراً، د. عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي 1998م.

- 18- مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط وشرحها للجاربردي عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1984م.
- 19- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.
- 20- المقنع، أبو عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد همان، دار الفكر دمشق.
- 21- من رسم التاء في القرآن الكريم، د. محمد صنكور، جامعة أهل البيت العراق.

القلق في شعر علي الفزاني^(*)

د. سوف أبو القاسم الرحيبي^(**)

1- ملخص البحث

نعرض في هذا البحث لظاهرة القلق في شعر شاعر ليبي مكنته موهبته من الوصول إلى العالمية، بل أصبح من الشعراء الذين كان شعرهم شاهداً على مرحلة مهمة من تاريخنا الليبي والعربي، وقد عرضنا لمظاهر القلق وفق رؤية علمية منطقية استفدنا فيها من طروحات علماء النفس، والاجتماع، والفلسفة، ليخرج البحث بالنتيجة التي توقعناها منذ البداية، وهي وجود هوة كبيرة بين الفزاني والمجتمع، وإن تظاهر بالثورية والتمرد، فتمرده لم يكن سوى تعبير نفسي واضح على عدم القبول لواقع هو يراه ليس سوي، بمعنى أن النظرة الشعرية للفزاني جعلته ينظر بمنظار آخر ويشاهد من زوايا مختلفة.

ولا نريد هنا الاسترسال في التحليل، فليس هنا محله، بل أردنا التوضيح لما كان يفسر الحياة القلقة التي نقرأها في شعر علي الفزاني.

^(*) علي عبد السلام الفزاني، 1947م-2000م، ولد بمدينة صرمان غرب مدينة الزاوية، نُشرت له العديد من الدواوين منها: رحلة الضياع 1967م، أسفار الحزن المضيئة 1968م، قصائد مهاجرة 1869م، يُنظر عبدالله مليطان معجم الشعراء الليبيين، ص: 243.

^(**) محاضر الألب الحديث، كلية الآداب - الأصابعة

وفي هذا البحث نتناول تعريف القلق بوصفه خبرة شخصية مؤلمة يعيشها الشاعر، نتيجة شعوره بعدم الاهتمام من الأفراد المحيطين به، وكذلك شعوره بعدم القدرة على إقامة علاقة اجتماعية انعكست في مجمل شعره، ثم ندرس مظاهره في شعره، لتتوقف بعد ذلك على أهم النتائج.

2- مفهوم القلق:

لقد كان القلق-ولا يزال- من الموضوعات المهمة التي اهتم بها علماء النفس والاجتماع والفلسفة، فالإنسان يمتلك استعداداً عاماً للقلق، ليأخذ حذره من مخاطر الحياة، كما أن معظم القلق ينشأ معه نتيجة لتعرضه لتجارب صادمة في مراحل حياته الأولى بصورة خاصة تظل كامنة لسنوات عديدة في أعماق الذاكرة، أو ما يسمى عالم اللاشعور، فهو (أحد الانفعالات البدائية العنيفة، يمتلك المرء فيشله عن الحركة ويخمد نشاطه، ويتصف القلق بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم، كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب أو الفرار أمام المثير الخارجي)⁽¹⁾ وهو أيضاً (استجابة لبعض المثيرات المنتجة له، مثل الشك والتردد والفرع والاشمئزاز، وتثار هذه الاستجابات بحدوث بعض الأشياء التي قد توصف بصفات متعددة مثل مخيفة محذرة، واستجابة القلق قد

(1) آرنوف ويتج، مقدمة في علم النفس، ترجمة: عز الدين الأشول، دار ماكجروهيل، 1977م، ص: 134.

تؤدي إلى استثارة سلوك آخر مثل الهرب أو العذر أو الهجوم⁽²⁾ وبسبب تلاحق الأزمات وتسارعها، وانتشار وسائل القهر والقتل بين الناس، شكّل القلق (عاملاً مشتركاً بين الأدباء، في كلّ مكان من العالم، نظراً للظروف التي تمرّ بها المجتمعات الحديثة، وهي ظروف يشوبها التوتر والضياع، الذي يعيشه الإنسان العصري)⁽¹⁾ في شتّى دول العالم، وتأثر الإنسان والشاعر بطبيعة الحال بالظروف القاسية التي عايشتها البشرية في العصر الحديث كونها الحاوية للموجودات المتكاثرة، ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي⁽²⁾ ولذا سيكون من الطبيعي أن يتأثر الإنسان بهذا المحيط الذي يعج بالحركة.

3- تحليل:

أمام تعدد الأشكال وتعدد الحياة صرنا أمام أزمات أخطبوطية يصعب حتى تحديدها أو فهمها، ف(الشاعر القديم كان يقف برؤيته-في الغالب-عند حدود الوجه الواحد، فإذا هو رأى الوجه المُطْرَبَ طَرِبَ وإن هو رأى الوجه المُحْزَنَ حزن، أمّا الشّاعر المعاصر فقد اتّسعت رؤيته واكتسب نوعاً من الشّمول، فلم تعد أشكال الحياة أمامه ألواناً مختلفة يستقل بعضها عن بعض

⁽²⁾ السابق، الصفحة ذاتها.

⁽¹⁾ محمد عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، الطبعة: الأولى، 1984م ص: 123.
⁽²⁾ المصدر السابق: 126.

وإنما تتمازج فيها الألوان لكي تصنع الصُّورة العامّة، ومن ثمّ لم يعد الشّعْر المعاصر سوى الجانب النَّاصع وحده، أو الجَانِب القاتم وحده، وإنّما يرى الجانبين ممتزجين، فإذا هو رأى الجانب القاتم ⁽³⁾ زاده قتامة، وإذا رأى الجانب المشرق قتمه، لماذا؟ لأن السمة الدائمة للإنسان في عصرنا لا تبعث في الحياة جمالها رونقها، بل تزيدها سوداوية أخرى).

وموضوع القلق يشكّل نقطة مهمة في حياة علي الفزاني، (بوصفه حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الفرد في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكاً يحاول به الابتعاد عن مصدر الضرر)⁽¹⁾ تلك التي نقرؤها في شعره، فتشعر كأنك أمام مأساة حقيقية عاشها الشاعر في مجتمعه وفي عالمه، ولسنا نسيء إذا ما قررنا أن القلق في شعره ليس كله بمؤثرات خارجية، وبأدق ليس بأفعال خارج الشاعر، بل نعتقد أنه وجد الأساس والأرضية الصالحة لنموه في داخل علي الفزاني ذاته لأسباب كثيرة نشير إليها بحذر منها: لونه الأسود، فربما شعر الفزاني بجفاء من المجتمع الذي عاش فيه أو أقام، وهنا نجد ما يبرر لهذا القلق، ومنها تأثره بالتمذهب الشيعي، فلم يكف الفزاني من الإشادة بآل البيت والمظلمة التي تعرضوا لها، وهنا يبرز القلق أكثر ويتعمق باطراد، لتخرج أمامنا

(3) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م،

الطبعة: الأولى، الجزء: الحادي عشر، ص: 461.

(1) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

صور قاتمة انتهت إلى بذرة صالحة للقلق، أو الخوف، أو الحقد على المجتمع أو من ينتمي إليه.

ولعلنا لا نبعد كثيراً، خاصة عندما نلاحظ هذا القلق والكره عند شاعر آخر شابه الفزاني أو أنه قاربه، أو الأحوال الخاصة قد جمعت بينهما، وهو عنتره ابن شداد الذي كان لونه سبباً في معاداة قومه له أو عدم الفخر بهم وفخره بذاته وانتصاراتها على واقعها الأسود السوداوي المخيف، ولعل ذلك الواقع جعل من عنتره فارساً، وجعل من غيره مجرد صعاليك قطاع للطرق ثائرين على واقعهم المرفوض عقلاً، ولكن الواقع -واقع الفزاني- وإن كان مقارباً، لم يجعل منه فارساً، وربما جعل منه ثائراً لم تسمح له حياته بأن يصبح ثائراً بيده، ولن نقبل بالتبرير المتكرر الذي يفسر ذلك على كونه شاعراً سلاحه الكلمة، فعنتره، وخفاف بن ندبة السلمي، والسليك بن سلكة السعدي، شعراء، ولم يكتفوا بالكلمة، بل ثاروا بسيفهم متمردين على تلك الأحوال غير السوية.

وقد حاولت أن تكون مباحث هذا العمل متصلة ومتواصلة تعبيراً عن عدم وجود ضوء أو انفراجة واضحة في شعر علي الفزاني، ويمكن للقارئ استجلاء القلق بصورة متصلة في شعر علي الفزاني كونه لم يتعلق بموقف محدد مؤقت سرعان ما ينتهي، بل هو القلق الدائم والمستمر الذي تجسد في تلك القصائد الخالدات.

سنلاحظ فيما يلي من نصوص شعرية لشاعرنا الفزاني قلق مخيف بل ومرعب، تبدو دوافعه لدى الفزاني متنوعة ومتعددة، لعل بعضها طرحناه قبل

قليل، وهو ما يتصل بوجود فجوة محددة بينه وبين الناس في مجتمعه وفي غيره، أو ما يمكن تسميته بالدوافع الخاصة أو الذاتية، تلك التي تتعلق بشخصية الفزاني نفسه، والتعلّة في ذلك نرجعها إلى وجود انفصام بينه وبين الآخر، هو واقع أسلافه، عنتره وغيره، مع أن الطبيعي (أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقّة)⁽¹⁾ ولكن هذا الاشتياق لا وجود له عند من يفقد الحميمية، يقول في قصيدة طويلة تجزيء منها:

قلتُ للشيخ: طريقي ضاع مِنّي

فأدعني

قال: زدني

قلتُ: آتٍ من ليالي الشرق سكران بحزني

قال: زدني!

قلتُ: يا شيخ أنا أخشى عذاباتي وسجني

قال: زدني!

قلتُ: لا أقوى على البوح - وإني

قال:

دعني!

سيدي تلك - جوازات - مروري والحقيقية

(1) الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، تحقيق: طاهر الجزائري، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1982م ص: 8.

واسطوانة

وكتاب وجوارب

وشريط لحديث - فوضوي عبر حانة

ليس في الخرج - أداة للحلاقة

أو قذيفة!

وحده الصمت في حلقي قذيفة⁽¹⁾

يصوّر النص قلق الشاعر من خلال المرجع أو الشيخ، أو من خلال الصور التي قدمها خطاب الشاعر (قلت: آتٍ من ليالي الشرق سكران بجزني) فالحديث الذي يظهرها هنا على أنه حديث حميمة وراحة، ما هو إلا الشكل السطحي له، فالتعمق أكثر يبرز مدى فاعلية القلق والنزف الذي يبرزه حديث تلك الضحية (الشاعر) (وكأن العملية "مُطَّ" للقلب الشعري دون أن يفقد خصائصه البنائية التي هي له أصالة، بل نحسب المط والتمديد ظاهرة نتوهمها ونحن نقرأ القصة الشعرية دون أن يكون لها وجود فعلي، وأنها مجرد إحساس غامض يوهمنا به السرد أثناء ملاحقة الحدث)⁽¹⁾ وانطلاقاً من النظرات التي يمكن أن تتحكم في المقاصد الواقعية والعصرية والوجودية التي رمى إليها النص، ولدى كلّ سطر نجد سواد يفضي إلى مثيله أو ما يقاربه (قلت: يا شيخ أنا

⁽¹⁾ علي الفزاني، المجموعة الشعرية الكاملة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،

طرابلس، 1975م، الجزء: الأول، ص: 19-20.

⁽¹⁾ مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص: 127.

أخشى عذاباتي وسجني) تجسد في صورة القهر والظلم وهما (لا يحدثان في الفراغ بل من استلاب الوعي والواقع عبر صراع يمتد من اللغة إلى الاجتماع والتاريخ)⁽²⁾ من خلال الصمت والسجن والحلق المغلق، الذي نتج في جو قلق غريب، وهذا هو التعبير الواضح لذلك السوداوي المشبع بالظلم والقهر.

المقدمة الأولى للقلق، هي السؤال، والسؤال إن وجهه إلى الشيخ الذي أرادته الفزاني من ذوي التجارب فنتج عنه حوارية تصب في القلق ولا تفضي إلى شيء، فتبرز قضية مهمة وهي علاقة الجسد بالقلق، أو دلالة الجسد عليه، أو قضية تشكل الجو العام، والدور الذي يؤديه الجسد في هذا التشكل⁽³⁾، وهنا تعكس سرديّة القلق في النص السابق إشكالية واقعية، بوصفه مفهوماً وغريزة شكلتها في الطبيعة الإنسانية مجموعة من الثقافات، ثقافة الوجود على الأخص، والشيخ الذي سلط الشاعر منها ضوء الكشف ليُعري السائد العام، هذا التصوير، وتلك الدلالة، يعرضه النص لتصوير الأفق الاجتماعي، ولم يجد النص طريقة أشد دلالة من (زدني) لأنه لم يدخل في البداية إلى بحث العلاقات الاجتماعية، لذلك استعان بالشيخ ليقدم تصوّره الأوّل عن هذا المجتمع، فالقلق (يتسبب في مزاج هابط لا يمنعك من السير في حياتك الطبيعية، لكنه

(2) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

(3) انظر: حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل و الهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991م، ص: 57.

يصعب عليك القيام بالأمر، ويجعلها تبدو أقل قيمة في أعنف حالاته⁽¹⁾ ويأتي بعدها الانتقال إلى المعنى الخاص الذي يتمثل في (القنوط، واليأس، وانقطاع الأمل، والخوف، فيصاحبها اتجاهات سلبية، وتغيرات في محيط الدافعية، أو في القوى الدافعة المحركة للإنسان، وفي الانطباعات المعرفية، وبشكل عام في السلوك السلبي، والفرد في حالة القلق يخبر بعض الانفعالات، منها الحزن أو الميلاخوليا)⁽²⁾ أو اليأس أو الصمت الذي يجعله في الغرف المظلمة السوداء، ليعمم النص السواد على الأنحاء الباقية (وحده الصمت في حلقي قذيفة) يقول:

جسدي كان المسيح

وانحناءاتي طلاء يخدع الطاغوت -

لا بد من العرى - إذا اشتدَّ من قهر جموح

وطني امرأة أسكن فيها

هذه الكينونة الأولى - رغبتني كون فسيح

كان لي ملكاً وحيداً

أصبحت ملكين - صاراً عالمين

⁽¹⁾ عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، قوة للإنسان، مكتبة مدبولي، القاهرة،

الطبعة: الأولى، 1983م، ص: 14.

⁽²⁾ المصدر السابق، ص: 18.

أصبح السلطان والعفريت عندي

لعبتين

سأعيد الجن لأصفاد مغلول اليدين

والذي أظهر علماً

سوف يغدو - للنخاسات

رهين⁽¹⁾

ينفتح النص أمام مأساة، تحول فيها المجتمع إلى غابة توحش فيه الناس، ليذهب بمعنى المرأة ويعود بها إلى أزمنة أخرى وعوالم قديمة، عالم بيع وشراء الأجساد، حيث البيع لمن يدفع أكثر وهنا نحن أمام نص خرق مسافات الزمن ليعيده من جديد، حيث العبد عبد والسيد سيد، فلقد أراد الفزاني أن يعيش في عالمه هو انتجه قلقه من عالم يشاهده يسعى من خلاله إلى تكوين الخصوصية الفردية التي تقول إن الإنسان هو الإنسان مهما حاول الاستتار وراء بهارج الحضارة والتلوين والتزييق، لقد أراد القول: إن السادة سادة والعبيد عبيد، لا فرق في الأزمنة، وإن قسمها قسمين (صارا عالمين) لقد ظهر القلق سوداوياً لا شك هو نتيجة تاريخ يسكن الإنسان ويجبره على الخضوع والاستجابة له، إنه عالم لا مهرب منه ولا مسرب.

⁽¹⁾ علي الفزاني، المجموعة الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 19-20.

إننا أمام القلق المأساوي الذي (يقع خارج عالمنا الداخلي، وبمعزل عن منظوماته المختلفة على خلاف الفن المتجذر في الداخل، إننا نلاحظ دائماً أن الخارج الطبيعي لا يمكن أن يعطينا ما لا نملكه في داخلنا)⁽¹⁾ ولذا أسقط الشاعر العناصر الخارجية على الذات واهتم (بتصوير مرحلة الطفولة لأنهم كانوا يمجدون حياة الفطرة والبراءة ونقاوة القلب والسريرة ووجدوا من ثم في الطفولة تعبيراً عن الدهشة وتجسيداً لإدراك العالم على نحو سحري)⁽²⁾ ولهذا الوجه ما يدانيه في اتجاه الشعراء إلى (المعجب والخارق والمعجز الذي يجاوز عنصري الزمان والمكان، ويعلو على الطبيعة والمدرّك الحسي المعتاد)⁽³⁾ ويتجلى هذا في إعادة الزمان وحده، لأن الإنسان هو الإنسان لم تغيره الحضارة، ولم تؤثر فيه، والأدلة التي تجعل من توجه الفزاني ذاك التوجه كثيرة لا سبيل لشرحها وفرزها، يقول:

مفكرتي الصغيرة

صفحات بيضاء لم أكتب فيها شيئاً بعد

من الغباء أن يكتب المرء كل شيء

(1) صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى، 2003م، ص: 18.

(2) عاطف جودة، الخيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص: 248.

(3) المصدر السابق، ص: 258.

عليّ أن أعيش في هذا العصر
بذاكرتين واسعتين
وأن أقذف نفسي بين المسافتين
أختبئ هناك كسمك قرش في ظلمات المحيط
هكذا يمكن أن أمارس تلقائيتي
وفوضويتي بعيداً عن أعين اللصوص
مساحة الاغتراب أوسع من مساحة الأرض
أوسع في الذهن من الكون
يمكن للمرء أن يصنع من الكارثة
شيئاً مفيداً للآخرين
حفاة الغرباء أقوى قدماً
عراة الناس أصدقاء الفصول
للجياح مآدبة سرمدية
قد تكون هي الجوع
هكذا نحن لن نخسر شيئاً
(إذا زلزلت الأرض زلزالها)

إذ - ذاك نكون على علاقة جيدة

بأسوأ الأشياء⁽¹⁾

إنّ الفزاني في النص السابق يبرز قلقاً موحشاً، وكأننا أمام ذلك الوجد الداخلي الذي يلامس الروح بكثير من الأسى (مساحة الاغتراب أوسع من مساحة الأرض) إنّه يسرد التفاصيل الصغيرة، والمواقف، والأحداث مع نسبية الحركة التي تجعل من القلق يتسع، ف(الشعور بالضيق والاضطراب وعدم الاستقرار النفسي يصحبه شعور مبهم بالخوف من شيء غير محدد بالذات أو من توقع حدوث شيء ما، وهو يتفاوت في الشدة من مجرد شعور بالاضطراب إلى شعور مرعب يعجز الإنسان معه عن أداء أي شيء)⁽¹⁾ وفق ذلك الحد لا يجد الفزاني إلا أن يعيش بذاكرتين واسعتين، ف(سمة القلق عن طريقها يمكن الكشف عن حالات القلق في الماضي، كما تعكس احتمال أن يعاني الفرد من سمة القلق في المستقبل وكلما كانت سمة القلق أقوى زاد احتمال أن يعاني الفرد من ارتفاعات أشد في حالة القلق في المواقف التي تتضمن تهديداً)⁽²⁾ ومن ثم يشعر الإنسان وكأنه من يصنع قلقه أو كارثته، لنذكر من خلال النص أنّ قلق الشاعر كان متلازماً مع فقدان الثقة بالمجتمع (من الغباء أن يكتب المرء كل شيء) لي طرح النص القلق بمعادله الموضوعي (الاغتراب) بوصفه معضلة وعقبة

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 14.

⁽¹⁾ عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، ص: 27.

⁽²⁾ المصدر السابق، ص: 33.

فهو حلقة سلبية أساسية من الحلقات التي تجشم على صدر الشاعر فـ(نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان على إضفاء معنى على الحياة التي تحيط به، هذه النماذج تنطوي دوماً على سمات مكانية وقد تأخذ هذه السمات تارة شكل تضاد ثنائي)⁽¹⁾ حيث أمدّها الشاعر هنا بالتشكيل القلبي فهناك قصور في تفكير الأفراد (مع نسبية الرؤية) التي تسيطر عليهم رؤية ضيقة، فندرك أنّ القلق الذي طرحه الفزاني جعله ينعم بالألم ويرتكز على الشعور بأنّ الأفراد في الواقع قد فقدوا جوهر الإنسانية الحقيقي.

إنّ القلق أو سوداويته (ليس مَرَضاً كما أنّه ليس نعمة، إنّه ملمح رئيسي للوجود الإنساني)⁽²⁾ في هذا العالم، ثم (ما الذي يفقده الإنسان، وكيف يفقده؟ إنّه وهو ينتج أشياءه إنّما يفقد ذاته في شيءٍ خارجي عنه ... إنّ جزءاً من النفس يتجه إلى الخارج، وهذا الجزء إذا وقف معادياً للإنسان سقط في التشيؤ، وأصبح الشيء الذي أنتجه غريباً عنه، أمّا إذا اكتشف في الشيء المنتج ذاته فلائّه يكون قد ضاعف ذاته، ويتّحد مع إنتاجه من جديد، ويستعيد الوحدة السابقة ولكن بعد أن يكون علا على الوحدة البدئية)⁽³⁾، في عملية معقدة، داخلية نفسية، وخارجية سياسية، واجتماعية وحضارية.

(1) المصدر السابق، ص: 65.

(2) السيد علي شيا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، دار الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى 1984م، ص: 19.

(3) المصدر السابق، ص: 37.

ولا بدّ من الإشارة إلى أننا إزاء (حالة انفعالية، يشعر فيها الفرد بالانقباض والحزن والضيق وتشيع فيها مشاعر الهم والغم والشؤم، فضلاً عن مشاعر القنوط والجزع واليأس والعجز وتصاحب هذه الحالة أعراض محددة متصلة بالجوانب المزاجية والمعرفية والسلوكية ومنها نقص الاهتمامات وتناقص الاستمتاع بمباهج الحياة)⁽¹⁾ أما تسمية القلق بالسوداوية الاجتماعية، أو السياسية أو النفسية فذلك راجع - كما أعتقد - من دواعي حياة الشاعر نفسه - التي يصعب تفسيرها هاهنا - التي أمدته بعناصر متنوعة.

لقد تحوّل الفزاني في صراعه مع القلق إلى حي ينتظر الموت، وتحوّلت الحياة إلى ظلام يمتلك إمكانية التأثير العميق فيه، فيبدو (أن فاجعة البقاء أثقل من فاجعة الموت، إذا كان البقاء رديف السكون، والهمود، والانتظار الذي لا رجاء فيه، ولا أمل بعده)⁽²⁾ هذا النص تجربة ذاتية مفعمة بالصدق العاطفي الناتج عن الحس العميق بمأزق القلق.

والنص التالي مشحون بعذاب النفس وأرقها؛ في (حالة انفعالية عابرة أو دائمة تتصف بمشاعر الانقباض، والحزن، والضيق، وتشيع فيها مشاعر كالهَم، والغَم، والشؤم، والقنوط، والجزع، واليأس والعجز، وتترافق هذه الحالة مع أعراض تمس الجوانب الانفعالية والمعرفية، والسلوكية، والجسمية تتمثل في

(1) المصدر السابق، ص: 14.

(2) حبيب مؤنسي، فلسفة القلق، ص: 44.

نقص الدافعية وعدم القدرة على الاستمتاع⁽³⁾ ذلك أنّ الداخل اتكأ على مشهد في الخارج، يعبر بواسطته على ما يحسّه، مما أبعدته عن الوصفية الساكنة، وليس من شك في أنّه يعبر عن ذات تعيش عزلتها؛ من هنا، فإنّ النص نموذج معبر عن القلق الذي وسم حياة الفزاني وشعره:

ينشقُّ بطنُ الأرض بالزلازل
تحترقُ البيوت والكروم والسنابلُ
يجتاحنا الطوفانُ والتتارُ والجحافلُ
تمطرُنا السّماءُ بالصخورِ والقنابلِ
تنهارُ فوقَ صدورنا دعائمُ المنازل
يعودُ هتلىُ المجنونُ صائلاً⁽¹⁾

إنّ المعاناة الروحية للشاعر قد وجدت في الانهيار مخرجاً في التعبير عن إشكالاتها فمن خلاله، تمّ التعبير عن الفراغ الروحي، وعن العلاقة المتأزمة بينه وبين المجتمع، وعن القلق النفسي وعن الإحساس الحاد بالعزلة والتوحد، ف(الشخص الذي يتصف بمستوى عالٍ من النزوع أو التهيؤ للقلق، يكون

(3) عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، ص: 36.

(1) محمد سعيد سلامة، (مدى فاعلية برنامج علاجي معرفي سلوكي في تخفيف حدة الاكتئاب لدى الأطفال) رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2003م، ص: 67.

مهيئاً لأن يدرك أخطاراً دائمة في علاقته بالآخرين، تتضمن هذه الأخطار غالباً القلق وعلاقته بالاكْتئاب، والتهديدات لتقديره لذاته، ويستجيب الفرد لهذه التهديدات بمستوى كبير من حالة القلق، وذلك أكثر من الشخص الذي يتصف بمستوى منخفض من سمة القلق، فحالة القلق تعني رد فعل لما نعيشه من مواقف في زمنٍ محدد، في حين إن سمة القلق تعني ما هو كامن ومتأصل في نفوسنا⁽¹⁾ إنَّ ثمة تكاملاً وتجادلاً بين الانهيار، والتهديد، والزلازل، والحرق، والكروم، والسنابل والطوفان، والتتار، والجحافل، لتصبح هي الحالة المفزعة التي تجمع الانهيار والزلازل القضية الأولى في النص الشعري، فالزلازل في تحوّل دائم إلى الدمار، ومنه إلى التأزم النفسي الذي يعيشه الشاعر ويحيا به.

ولا بدّ من القول: إنَّ التوتر والألم في الشعر العربي المعاصر عامة، وفي الشعر الليبي على وجه الخصوص، ظواهر أصيلة، تستند إلى (حامل اجتماعي أصيل أيضاً، لذا، فإنّ هذا التوتر أو الانخلاع الذي أخذ يعيشه الشاعر المعاصر إلى حدّ بات من الممكن عنده القول: إنَّ القصيدة المعاصرة هي قصيدة الأزمة، أو قصيدة الإشكال، هذا التوتر وهذا التأزم، لا يمكن القول بأنّهما مستوردان من الغرب، كما زعم بعض أعداء الشعر المعاصر، بل هو انعكاس لألم صميمي بين أفراد الجنس البشري بعامة، وهو في الوقت نفسه نتاج الذعر الذي يثيره واقعنا⁽²⁾ الخاص وواقعنا التاريخي المهزوم، يقول:

(1) المصدر السابق، ص: 78.

(2) يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1980م، ص: 26.

رَبَّاهُ هَذِهِ بَصَارَةُ الْبَلَدِ الْآمِنِ

تَخْفَرُ رَمْسَهَا ⁽³⁾

وَهَذِهِ زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ تَجْرُعُ السَّمَّ

انتحاراً تقطعُ جبلَ الوريدِ

أَسْأَلُ هَذِهِ مَاذَا رَأَيْتِ؟ أَسْأَلُ

أَخْتَهَا مَاذَا هُنَاكَ؟

تقولان: قيامَةٌ - للخيانةِ ترجعُ مِنْ

جديدٍ

يَكْتُبُ الْمَرْجُفُونَ (لِبَغْدَادَ) اسماً جديداً

بِدِي النَّبَوِيِّ

سَأَكْتُبُ اسْمَكَ عَلَى جَبْهَتِي - وفوق الصَّراطِ

الْمَحْمِيِّ وَعَلَى

أُزْمِنَةُ تَأْتِي - أُسْمِيكَ مُدْنًا غَائِبَةً ⁽¹⁾

⁽³⁾ كُلُّ مَا هَيْلَ عَلَيْهِ التراب فهو رمس، لسان العرب، دار صادر، الجزء: السادس، ص: 101.

علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 52-53.

⁽¹⁾ بدر محمد كاظم، علي مهدي، الفروق في القلق والاكتئاب بين طلاب وطالبات جامعتي الكويت والسلطان قابوس، حوليات مركز البحوث والدراسات النفسية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الثالثة، القاهرة، 2007م ص: 29.

لقد كان الفزاني غريباً في بلاده، لأنّها تشعره بالعبودية، وتحرمه من أدنى حقوقه الإنسانية، وهذا ما يسوقنا سوقاً إلى تجارب أخرى مشابهة، فنحن نقرأ هذا النص نشعر بروح عنثرة الحاضرة تحوم حول النص لتمده بكل معالم الكره والحقد والرفض، وهنا يصبح الشاعر (أقل استجابة وأكثر تركّزاً حول ذاته، ويميل إلى الذكريات، وتكرار حكاية الخبرات السابقة، وتضعف ذاكرته ويقل اهتمامه وميوله، وأيضاً تضعف طاقته وحيويته، ويشعر بقلّة قيمته في الحياة، وهذا يؤدي إلى الاكتئاب والتهيج، وسرعة الاستثارة، والعناد والنكوص إلى حالة الاعتماد على الغير، وإهمال المظهر وباختصار يصبح صورة كاريكاتيرية لشخصيته السابقة)⁽¹⁾ لذ يكون من المنطقي أن تتوسع دائرة الإحساس بالسوداوية لدى الشاعر، إذ كان النفي نفياً الآخرين عامة، لهذا فإنّ ردة فعله الواضحة على قبح الظروف المحيطة تستعدي حضور التاريخ، وهو ما عبّر عنه (ربّاه هذه بَصّارة البلد الآمن) كحالة من حالات البحث عن الحرية المفقودة، وكذلك البحث عن صورة مثالية للتوازن، يقول:

إِنْ عَدَا الْعَمَقُ .. دَمَارًا .. يَا حَبِيبِي

فَاسْقِنِي التَّخَبَ صَبَاحًا

وَاسْقِنَا عِنْدَ الْمَغِيبِ

عَلَّنَا .. نَبَقَى سُكَارَى

(1) عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، ص: 38.

لا تَرَى بُؤْسَ الشُّعُوبِ⁽²⁾

يعاود الشاعر محاولاته المتكررة للخروج من الضيق النفسي وسطوته عليه والتحرر من العوائق الكثيرة المضنية، (واسقنا عند المغيب، علنا نبقي سكارى) بيد أن العجز تجذّر مع تراكم الزمن وتراكم الإحباطات، فتظهر في النص مجموعة من الأعراض النفسية تتمثل في البؤس واليأس، والأسى وهبوط الروح المعنوية الذي لا يتناسب مع سببه، وكذلك (انحراف المزاج، وتقلبه، وعدم القدرة على ضبط النفس، وضعف الثقة في النفس، والشعور بعدم الكفاية، وعدم القيمة والتفاهة، والقلق والتوتر والأرق، وفتور الانفعال، والانطواء، والانسحاب، والوحدة، والانعزال، والسكون والصمت، والشروء حتى الذهول، والتشاؤم، وخيبة الأمل، والنظرة السوداء للحياة، والأفكار السوداء، والاعتقاد بأنه لا أمل في الشفاء، والانخراط في البكاء أحياناً، واللامبالاة، والنقص في الميل، والاهتمامات، والدافعية... واتهام الذات، وتصيد أخطائها وتضخيمها، والأفكار الانتحارية أحياناً، والهلوس، وضلالات عدمية وامتزج شعوره بالعجز وبالسخرية المُرّة)⁽¹⁾ وعند التأمل في هذا النص نجد الفزاني يعكس رؤيته الشعرية من خلال عدد من الألفاظ تحمل دلالة القلق، فالألفاظ في السطر الأول غدا، العمق دمار كلها تحيل إلى القلق أو الاقتراب منه، أما دلالة التلذذ بالقلق فتمثلها الألفاظ حبيبي، نخب سكارى ويعيد تفاصيل القلق من

⁽²⁾ علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 54.

⁽¹⁾ عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، ص: 38.

خلال بؤس، فالبؤس في الدلالة اللغوية أو بعبارة أخرى في المعجم يحيل إلى
الفرع والقلق والموت، يقول:
لو قُلْتُ أَنَّ غُرْبَتِي عَمِيقَةٌ
لو قُلْتُهَا لاسْتَضَحَّكَ الْأَوْغَادُ فِي الْمَدِينَةِ الْعَتِيقَةِ
مدينة اللصوص والرياء والكذب
مدينة لا تعرف الغضب
لأنَّهَا بَغِي، بغي لا تعرف الحقيقة
تشاءمُ قصائدي في رحلة الضياع
لكنتي غنيَّةً للألى يُقالُ أنهم رُعَاةُ
ناديتُ بالتَّضَالِ والصراع
لكنتي أواهٌ قَدْ أَمُوتُ
وَمَوْطِنِي الَّذِي أَحْبَبُهُ يَحْتَلُهُ الْيَهُودُ⁽¹⁾

تشهد العلاقة بين الفزاني والقلق تعالقاً ملحوظاً، فيبتعد المجتمع بقيمه
عن احتياجات ورغبات الشاعر، وباتت الغربة عن تلك القيم سبباً رئيساً في
الغربة القيمية ووليداً شرعياً لها ومن ثمَّ كانت سبباً في انعدام الخلاص من
الأوضاع والعلاقات السائدة.

ويختلف القلق في هذا النص عن نصوص الشاعر السابقة، فالهروب من
الواقع أو القلق (تصرف يخص الحيوانات على الأكثر، ويمجد سوابقه البيولوجية

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 106.

في سلوك أنواع كثيرة آثرت الهجرة سعياً إلى ظروف حياة أفضل، وبين معاصرنا يأتي هذه التصرفات أولئك الذين يهجرون مهنتهم أو حياتهم... وينطوي ذلك على محاولة لتغيير الحياة⁽²⁾، ولكن القلق هنا يبرز من خلال العلاقة المباشرة بالواقع، ويوحي بعدم وجود حلّ لما يحدث في المحيط، أما في نصوصه السابقة فيتسع لياخذ منحى وجودياً مربعاً، على الرغم من أنّ المحيط كان سبباً وأساساً لانطلاقه إلى ذلك الخوف المربع، لندرك أنّ قلق الشاعر كان متلازماً مع فقدان الثقة بالأفراد (مدينة اللصوص والرياء والكذب) وفقدت الحياة حيويتها وحركتها بزوال الإخلاص والأخلاق السامية (لو قلتها لاستضحك الأوغاد في المدينة العتيقة) ولا بدّ من البحث عن عالم جميل ينفس عن قلق الشاعر وعن قبح الواقع، فلم يتعدّ هذا البحث المضني الاشتهاء والحلم (لكنني غنيت للألي يقال أنّهم راع)، ذلك أنّ العيش في مكان مخنوق يفرض على الأنا تفكيراً ينطلق من الفراغ ويصبّ في فراغ، ويتراجع فعلاً (الذات) باتجاه العزلة (تشاءمت قصائدي في رحلة الضياع). وفي (رحلة الشباب تكثرت احتياجات الأنا وطموحاتها، ثم تتخلّى عن طموحاتها إذا ما تعرّضت لحالة من الحصار، فيتلقف اللاشعور تلك الاحتياجات ويخزنها)⁽¹⁾ يقول:

(2) جان ماري بليت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة السيد عثمان، المجلس الأعلى للفنون والآداب، الكويت، 1994م ص: 123.

(1) غريب عبد الفتاح غريب، مقياس الاكتئاب، التعليمات ودراسات الثبات والصدق وقوائم المعايير، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 2003م، ص: 115. علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 193.

شهر زادَ فتحتُ بابَ المدينةِ
ثمَّ صاحتُ بالأبيلِ اللعينةِ
أدخلوها .. أدخلوها فالشرقُ موتى وسُكاري
وبغايا وأباريقُ حقيرةٌ
كم روثٌ لي الرِّقطاءُ في ليلِ التوترِ
خبرتني عن أبي زيدٍ وعنترٍ
وسقتني ألفَ كأسٍ بتعاويذي معطرٍ
وأنا ألهو غيباً . ثمَّ ألهو، ثمَّ أسكر⁽¹⁾

استدعى الفزاني الرمز التاريخي، شهر زاد في نصه ليتركها تعبر عن رؤيته، ويبقى هو الشاهد على هذه الفاجعة. وتزداد المأساة عندما يقتل الأمير النساء كما جاءت في ألف ليلة وليلة، من خلال الأسطورة، التي وجد الشاعر أن حقيقتها لا تزال مستمرة.

وبقراءة أخرى، يبدو أن شهرزاد عند الفزاني لم تعد قادرة على بعث الحياة من جديد، لأنها لم تستطع إنقاذ البشر من الموت الذي خيم على كل شيء، فشهرزاد التي أسست للمرأة المدافعة عن بني جنسها تلك التي استطاعت- وهي الضحية- أن تصنع من شهريار متلقياً مشاركاً في نص الحكايات، وكأنه أصبح لزاماً عليه أن يسهم في إبداعها وإعادة صناعتها من جديد. قد انتهت ولم يعد لها أثر، ولم يبق منها إلاّ الجسد، لكن دون جدوى، فالشاعر قد دخل

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 67.

في تفاعل عكسي مع حكاية شهرزاد، فجاءت مخالفةً للأصل، إذ لم تأت شهرزاد كما عرفت في (ألف ليلة وليلة)⁽²⁾ رمزاً للحياة، والسعادة، والحرية، والمستقبل، بل صارت في قصيدة الفزاني رمزاً للخيانة فهي لا تستطيع أن تفعل شيئاً، لأنّ الشاعر جردها من كلّ الصفات الحيوية التي ذُكرت بها في حكايتها الأصلية، وقد أراد لها الشاعر ذلك ليعبر من خلالها عن الموت الشامل الذي أصاب القلق ورموزه الخالدة (أبي زيد، وعنتر) يقول:

أِهْ يَا لَيْلَ الْحَرِيفِ
لَا تَدْعِي أَرْقُبَ الْيَرَانِ تَحْبُو فِي الرَّمَادِ
فَجَلَابِيبُ الْحِدَادِ
كَرَهَنِي، وَانْتَهَى فَصْلُ الْحَصَادِ
انْتَهَى
الْحَصَادُ⁽¹⁾

يرتبط القلق في نص الفزاني السابق بـ(فاجعة الانفصال، وتنمو من خلال هذه الخلفية النفسية (أنا) مَنْ حملتْ فاجعة التراب الخصب و(الأنا) المتفجعة)⁽²⁾ تعكس طبيعة الصلة بين الشاعر والقلق إذ هو امتداده ووجوده،

(2) انظر: نبيلة إبراهيم (قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية)، دار العودة، بيروت، 1974م ص: 22-23-45-70.

(1) علي الفزاني، قصائد مهاجرة، ص: 256.

(2) السيد علي شيا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، ص: 76.

وبالرغم من الانفصال الظاهر، فإنّه في جسده يتحول من وجودها في الخارج إلى وجود داخلي، وهذه العلاقة بين الشاعر والقلق تفتح نصوص الأخير على كلّ التحولات الممكنة، إذ ارتبط القلق في شعر الفزاني بالمفهوم المتأوه، واتخذت بعداً إنسانياً اتسع ليشمل قضايا الوطن، وتمزج الشعر بالسياسة والخاص بالعام، بحيث أصبحت لغة القلق عنده مرجعاً هاماً بين العلامات القلقية، حكاية الوطن، جزء لا يتجزأ من سيرة الشعر والشاعر والمجتمع والعالم، إنّها حالة تعكس الجنون بالتراب وتؤطر الوجود في القلق، وهي الوجه الآخر لمعركة الإنسان في الوجود ولذلك، فلن يكون استثنائياً أن يتمثل هذا الشعر قصيدة القلق ويستحضر عناصرها في كلّ المواقف والمراحل.

وفي النصّ التالي تتسع دائرة القلق لدى الفزاني لتشملّ الشعب بأسره، عبر حوارية بينه وبين الشعب. وعلى الرغم من أنّ الأجواء العامة لقصائد الفزاني توجي بالقهر إلا أننا نرى في ذلك القهر حالة من الثورة في بعض القصائد لديه، وخاصة في ديوان (القنديل الضائع في المدن الوثنية) فكان الفزاني فيه ثائراً من أجل كرامة الإنسان المجروحة، يقول:

شِعْري - منشورٌ على بواباتِ الفصولِ

وفي ذاكرة - شعبي - الخالدِ

لا يَهْمَنِي أَنْ يَغْتَابِنِي - جردُّ أعورٍ

مسكونٌ بالحقْدِ - مهزومٌ.. متهرئ

أشعلُ قناديلَ لبسماتِ الطفولةِ

وللأنوثَةِ والجمالِ والشبابِ والرجولةِ
 أموسقُ العالمَ - في أغنيائي
 وعندما أصمتُ - في الأوقاتِ الصعبةِ
 يعرف الشعبُ - أنني أغني
 أغنياتِ الصمتِ!
 ما أخطرَ أغنياتِ الصمتِ!⁽¹⁾

يخرجُ النصّ السابق بلون أسود قاتم، لا شكّ هو وليد واقعٍ أكثر اسودادٍ منه، حيث الوضع الإنساني المتخلف، (ولكنه في النهاية هو الفارس القديم لأنه يعيش في غير عصر الفروسية وهو في النهاية مهزوم، كما أنه هو الملاح الذي مات قبيل الموت حين ودع الأحباب والأصحاب والزمان والقلق)⁽²⁾ النصّ وليد تجربة مرة، ويأس محبط، وواقع دامس، ووليد لوحة مؤلمة لواقع مفزع فـ(القلق شعور معمّم فيه خشية وعدم رضا وضيق، وتتفاوت درجات الاستجابة للمواقف في الشدة بين الدرجة المنخفضة والمتوسطة والعالية حسب ما لدى الفرد من استعداد كامن للاستجابة للقلق. فالشخص صاحب الاستعداد العالي للقلق يدرك تهديد تقدير الذات في مواقف كثيرة ويستجيب له بحالة قلق زائدة

⁽¹⁾ علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 141.

⁽²⁾ السيد علي شيا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، ص: 143.

لا تناسب ما في الموقف من خطر حقيقي، أما الشخص صاحب الاستعداد المنخفض للقلق، فيدرك التهديد في مواقف الخطر الحقيقي ويستجيب بقلق مناسب مبالغ فيه⁽³⁾ بمعنى أن الواقع قد لا يكون أساساً موجداً لذلك القلق، وإنما ذلك القلق ناتج عن أسباب داخلية، يقول:

فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
الَّتِي حَمَلْتُهَا فِي دَاخِلِي
طَوَّفْتُ بِهَا - أَنْهَارَ الْعَالَمِ
وَمَحِيطَاتِهِ
أَغْسَلُ عَارَهَا مِنْ عَفَنِ الْمَلَكِيَّةِ
وَالسَّقُوطِ وَالنَّخَاسَةِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَاللُّوَاطِ السِّيَاسِي
فَوْقَ جُلُبَابِ الْمَلِكِ
فَوْقَ - جَبَةِ الْقَبَائِلِ!
تَطَارِدُنِي مَرَّةً أُخْرَى
دَعُونِي أَعْلُنُ أَمَامَكُمْ مَا يَلِي:
نَقِیْضَانُ هُمَا الثَّوْرَةُ وَالْإِغْتِرَابُ
إِذَا كَانَ لَا بَدَّ مِنْ تَغْرِيبٍ قَسْرِيٍّ آخَرِ
بِاسْمِ أَقْنَعَةٍ جَدِيدَةٍ

⁽³⁾ محمد جاسم العبيدي، مشكلات الصحة النفسية، أمراضها وعلاجها، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الطبعة: الأولى، 2004م، ص: 77.

فأنا الذي سأختار موتي⁽¹⁾

لا يحتاج هذا النص إلى توضيح، فهو تعبير واضح على القلق وسواده، (فيحسُّ الشاعر كأنه ليس من هذا العالم المجنون. إنَّ العالم لدى الشاعر يجب أن لا يكون حسبما ترسمه تصوراتهِ فإذا قارن بين ما يتصوره، وبين ما يعيش فيه، انتابه الهلع من هول المفارقة. ففي هذا العالم المأفون المدان لا يشعر المرء بألفة معه)⁽²⁾. إنَّ القلق عبر احتمالاته ودلالاته-ينطوي على مجموعة الضغوط التي يمارسها المجتمع على الشاعر، وتنطوي أيضاً على المكبوتات التي يقوم الشاعر جاهداً بإرجائها كي تحقق حالة التوازن، وربما تنطوي أيضاً على الاغتراب الذي أصابه، وعليه (فنحن نفكر فيها فقط بمستوى غريزي خالٍ من الكثافة)⁽¹⁾، ولذا فإنَّ الاحتمالات تتعدد لمفردة (تطاردني) في هذا النص، حيث يضيق القلق بفسحته واتساعه أمام المطارد فاللفظة تعبير دقيق لمكان يفرض الشاعر ولا يقبله، هذا ما قاله وما يزيد في سوداوية القلق لفظة (النخاسة) المتجذرة في تاريخنا، وفي شعرنا أيضاً، ألم تكن تلك اللفظة هي الوسيلة التي هجى بها المتنبي أعداءه، وهي التي جعلت عنتره يثور ثورته العارمة ضدها؟ الفزاني لم يكن غائباً عن القلق ولكنه استحضر الزمان أيضاً.

(1) علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 123.

(2) ممدوحة سلامة، الإرشاد النفسي، منظور نمائي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1993م ص: 59.

(1) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلساء، الطبعة: الثالثة، بيروت، 1987م، ص: 11.

إن التكهّنات لتركيب (الثورة والاغتراب) تتعدد في الدلالات والاحتمالات الإيحائية، وجميع تلك الاحتمالات تصبُّ في حيز السوداوية وفي الشعور بالنهاية المحتمّة، ذلك ما ظهر في نهاية النصّ (فأنا الذي سأختارُ موتي) يقول:

مَنْ ذَا يَدُلُّ الْمَخْبِرِينَ
عَنْ مَحَبِّ الْمَتَامِرِ الْوَعْدِ اللَّئِيمِ
قَوْلِي لِأَنَّكَ مَا تَزَالُ تَمُدُّ كَفَكَ
لِلسَّيِّمِ
لَتَجَسَّ مَوْلَةً شَمْسِكِ الْبِيضَاءِ
قَوْلِي مَا تَزَالُ
يَا أَنْتَ تَبْسُطُ لِلْمِثَالِينَ كَفَكَ
بِالْوَفَاءِ
فَسْتَأْكُلُ الْجِدْرَانُ قَلْبَكَ فِي الشِّتَاءِ
وَيَعْلَقُ الْجِلَادُ رَأْسَكَ فَوْقَ أَبْرَاجِ،
الْمَدِينَةِ⁽¹⁾

نبدأ من حيثُ انتهى النصّ، حيثُ مقصلة الموت تعاود من جديد، وتتجسد في القلق الذي غدا منصّة سوف يشنقُ على أبراجها الإنسان، وهو سببٌ مهمٌّ في ضياع الشاعر، وهو الثمنُ الباهظُ الذي دفعه للحضارة العربية القديمة وغير

⁽¹⁾ علي الفزاني، المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء: الأول، ص: 69.

القديمة، بخصائصها وأسسها المنعكسة سلباً عليه، لما تُنتِجُه من علاقاتٍ ماديةٍ صرفة على حساب إنسانية الإنسان، إضافةً إلى العلاقات الاجتماعية الظالمة.

إنّ (المخبرين، فستا كل الجدران) وغيرها هي من منتجات العصر الحديث الحضارية كانت سبباً رئيساً من أسباب ضياع الشاعر وقلقه لأنها تقف حاجزاً منيعاً دون ممارسة الإنسان لحقه السياسي، بيد أنها تُفسح المجال لعلاقات تفتقد المودة بين الناس على الرغم من أنها مفيدة على صعيد إنجاز الأعمال وتسهيل الحركة والإنتاج، ولكن الإنسان الذي يمتلك الكثير من الأحاسيس والمشاعر، فقلقه: (ويعلق الجلاذ رأسك فوق أبراج المدينة) لم يأت عبثاً، لأنه تقدم شاء أن يسرّع في عملية الانتقال إلى عالم مشابه له بأقصر فترة ممكنة، وما قوله أيضاً: (لتجسّ مولد شمسيك البيضاء) وتأكيد على (قولي ما تزال) سوى تعميق لحالة السوداوية من جهة هربٍ حاسمٍ، من دون عودة إلى الواقع الموضوعي، كذلك، فإنّ (الوفاء) يوطّد صورة الهرب والاختفاء عن القلق لأنه أضحى مرعب ومقلق.

إنّ كلّ إنسانٍ عند (الفزاني) ممتن، وهذا ما يبرّر استخدام ضمير المخاطب بشكلٍ واضح في النصّ، لأنّ الإنسان لم يستطع أن يتفادى وطأة الصورة القائمة في المحيط، فهو لا يقدر على فعل شيء أمام تفشّي الظواهر المريضة الكثيرة التي يراها، وهكذا انتهى الأمر إلى تأزم عام، تفاقم حتّى انتهت إثره العوالم المضيفة والبريئة في آن واحد. يقول في قصيدته (انتظار على رصيف الموت):

أف، مِنْ وأد حروفي على درب الكلاب

عينُ يعقوبَ تغني في انتظارِ
فارسٍ يعطيك يا أمَّ المَحَارِ
إنَّ آلامَ السنينِ
لم تزلْ ندباً
على وجهِ اليقين⁽¹⁾

إنَّ استدعاء الشخصيات الدينية القديمة يكتسب قيمته من الحضور الخاص الذي تمثله هذه الشخصيات في وجدان المجتمع، حيث يظهر هذا الاستدعاء في جزء من النص، يكون صوت الشاعر فيه هو صوت الراوي الذي يتحدث عن تلك الشخصية، وبالتالي يكون الحديث موجهاً من الراوي إلى القارئ المفترض، ويستحضر هذا الحديث تجربة يعقوب مع الألم والحزن في انتظار عودة ابنه يوسف -عليه السلام- يقول تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)⁽¹⁾، لكن الشاعر يقيم تداخلاً بين النص القرآني ونصه اللذين يجمعهما موضوع واحد، هو طبيعة علاقة الإنسان مع القلق، مع الأخذ في الاعتبار أن السردية في سورة يوسف لا تغادر القلق، الذي ينطوي على السوداوية (البئر-السجن-الدار) حاكها الشاعر لتعبر عن سوداوية من نوع آخر، إنها تلك التي تقيم العلاقة الظالمة دون هدف

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص: 29.

⁽¹⁾ سورة يوسف، الآية: 84.

مبرر، أو دون فائدة مرجوة، إنه الانتقام البشري الغريب الذي تجسد في صورة الألم والندب والحزن، ليظهر موقف الشاعر من خلال الوصف للمكان السوداوي. يقول:

من يدرأ السعالَ والسَّهَادَ والسَّقم؟

وتحملُ الرِّياحُ والمذياعُ لي

أغنيةً شرقيةً الشجونِ والألم

حكايةً قديمةً عن شهرزاد⁽²⁾

روايةً عن عاشقٍ ... وقصةٍ عن فاتح

عظيم

جياذهُ أصيلةٌ⁽³⁾

يستعدي دفاع شهر زاد عن بني جنسها، وحكايات البطولة التي ترويها وخيانة زوجة الأمير شهريار لها، يستعدي الفضاءات المهزومة والضائعة، والمستكينة سكوناً يصل حد الموت والغارقة بالخوف والفرع، وإنه لمن الأهمية بمكان، أن تتمركز القصيدة عند شهرزاد، فيتمكن الشاعر من الحفاظ على

(2) انظر: مارلين ستون، يوم كان الرب أنثى، نظرة اليهودية والمسيحية إلى المرأة، ترجمة: حنا عبّود، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، 1998م، ص: 32.

(3) علي الفزاني، قصائد مهاجرة، ص: 162-163.

رؤيته، لتساعده على أن يرى أكثر مما يراه في الواقع، ليستسلم الشاعر تدريجياً للبدائية مخلفاً وراءه واقعاً صريحاً، وحياة رغبة من أجل الوصول إلى وعي أسمى، عندئذ يتمكن من السيطرة على حلمه، ومن الطبيعي أن يكون المقطع الأخير هو (الخلاص) وفيه يكتمل المغزى باكتمال الرمز وينتهي النص بهذه النهاية التي ربّما تبدو تقليدية بما فيها من تشابه في النهايات السعيدة لحكايات ألف ليلة وليلة، ولكنّها بمغزاها الجديد تشكّل حلقة وصل بين الفزاني وألف ليلة، ليس فقط مكانياً، بل فنياً، فهي تنشد منظور ألف ليلة النثري المكثف، وتغني رؤية الفزاني المبطنة. هل كان الفزاني على وعي بألف ليلة؟ لا تفارق شهر زاد الفزاني في رحلتها من أولها إلى آخرها، وربّما انطلق منها، كما انطلقت هي في حكاياتها في ألف ليلة وليلة.

ويمزج الفزاني بينه وبين الطفولة، أرادها الفزاني (وسيلة شاغلة عن قلق الموت، وبها يقتل ديمومة القلق لأن هذه الموضوعة تبدد الزمن ولا تترك فراغاً عند الشاعر للغرق في لجج القلق كذلك انكب الشاعر على بناء اللحظة، وجسدها، وخلق منها زمناً متكاملاً عمل على استحلابه حتى آخر نأمة للابتعاد النفسي عن مواجهة القلق)⁽¹⁾ مع علمنا أن المأساة تتضخم وتتسع إذا حضر الأطفال معها، يقول:

ويهجعُ الأطفالُ يحملونَ بالصوامعِ

(1) المصدر السابق، ص: 164.

والشاعرُ الذي يدبُّج القصيدَ والروائعَ
 (حَبِيبَتِي .. شقائقُ النعمانِ لكِ
 والمُوجُ والزَّهورُ، ملءَ قبضتكِ
 لبيكِ أسألي .. فالخاتمُ السحري في يدي
 والأرضُ بَغْلتي
 والكونُ لُعبتي⁽²⁾)

يبدو أنه من الفطرة الإنسانية أن يعود الإنسان إلى الطفولة، حيث العوالم البريئة التي لم تمتد إليها أيادي العبث، فتمتزج الذات بالحس، والنفس، والوجدان، فتُكوّن جوهرًا في مطلق الإحساس وتشكل رافداً غنياً للذات، ويبدو أنّ السحر يشارك في إكمال تلك اللوحة التي ترسم أمامه صورة الواقع الذي خيم عليه اليأس، والفقر، والسوداوية، فحضور الطفولة في النص، وقد تلونت بلون القلق أَرادها الشاعر أن تكون سواء في حب مشئت أو في وطن مشئت، أو في إنصاف مشئت أو في غيره من رؤى الشاعر التي هي أكبر من أن تلتصق بأحلام طفل، وعلى هذا الأساس، فإن للقلق نسباً مع النص كما أنّ للشاعر بهذا المفهوم علاقة قرابة مع قصائده التي تكشف عن سريرته، تلك القرابة تقتضي أن يحبر الشاعر الصادق شعره بقلقه، ليخالف منطق كتابة الشعر بالمداد⁽¹⁾، وهذا ما نجده بارزاً في قصيدة الفزاني، الشاهد على المشاهد القلقة

⁽²⁾ وليد مشوح، الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، ص: 125.

⁽¹⁾ علي الفزاني، قصائد مهاجرة، ص: 96.

التي حولت الأجواء إلى عالم سحري يغادر الواقع ولا يقبله فد(الغاية الوحيدة من الأسطورة هي تجميد حركة العالم وتفسير للكائن البشري الحائر ما يجري في لاوعيه، وما يبقيه متماسكاً)⁽²⁾ حتى يُبعث من جديد فصور الظلام الذي ساد الأشياء دون أن يبحث عن السبب الكامن وراء هذا الظلام، ولكننا ندرك أن وراء الظلام ظلام داخلي سكن الفزاني وأمدّه بهذا النفس الشعري الخلاق، يقول:

بكيْتُ يا صَغِيرَتي لِأَتَني وَحيدٌ
ما أَلعنَ الحِياةَ في شِوارِعِ المِدينةِ
بمِقلَةٍ حَزينةٍ حَزينةٍ حَزينةٍ
وَعِندَما تَدُقُّ ساعَةُ المِيدانِ
تَسْتيقِظُ الأَشواقُ في الأَعماقِ وَالإنسانِ⁽³⁾

يبدو أنّ عزلة الفزاني وقلقه ارتبطا في النص بالطفولة، من خلال حوار مع شخصية أخرى أرادها هنا أن تكون ابنته، التي تشكّل متكاً تتواصل عبره معطيات الحالة، ومفتاحاً للنص، (وقد نستشعر الغربة والضياع عند الكثير من المواطنين، وذلك نتيجة حرمانهم ممارسة حقوقهم المشروعة، فتنشأ عندهم

⁽²⁾ ممدوحة سلامة، الإرشاد النفسي، منظور إنمائي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة:

الأولى 1993م ص:48.

⁽³⁾ المصدر السابق، ص:56.

حالة من الاغتراب، فليس عندنا حجر سياسي فقط، بل هناك حجر فني وأخلاقي⁽¹⁾، فتعجب الشاعر (ما ألعن الحياة في شوارع المدينة) يحمل مدلول سوداوي قاتل. إنَّ (النفور من القلق ممتزجاً مع الحنين إلى الأم وإلى الطفولة نزعة رومنطقية أصيلة، وقد وجدت لها تعبيرات مختلفة في الأدب العربي في هذا القرن، كما وجدت لها بدائل أخرى في الحنين إلى الماضي الذهبي أو في العودة إلى الطبيعة الغاب (عند المهجرين) أو التشوف إلى يوتوبيا...أو في خلق مدن مسحورة تغني الشاعر عن مدينة الواقع المليئة بالآلام والعذاب)⁽²⁾ وهذا القلق في النص يحمل بين جنباته العذاب، (لأنَّه لم يستطع أن يتفادى وطأة الصورة القاتمة في المحيط فهو لا يقدر على فعل شيء أمام تفشي الظواهر المريضة الكثيرة التي يراها هنا وهناك)⁽³⁾، وهكذا انتهى الأمر إلى قلق نفسي فهو) يختلف عن الخوف حيث يشير القلق إلى حالة نفسية تحدث حين يشعر الفرد بوجود خطر يتهدهده وهو ينطوي على توتر انفعالي تصاحبه اضطرابات فسيولوجية مختلفة. بينما يشير الخوف إلى حالة نفسية توجد عند الشخص حين يتهدهده خطر ما، وينطوي أيضاً على توتر انفعالي واضطرابات فسيولوجية مختلفة⁽¹⁾ يقول:

(1) محمد أحمد إسماعيل، المثقف العربي بين التغريب والأصالة، ص: 10.

(2) إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص: 81.

(3) 4 ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ص: 13.

(1) حنا عبود، النحل البري والعسل المر، وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة: الأولى، 1972م، ص: 77.

رجل وقع من طائفة نفائة

وقع في فوهة بركان نائر

رجل تفجرت تحت بيته قنبلة عنقودية

وسقطت فوقه خمسون قنبلة نابالم

رجل أكله تمساح إفريقي ضخم

ابتلعه تماماً

سبعون أفعى في كل واحدة رأس ولها

سبعون من الأنياب السامة جداً

عضت - رجلاً واحداً

هؤلاء جميعاً لم يموتوا

بعضهم بلغ التسعين من العمر

وبعضهم يقود جرّارات ثقيلة

لكن رجلاً واحداً

قوي البنية كثور أسباني

كفيل إفريقي شاب

تعثرت - أذناه - بخبر موجز

من إذاعة - شرقية

سقط لتوه ميتاً

وتحلل جسده بعد عشرين

ثانية⁽¹⁾

بالفعل التراكمي للقلق أصبحنا وكأننا بالشاعر قد يئس من هذه الحياة، لذا يحاول أن يقيم نوعاً من التوازي مع القتل من خلال محاولة الاقتراب منه، ومع هذا فـ (المتعرضين للذكريات المؤلمة يحاولون قدر الإمكان بشق الطرق، التغلب على هذه المشاعر والذكريات، فيلجئون إلى الكبت مرة، وإلى القمع مرة أخرى، وهي وسيلة للنسيان اللاشعوري للذكريات المؤلمة، والقمع إقصاء للأفكار غير المقبولة في اللاشعور بعيداً عن الوعي، إن القمع عملية لا شعورية نستطيع من خلالها منع أنفسنا من التذكر، إنها عملية وقاية من الذاكرة المؤلمة، وحماية أنفسنا من إدراك نزعة في الذهن للنفس من استعادة الألم عن طريق إبعاد تلك الذكريات لعله يخفف من وجعه)⁽²⁾ ولو قدر لرسام أن يحيل هذا النص إلى لوحة فنية، لظهر لنا تمازج السقوط المختلف مع القلق الذي نكاد نراه في حياة علي الفزاني، إنه سقوط الأخلاق، وسقوط الإنسانية، فالشور الأسباني، والتمساح الأفريقي، والأفعى كثيرة الرؤوس، هي صورة حقيقية لواقع جعل من الشاعر يرسم لوحات القلق بمداد دمه.

(1) المصدر السابق، ص: 14.

(2) ممدوحة سلامة، الإرشاد النفسي، ص: 51.

4- تركيب:

1- النظرة السوداوية للفزاني سيطرت على معظم شعره، ولعل تعليل ذلك يكمن في كونه لم يكن يشعر بالعلاقة الحميمة بينه وبين المجتمع، تلك التي شعر بها أسلافه.

2- وقع الفزاني تحت وطأة (القلق) لدوافع عديدة منها: اللون، وإخفاقه في بلورة توجهه، شعوره بالنقص، والتناقض الداخلي والتقلب، السياسة، وربما الفقر.

3- التناقض الواسع في الصورة يحيل على البون الشاسع الذي يفصل الشاعر عن واقعه، ونعني بالتناقض أن الحقول الدلالية في تركيبة الصورة تعاكس بعضها بعضاً تماماً على صعيد المعنى كما لاحظنا في مطارده من داخلي، وما هذا التناقض إلا جزء من التناقض الأوسع الذي وسم شعره بعامته.

4- البحث في تفاصيل القلق واختيار مواطن الألم منه ظهر في أكثر من منحنى.

5- لقد تبلور مفهوم القلق في شعر الفزاني، فسمائه عامة، تحيل النص الشعري على الفردية والعزلة والاغتراب والتمرد والاستلاب.

6- وجد الشاعر القديم مبرر شرعي للقول الشعري، ووجد الفزاني مبرر جديد، كان محضراً له، ألا وهو القلق.

- 7- لم يكن الفزاني مقلداً، ولم تكن نصوصه الشعرية نصوصاً باهتة، بل كان شعره تعبيراً عن تجربة فردية، وحياة وجدانية صادقة.
- 8- إن كلّ نص من النصوص المدروسة يحتاج إلى بحث مفصل، يعمق فهم هذه الظاهرة في شعر الفزاني.

5- مصادر:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الجزء: السادس.
- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، منشورات عالم المعرفة، الكويت، 1978م
- آرنوف ويتج، مقدمة في علم النفس، ترجمة: عز الدين الأشول، دار ماكجدوهيل، 1977م.
- الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، تحقيق: طاهر الجزائري، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1982م.
- السيد علي شيا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، دار الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، 1984م
- بدر محمد كاظم، علي مهدي، الفروق في القلق والاكتئاب بين طلاب وطالبات جامعتي الكويت والسلطان قابوس، حوليات مركز البحوث والدراسات النفسية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الثالثة، القاهرة، 2007م
- جان ماري بليت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة السيد عثمان، المجلس الأعلى للفنون والآداب، الكويت، 1994م
- حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل و الهوية في الرواية العربية) المركز

- الثقافي العربي بيروت، لبنان، 1991م
- حنا عبود، النحل البري والعسل المر، وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة: الأولى، 1972م
- صلاح صالح، سرد الآخر، الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى، 2003م
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984م، الطبعة الأولى، 1984م.
- عبد الستار إبراهيم، العلاج النفسي الحديث، قوة للإنسان، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1983م
- عبدالله مليطان، معجم الشعراء الليبيين، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني طرابلس، ليبيا، الطبعة: الأولى، 2008م.
- علي الفزاني، المجموعة الشعرية الكاملة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس 1975م.
- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، الطبعة: الثالثة، بيروت، 1987م
- غريب عبد الفتاح غريب، مقياس الاكتئاب، التعليمات ودراسات الثبات والصدق وقوائم المعايير مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطبعة:

الثانية، 2003م.

- مارلين ستون، يوم كان الرب أنثى، نظرة اليهودية والمسيحية إلى المرأة، ترجمة: حنا عبود الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، 1998م

- محمد جاسم العبيدي، مشكلات الصحة النفسية، أمراضها وعلاجها، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان الطبعة: الأولى، 2004م

- محمد سعيد سلامة، (مدى فاعلية برنامج علاجي معرفي سلوكي في تخفيف حدة الاكتئاب لدى الأطفال) رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2003م

- محمد عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، الطبعة: الأولى 1984م.

- مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

- ممدوحة سلامة، الإرشاد النفسي، منظور إنمائي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: الأولى 1993م

- نبيلة إبراهيم قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974م

- يوسف سامي اليوسف، الشعر العربي المعاصر، مطبعة الكتاب العربي، دمشق، 1980م



Annal of the Academy

Journal of the Libyan Academy of Arabic Language - Tripoli

No:14

1439(2017)